مارسيل شيريزي

# أوراق مناضل إيطالي في مصر



١٩٣٨
تصوير/ صلاح أبو سيف



دار العالم الثالث

" المجلة الجديدة " وبدءوا يقومون عن طريقها بدعاية ماركسية استمرت طوال سنتين الأمر الذي جعلها منبرا لجميع المثقفين الطليعيين وأسهمت بالكثير في نشر الماركسية بين الطلاب وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا.

وكان يمولها ويشرف عليها الإيطالي " ريمون اجيون ".

وقد أحدث العدد الخاص الذي صدر منها حول انتصار ستالينجراد دويا كبيرا.

وفي أوائل ١٩٤٢ صدرت صحيفة يمولها "هنري كورييل" اسمها "حرية الشعوب" وقد ساعد في إصدارها بعض البرجوازيين الوطنيين وقد بدأت هذه المجلة في دعايات مناهضة للإمبريالية ولكن بشكل مبهم وبانحرافات كبيرة نحو الشوفينية القومية.

ومن الطبيعة ان مجلتي "حرية الشعوب" و"المجلة الجديدة" لم تكونا على وفاق.

وفي يونيو ١٩٤٢ قبض البوليس على حوالي خمسين من المصريين من أعضاء وأنصار " الخبز والحرية " وظلت أغلبيتهم محتجزة دون محاكمة حتى نهاية ١٩٤٣ (بسبب القانون العسكري).

وفي عام ١٩٤٢ تكونت جماعة ماركسية ثالثة تحت قيادة هنري كورييل وهليل شوارتز وسيطرت هذه الجماعة على الاتحاد الديموقراطي الذي تصاعد نشاطه. وكانت هذه الجماعة على علاقة بالشيوعيين الإنجليز واليونانيين المجندين في صفوف قوات الحلفاء المتمركزة في مصر.

لكن هذه الجماعة سرعان ما انقسمت إلى مجموعتين جديدتين تحولتا فيما بعد إلى منظمتين كبيرتين " الحركة المصرية للتحرر الوطني" (ويقودها هنري كورييل)، " ايسكرا " (ويقودها هليل شوارتز).

وفي يوليو ١٩٤٢ وأثناء تقدم روميل المكتسح نحو مصر لجأ أغلب الشيوعيين الأجانب إلى فلسطين وهناك دخلوا في علاقات مع الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث أسباب الانقسام ولمحاولة توحيدهم. وحضر الاجتماع أعضاء من سكرتارية الحزب الشيوعي الفلسطيني.

وفي هذا الاجتماع أعلن أعضاء مجموعة بول جاكو دي كومب أن الظروف الموضوعية في مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعي. ولكن الحزب الشيوعي الفلسطيني رفض هذه الفكرة. وهذه المحاولة (وهي الثالثة) لتوحيد الماركسيين قد فشلت هي الأخرى بسبب العناد الشديد لجماعة بول جاكو ي كومب وإصرارها على اعتبار نفسها المجموعة الشيوعية الوحيدة في مصر. هذا بالإضافة إلى سبب آخر يتمثل في أن المحاولة نفسها قد جرت بشكل سطحي وبإشراف حزب كان هو نفسه خارجا لتوه من أزمة قاسية.

وفي أوائل ١٩٤٦ كان موقف الحركة الشيوعية كالتالي:

(١) المجموعة الماركسية برئاسة السويسر جاكو دي كومب نجحت في تجنيد عناصر مصرية، وتعمل بطريقة بطيئة للغاية. ولكنها حذرة، " فلم تحدث اعتقالات بين أعضائها حتى يوليو ١٩٤٦ ".

وكانت هذه المجموعة على علاقة بمجموعة الشيوعيين اليونانيين في مصر، كما بدأت في تكوين علاقات مع النقابات، ونجحت في ربط بعض القيادات العمالية بها. خصوصاً في المنطقة الهامة لصناعة النسيج بشبرا الخيمة. والتي تعتبر أقوى موقع للشيوعيين.

وظلت هذه المجموعة بالإضافة إلى قيادتها تتكون من الأجانب. وأهملت هذه المجموعة التربية الماركسية للأعضاء النقابيين الذين

عقدت معهم صلات بصورة أو بأخرى. واكتفت بإسداء النصح لهم في القضايا النقابية.

أما على الصعيد السياسي، فقد سعوا إلى تكوين جناح يساري للحزب البرجوازي المُسمى بالوفد، ورغم افتقار هذه المجموعة إلى الديناميكية في ذلك الوقت، فقد كانت ذات قدرة وتأثير.

(٢) الحركة المصرية للتحرر الوطني بقيادة هنري كورييل وكانت أكثر المنظمات ديناميكية في مصر. وتمتعت بثقة عدد من الشيوعيين الإنجليز من جنود الاحتلال في مصر، وكان عدد أعضائها من المصريين قليلاً وقت ذاك. وقد أنشئوا مكتبة ساعدت كثيراً في نشر الأدب والصحافة الشيوعية في مصر باللغات الأجنبية. وكان رئيسها في ١٩٤٣ قد استضاف هنري مارتي لدى مروره بمصر مما زاد من هيبته وتأثير هذه المنظمة. كما كانت لها علاقات سطحية ببعض النقابيين، خصوصاً الموظفين. كما يجب أن نذكر ضمن نشاط تلك المنظمة انها نشرت عشر كتيبات ماركسية باللغة العربية وقد طبعتها ووزعتها سراً.

وهذه المنظمة ــ كما يظهر من اسمها ــ تتبع من الناحية السياسية، خطا يرمي لإنشاء جبهة وطنية ستندمج حسب اعتقادهم في الحزب الشيوعي.

لقد كان لها أيضاً انحرافات قومية صريحة، ولن يحسب لها كونها قد حاربت البروادرية في مصر.

(٣) اسكرا بقيادة هلال شفارتس وكانت حتى ذلك الوقت مكونة من الأجانب فقط، ولكنها بدأت في إنشاء علاقات مع بعض المثقفين المصريين، كما كانت تساعد ماليا على إصدار جريدتين عماليتين ظهر في النهاية ان محرريها كانوا من المغامرين. وكانت تحظى بثقة عدد بير من الجنود الإنجليز الشيوعيين، وكانت تعطي اهتماماً كبيراً للتثقيف

النظري لأعضائها. ولكن هذا التثقيف كان يتم بطريقة أكاديمية بعيدة عن الواقع المصري وعن احتياجات النضال، كما كانت تهيمن على بعض التجمعات الأجنبية، حيث جرى تجنيد واسع النطاق بين العناصر البرجوازية الصغيرة من الأجانب في مصر. وقامت هذه المنظمة بأكبر دور في الدعاية والتأييد للبراودرية في مصر، ولكن تم بعد ذلك نقد ذاتي لهذا، ونشر بين أعضاء المجموعة.

(٤) كان هناك أيضاً مجموعة من الماركسيين مكونة من أغلبية السابقين في تحرير الشعب وكانت قد تلقت ضربات عديدة وعنيفة من البوليس وكانت تصدر المجلة الجديدة كما أسست حلقة أسمتها " لجنة نشر الثقافة الجديدة " وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأت دارا للنشر بمساعدة إيطالي سمتها مطبوعات الفجر ونشرت عشرة كتيبات عن الماركسية والاتحاد السوفييتي ومن عناوينها (ستالين ــ الجيش الأحمر ــ تطوير الإنسان ــ فونتمارا).

وكان هذا التجمع الذي يتكون من المثقفين الماركسيين على صلة بالمجموعات الثلاثة الأخرى، ولكنه استمر في اتجاه تمصير " تحرير الشعب" ورفض اعتبار المجموعات الأخرى تجمعات ماركسية مصرية (بالنظر إلى قياداتها الأجنبية).

ولا يمكن القول بأن هذا التجمع كان منظماً بالمعنى الدقيق، كما أنه احتوى على أخطاء وعيوب المثقفين.

وفي عام ١٩٤٤ حين استطاع الإيطالي مارسيل العودة إلى مصر، بعد أن ظلت السلطات المصرية طوال ثمانية عشر شهراً تعارض في عودته من فلسطين وقديماً نتيجة تدخل اللجنة المعادية للفاشسية، اشترك مارسيل في هذا التجمع تبعاً لرأي أيد بواسطة قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية.

وكان هذان الحزبان قد أرجعا انقسام الحركة الشيوعية في مصر أساساً إلى إسناد قيادتها لمجموعة من الأجانب يتصّارعون باستمرار لأسباب لا تمت بصلة لمصالح الطبقة العاملة المصرية ولا يمكن إنكار أن وضع قيادة الحركة الشيوعية المصرية في أيدي الأجانب يشكل أحد الأسباب الجوهرية في النزعات الانقسامية المتزايدة التي كانت تمثل سمة أساسية لهذه الحركة وقتذاك.

ثم ظهر إتجاه يرمي إلى توحيد جميع الشيوعيين المصريين في تنظيم مصري خالص يضم جميع أعضاء المجموعات ذات القيادات الأجنبية. وقد دافع التجمع عن هذه الغاية ونظم مؤتمرا أعيد من خلاله تنظيم " تحرير الشعب " على أساس أن تقتصر القيادة دائما على المصريين، وكان العضو الوحيد الأجنبي الذي قبل في قيادتها هو أحد الإيطاليين وانفصل بعض الماركسيين المصريين عن التنظيمات الأخرى، وانضموا إلى هذه المنظمة، ولم يحل ذلك دون احتفاظ جميع تلك المنظمات بعلاقات طيبة بأعضاء تحرير الشعب، واعترفت لها بطابعها المصري الصميم. ولكن بعض أعضاء المنظمة الجديدة كان لديهم اتجاه إلى عدم الثقة في الماركسيين الأجانب (وهو الأمر الذي يمكن تفسيره ــ وليس تبريره ــ بالنظر إلى الموقف الملموس للحركة في مصر) وكان لتحرير الشعب علاقات وثيقة مع الشيوعيين في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق.

ويجب ان نشير هنا إلى ان انتصار ستالينجراد كان له دوي كبير في مصر خاصة بين طبقة المثقفين وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا.

وقد أعطت الحرب دفعة قوية للصناعة (وخصوصا الغزل والنسيج) واستخدمت ورش الجيش عشرات الآلاف من العمال كانوا يحصلون على أجور مرتفعة نسبيا بالعملة المصرية المستندة إلى غطاء

الخزانة البريطانية، وحققت الشركات أرباحا خيالية وصلت في بعض الحالات إلى مائة في المائة من رأس المال وأتاح الطلب المتزايد على الأيدي العاملة فرصة للعمال لكي يشعروا بأهميتهم ونظمت الإضرابات بنجاح متزايد وزادت قوة النقابات. وفي عام ١٩٤٢ اعترف التشريع المصري لأول مرة بالنقابات. وكانت هذه خطوة واسعة للأمام بالرغم من محدودية ذلك القانون، والذي كان مثلا يمنع إقامة اتحاد عام للعمال أو تنظيم نقابات العمال الزراعية. وبذلك أخذت الحركة العمالية في النمو بشكل مواز للحركة الماركسية، ولكن العلاقة بينهما كانت سطحية ولم تكن موجودة فعلا إلا في قطاع صناعات الغزل والنسيج.

وفي خلال ١٩٤٤ حدث تمرد بين القوات اليونانية المتمركزة في مصر، واجتمعت آراء كافة المنظمات الماركسية في مصر رغم خلافاتها على مساعدة ذلك التمرد. وحدث تعاون ملموس في ذلك بين مختلف المنظمات لمساعدة اليونانيين ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطني بقيادة كورييل كانت هي التنظيم الذي ساهم بأكبر نصيب في تلك العملية.

وكانت ضروب من الشجاعة تمارس من أجل تمويل الفرق اليونانية التي تحاصرها القوات البريطانية في الصحراء.

وقد كانت سنوات ١٩٤٤، ١٩٤٥ سنوات حاسمة بالنسبة لقضية التمصير أما المجموعة الماركسية التي يرأسها جاكوب دي كومب فقد أصدرت مجلة اسمها " الفجر الجديد "، مستندة إلى القوة التي هيأها لها دعم وتأييد الأعضاء الذين جندتهم من بين الماركسيين المصريين، وسارت هذه المجلة على نهج " المجلة الجديدة "، ولعبت دوراً فعالاً في نشر الشيوعية في أوساط الطلاب والمثقفين في مصر وبعض الأوساط العمالية في مصر حتى يوليو ١٩٤٦.

استيائها وعدائها لتلك الاتفاقية. فقد اصطدمت تلك البرجوازية من خلال نموها الضخم أثناء الحرب بالعوائق التي يضعها الاستعمار.

أما البرجوازية، وخصوصا جماهير الموظفين ـ والتي وقعت ضحية الغلاء والتضخم ـ فقد أخذت منحى راديكاليا.

أما جماهير الفلاحين، فقد ازدادت أوضاعها سوءا أثناء الحرب. بدليل ما قاسته من أوبئة الملاريا والحمى الراجعة (التي قضت في أسابيع على عشرات الآلاف من الفلاحين) ولكنها كانت دائما وبشكل عام تلك الجماهير التي يسيرها خوفها من كبار الملاك الإقطاعيين وجهاز الدولة. أما البروليتاريا .. وبالنظر إلى نمو وتطور الصناعة وزيادة احتياجات ورش قوات الاحتلال إليها. فقد زادت عددا بشكل واضح وكذلك زاد تركزها. وبالتالي ارتفعت أجور العمال بزيادة الطلب عليهم، بينما كان ارتفاع تكاليف المعيشة يعمل بشكل مواز على خفض القيمة الحقيقية لتلك الأجور.

وزادت قوة الحركة النقابية. ولكن الظاهرة الهامة كانت هي الارتباط (ولا نستطيع ان نقول حتى الآن الانصهار أو الاندماج) بين الحركة العمالية والحركة الماركسية التي كانت تسعى إلى تنمية الوعي السياسي لدى البروليتاريا.

وهناك أيضا فئة أخرى من الجماهير لها أهمية كبرى في المستعمرات وأشباه المستعمرات. وهي الطلبة الذين كانوا عام ١٩٤٥ كثيري العدد، ويعمل ـ أو يقع ـ أغلبهم تحت تأثير الشيوعية.

وقد تأثرت الحركة الوطنية المصرية بما تميزت به الحرب الثانية من سمة التحرر وزادت قوتها بتزايد تأثير الاتحاد السوفييتي والذي لعب الدور الأساسي عالميا بالنسبة لقضية تحرير جميع الشعوب. وفي

داخل تلك الحركة الوطنية ـ والتي كان الوفد غالبا هو قيادتها الفعلية ـ احتلت الحركة الشيوعية مكانها وأخذت تقترب من موقع القيادة.

وفي أوائل عام ١٩٤٦، في شهر فبراير على وجه التحديد، قمعت السلطة مظاهرة طلابية بعنف شديد، وسقط عشرات الطلاب في النيل، وهو ما عرف بمذبحة كوبري عباس. وأمام استنكار جماهير الشعب اضطرت الحكومة (التي كان يساندها كل من القصر والإنجليز والاحتكاريون المصريون) إلى الاستقالة.

وفي الوقت نفسه، تأسست في القاهرة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وضمت مندوبين من النقابات ومن الاتحادات الطلابية.

وكانت أغلبية هذه اللجنة ـ وهي جنين حقيقي لجبهة ثورية وطنية ـ أعضاء في الوقت نفسه في تنظيمات شيوعية مختلفة ـ وأصدرت تلك اللجنة كثيرا من النداءات والمنشورات وتميزت بديناميكية كبيرة.

وفي خلال عدة أيام، أصبحت تلك اللجنة على رأس الحركة الوطنية في مصر. أما الوفد فأخذت لجنته القيادية موقفا سلبيا بتأثير الخوف، بينما أيدت شبيبة الوفد اللجنة الوطنية (بل وحتى بعثوا بممثلين لهم فيها).. وكذلك أيدتها الصحافة الواقعة تحت تأثير الجناح اليساري من الوفد.

وبدأت اللجنة الوطنية على الفور تكوين لجان إقليمية (محلية) في جميع المدن المصرية فنادت بإضراب عام ضد الإمبريالية في الحادي والعشرين من شهر فبراير. وكان ذلك يوما لا يُنسى فقد توقفت الحياة تماما ليس فقط في المصانع ومرافق المواصلات والجامعة والمحلات، وإنما أيضا في جميع مصالح الحكومة.

ونظمت مظاهرات ضخمة صامتة تحت قيادة أعضاء من اللجنة، قاموا بإلقاء الخطب في مختلف أنحاء القاهرة. وحين اقتربت

المظاهرات من تكنات جنود الاحتلال قرب قصر النيل، أطلقت عليهم النيران حيث قتل العشرات. وأصدر البوليس المصري نداءا إلى الجيش، وجاءت لحظة كاد فيها الجيش المصري الذي هتف له المتظاهرون ان يطلق النار على قوات الاحتلال البريطاني التي انتشرت في الطرق بالمصفحات.

وقد ظل هذا اليوم الذي شهد لأول مرة قيام الشيوعيين بقيادة الحركة الوطنية المصرية سياسيا وتنظيميا، اشهر وأهم يوم في تاريخ الحركة الوطنية المصرية تحت اسم يوم الجلاء. وقد أدى بالفعل إلى جلاء القوات البريطانية من القاهرة والإسكندرية وتمركزهم في منطقة القناة.

وجعل الاتحاد العالمي للشباب الديموقراطي يوم ٢١ فبراير عيدا عالميا لكفاح الشعوب المستعمرة. فقد شهد هذا اليوم نفسه في الهند أيضا هبة جماهيرية ضد الاستعمار.

ثم أصدرت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بعد عدة أيام نداءا بالقيام بإضراب عام في مصر للاحتجاج على مذبحة ٢١ فبراير وتم تنفيذ ذلك الإضراب بشكل كامل في جميع مدن مصر.

وحين رأت حكومة الباشا الرجعي صدقي نفسها في خطر، لجأت إلى الإخوان المسلمين لبث الاضطراب في صفوف الشعب. وكون أولئك لجنة أخرى أخذت تصدر البيانات الديماجوجية والتي في حقيقتها تؤيد الحكومة.

وكان لجوء الحكومة إلى تنظيم فاشستي لمقاومة الحركة الديموقراطية دليلا جديدا على نمو تلك الحركة. ومن ناحية أخرى فقد فشلت محاولات الإخوان المسلمين وانضمت كثير من قواعدها إلى اللجنة الوطنية.

وقد شكل تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال نقطة تحول في تاريخ الحركة الشيوعية في مصر. فقد اكتشفت هذه الحركة لأول مرة مدى قوتها وقدرتها على السيطرة على الجماهير (ولقد أصيبت مختلف المنظمات الشيوعية نفسها بالدهشة إزاء النتائج التي أسفرت عنها حركتهم) ولكن للأسف فان الصراعات الانقسامية بين المنظمات الشيوعية قد استمرت في داخل اللجنة ـ الأمر الذي كان لابد وأن يؤدي لاضعافها.

وتحت قيادة الشيوعيين (المنتمين إلى مختلف المنظمات) وجهت الدعوة لإقامة مؤتمر للنقابات لأول مرة في مايو ١٩٤٦، ولكن البوليس حاصر المقر الذي كان مقرراً عقده به. إلا أن المنظمين قرروا في اللحظة الأخيرة تغيير مكان الاجتماع مما أدى إلى إمكان انعقاده، وأصدر هذا المؤتمر كراسة مطالب للطبقة العاملة وبدأت جماهير الطبقة العاملة المصرية في التجمع تحت لواء الشيوعيين.

ومما لاشك فيه ان الشيوعيين لو كانوا منظمين في حزب (وليسوا منقسمين على أنفسهم) ولو كان لهم برنامج معلن واستراتيجية موضوعة (بدلا من الارتجال التقليدي) لكان بإمكانهم ان يحافظوا على مكانهم على رأس الحركة الوطنية المصرية ويدعموه. ذلك المكان الذي حصلوا عليه حين طرحوا شعاراً واضحاً ومحدوداً هو الجلاء. وكان بإمكانهم أن يكسبوا إلى صفوفهم الطبقة العاملة التي كانت تزداد نضالية، ويجب هنا أيضاً أن نؤكد أن الخطأ الأكبر لتلك اللجنة هو عدم ارتباطها بالفلاحين وهو الأمر الذي حال بينها وبين تجربتها ـ وإلى جانب الاضطرابات السياسية فقد نظمت سلسلة من الاضطرابات الاقتصادية قام بها العمال، ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية، لم يعد باستطاعة عديد من المصانع في مصر ( وكثير منها أجنبي، أن تستمر في تحقيق الأرباح الخيالية التي كانت تحصل عليها إبان الحرب، ومن ثم حاولت تخفيض أجور

## تقديم

أنا عضو في الحزب الشيوعي الإيطالي، وأخضع بطبيعة الحال لنظام ولائحة الحزب ولذلك لا أستطيع أن أتدخل في المسائل الخاصة بالحركة الوطنية المصرية وبما أن أي حديث عن الماضي يمتد دائما إلى الحاضر وخاصة إذا تعلقت المسألة بالحركة الثورية المصرية والتي تميزت بالسرية والانقسامات، لذلك كان الدافع لكتابة هذه الذكريات هو الشعور بأداء واجب نحو هذه الحركة التي أتشرف ومازلت بأنني كنت في يوم من الأيام عضوا في صفوفها.

وسأحاول بقدر الإمكان (وهذا أمر بالغ الصعوبة) تجنب كل تفسير أو أحكام قد يستطيع أن يعيد إلى الحياة منازعات قديمة، مع الحرص في نفس الوقت على ألا أقع في عملية تجميل للواقع بتغطية جوانبه السلبية.

أن كافة التحليلات والآراء والمنطلقات السياسية التي أدافع عنها هنا، تخص الماضي ولذا لا أتحمل مسئولية فيما يختص بتفسيرها أو تطبيقها على الواقع الحاضر للحركة.

العاملين. ولكن العمال عبروا دائماً عن درجة عالية من النضالية حين يتعلق الأمر بتحقيق مستوى أعلى من الموجود فعلاً.

فقد قاوموا محاولات أصحاب المصانع والتفوا حول نقاباتهم. وقد جمع مؤتمر مايو ١٩٤٦ فعلياً الطبقة العاملة على المستوى الوطني. وكان كثير من قادته ينتمون إلى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التي كانت تأثيرها السياسي في تزايد مستمر. وكانت قد دعت منظمات الموظفين والمستخدمين إلى إرسال مندوبين عنهم فيها. وقررت حكومة صدقي بأوامر من الإمبريالية اللجوء إلى العنف. فقبض على عدد كبير من النقابيين في شهر مايو وعلى رأسهم من شاركوا في اللجنة الوطنية. وفي يوليو منعت جميع الصحف التقدمية من الصدور (الفجر الجديد ــ الطليعة ــ أم درمان) بالإضافة إلى جريدة يومية وفدية كبيرة هي الوفد المصري بتهمة تأييد اللجنة الوطنية واعتقل مئات الشيوعيين والوطنيين التقدميين وأقيمت عليهم دعوى كبرى سميت المؤامرة الشيوعية وأثارت ضجة كبرى حول الذي صوروه على انه المليونير اليهودي زعيم الحركة الشيوعية. (وذلك بهدف الحط من شأنه والإساءة إلى سمعته) وحين افرج القضاء عن جميع المتهمين قدم صدقي مرسوما بقانون يشكل تشريعا جديدا مضادا للشيوعيين مستوحى من التشريع الفاشيستي (وهو التشريع الذي يحاكم الشيوعيين بمقتضاه حتى اليوم).

وبمجرد خروج الطلبة المصريين من السجن. شاركوا في المؤتمر العالمي للطلاب في براج وانتخب أحدهم عضواً في اللجنة التنفيذية وفي نفس الفترة التي ارتبطت فيها الحركة الشيوعية بالجماهير (العمال والبرجوازية الصغيرة) ظهر تيار قوي في قواعد مختلف المنظمات يدعو إلى توحيدها. وكان ذلك التيار سائداً بالذات بين العناصر التي اقتضى عملها اتصالاً مباشراً بالجماهير وحظي هذا التيار بتأييد قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية خلال مرورهم بالقاهرة. وكذلك

بتأييد عضويين من الحزب الشيوعي البريطاني. وعقدت كثير من الاجتماعات بين هؤلاء وبين قيادات المنظمات الشيوعية المختلفة في مصر في أوائل ١٩٤٦. وشكلت لجنة للتوحيد ودعيت كل من المنظمات الأربع الموجودة إلى إرسال ممثلين عنها في تلك اللجنة، لمناقشة الخلافات التي تفصل بين تلك التنظيمات. ووافقت على ذلك جميع المنظمات ماعدا الفجر الجديد التي رفضت الاعتراف بأن المنظمات الثلاث الأخرى شيوعية. ولكن المنظمات الثلاثة الباقية قررت استئناف المناقشات في موضوع التوحيد وقام على الفور تعاون ومشاركة على مستوى العمل العلني (المشروع).

وتكونت لجان فرعية للتنسيق. وفي النهاية انضمت الفجر الجديد إلى إحدى هذه اللجان. وهي المختصة بتوجيه الصحافة العلنية.

وبذلك حدث تعاون بين المجلات الثلاثة الكبرى وهي الفجر الجديد والطليعة وأم درمان (قبل أن يمنع صدورها). وفي النهاية تعاونت التنظيمات الثلاث في إصدار نشرة شهرية سموها (وحدة) وكانت تلك هي المحاولة الرابعة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية. (وقد تمت أيضاً بمساعدة الشيوعيين غير المصريين).

واصطدمت هي الأخرى بالعناد الانفصالي لمجموعة الفجر الجديد. وتميزت هذه المحاولة عن الثلاثة التي سبقتها بحدوثها في مرحلة لم تكن الحركة الشيوعية فيها قد تم تمصير غالبيتها فقط وإنما أيضاً كانت قد بدأت ترتبط عضوياً بالطبقة العاملة وبالجماهير، ولكن تلك المحاولة تشابهت مع سابقتها في انها خلفت انفصالاً مصطنعاً بين قضية التوحيد وقضية بناء الحزب. أو إعادة بنائه بعبارة أصح. فبدلاً من مناقشة البرنامج واللائحة والخط الاستراتيجي والتكتيكي، أو باختصار بدلاً من مناقشة توحيد الحزب انصرفت اللجنة إلى مناقشة الاتهامات المتبادلة في الأمور التفصيلية.

ولكن ذلك لا ينفي أن هذه اللجنة قد حققت بعض النتائج. وفي بداية ١٩٤٧ اتحدت كل من اسكرا وتحرير الشعب مكونين منظمة جديدة سميت الطليعة المتحدة. وقد اتحدت تلك المنظمة بدورها بعد عدة أشهر مع الحركة المصرية للتحرر الوطني مكونة المنظمة الكبرى المعروفة باسم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني "حدتو". وفي يوليو وأغسطس ٩٤٦ تأسست منظمة جديدة انقسمت عن الحركة المصرية للتحرر الوطني مجموعة اتخذت اسماً لها " العصبة الماركسية ". وفي نفس الوقت رفض بعض أعضاء تحرير الشعب الاعتراف بالاتحاد مع اسكرا وأعادوا تكوين منظمتهم باسمها القديم.

وشكل تكوين "حدتو" خطوة واسعة في تقديم الشيوعية المصرية وقد كان هذا التنظيم قائماً على أساس أقرب إلى الجبهة الوطنية منه إلى الحزب ويجب أن نتذكر هنا أنه مع بداية تمصير الحركة الشيوعية أصبح المصريون والأجانب ينظمون بشكل منفصل ومستقل في داخل المنظمات الشيوعية القائمة (وقد كان أغلب الأجانب لا يعرفون حتى اللغة العربية وتختلف ميادين نشاطهم عن ميادين نشاط المصريين تماماً). وحين بدأ الارتباط بالعمال اتسع نطاق تطبيق هذا الأسلوب بحيث نظم قطاع منفصل للعمال وآخر للطلبة وهكذا. وقامت اللجنة المركزية لكل منظمة بتوزيع المسئوليات عن مختلف القطاعات على أعضائها. أما داخل "حدتو" وهي الشكل الذي ولد تاريخيا كنتيجة لتكوين الحركة في بدايتها من الأجانب فقد تطورت إلى نوع من الفدرالية. (وحتى الآن يرجع عدد كبير من الصفات المميزة للحركة الشيوعية المصرية إلى التركيب الأجنبي الأصل للقيادات) بحيث أن كلا من قطاعاتها (وكان هناك حوالي عشرة قطاعات مقسمة تبعاً للطبقة الاجتماعية والجنس والجنسية .. الخ) كانت ترسل ممثلاً إلى اللجنة المركزية حيث غلبت على طبيعة المناقشات بين أعضائها لغة التحاور

بين ممثلين لقطاعات مختلفة أكثر من العمل على قيادة وتحريك التنظيم ككل. وبالإضافة إلى ذلك، كان لكل قطاع نشرته أو جريدته السرية. وكثيراً ما كان يحدث أن تتبع تلك الجرائد خطوطا مختلفة بل ومتناقضة.

وكانت حدتو وهي منظمة مصرية أساساً تخضع لقيادة سكرتارية يسيطر عليها اثنان من الأجانب (يكره كل منها الآخر). الأول باعتباره سكرتيراً سياسياً. والثاني تنظيمياً. وسادت أشد أشكال المركزية بيروقراطية في ذلك التنظيم. أو بالأحرى فان أموراً مثل حق النقد أو إمكانية مناقشة الخط الذي تتخذه القيادات كانت منعدمة تماماً في القاعدة.

واستمراراً لاتجاه التلقائية الذي ساد الحركة الشيوعية المصرية فان "حدتو" لم يكن لديها أي برنامج أو لائحة واكتفت بأن تطرح من وقت إلى آخر خطوط تكتيكية متفاوتة في الصحة (فمثلاً خطها تجاه المسألة الفلسطينية كان سليماً أما تجاه المسألة السودانية فقد اعتبر موقفها انحرافا شوفينيا). وقد ضمت حدتو في وقت من الأوقات حوالي ألف وستمائة عضو وكانت المنظمة المصرية الأولى التي أنشأت فروعاً في جميع أنحاء مصر (كانت لها فروع في جميع المدن المصرية) وقد جندت أعضاء من بين أفراد الجيش المصري كما بدأت في إنشاء علاقات مع الفلاحين وكانت لديها مجلة أسبوعية علنية هي " الجماهير" التي أنشأتها " الطليعة المتحدة " عشية التوحيد وكان يديرها صحفي موهوب هو شهدي عطية الشافعي (الذي حكم عليه عام ١٩٤٩ بالأشغال الشاقة سبع سنوات مع وضع القيود في قدميه) ووصل توزيع هذه المجلة إلى ١٥ ألف نسخة وكانت هي الأداة المحركة والمسيطرة على الجامعة حيث أخذ التجنيد صورة متزايدة السرعة. كما كانت هي المنظمة الوحيدة التي لها علاقة عملية بالعمال في القاعدة الصناعية

بالإسكندرية، أما في القاهرة فقد شاركتها منظمة الفجر الجديد في تأثيرها على العمال. وكانت "حدتو" توزع عدداً كبيراً من المنشورات السرية سواء في مجال الكفاح السياسي أو الاقتصادي ولجأت في كثير من الأحيان إلى الملصقات الحائطية ولكنها أهملت الجريدة المركزية السرية التي لم تعد تصدر بشكل منتظم واتسمت مادتها بالسطحية التي تعكس عدم اهتمام اللجنة المركزية، كذلك فقد أهمل التكوين النظري للأعضاء إهمالاً خطيراً. وظهر تيار داخل اللجنة المركزية ينادي بتقوية النشاط التثقيفي. وتم تدعيم مكتب الدعاية المركزي وسرعان ما ظهرت نشرة نظرية دورية باسم " الوعي" ونشرت مقتطفات من نشرة مكتب الدعاية باللغة العربية ونظمت دراسات في الماركسية بالإضافة إلى صدور عدد كبير من الكتيبات بشكل علني وشرعي عن طريق دار نشر الفجر (التي أعيد تأسيسها تحت القيادة النشطة لمؤسسها أسعد حليم) منها تقرير زدانوف وبالإضافة إلى ذلك كانت تصدر نشرة باللغتين الفرنسية والإنجليزية باسم " أخبار مصر" بغرض إحاطة الحركة الشيوعية العالمية بالموقف في مصر. كذلك كانت حدتو على علاقة رسمية بمكتب المستعمرات في الحزب الشيوعي الفرنسي. وإلى جانب ذلك ففي عام ١٩٤٧ كلف عضوان لدى مرورهما بإيطاليا بمناقشة قيادة الحزب في بعض المسائل التكتيكية مثل (خلق حزب ديموقراطي ــ دور الأجانب في الحركة المصرية .. الخ) ولدى عودتهما إلى مصر قدما تقريرا ناقشته قيادة حدتو.

وكانت حدتو أكثر المنظمات تأثيرا على الجماهير المصرية بشكل يفوق كثيرا جميع المنظمات الأخرى مجتمعة ويمكن إرجاع ذلك إلى الديناميكية الثورية لكادراتها الوسطى وأعضائها العاديين بالإضافة إلى إخلاصهم الكامل لقضية الشيوعية.

وبعد ذلك انضمت كل من الفجر الجديد، تحرير الشعب، العصبة الماركسية تحت لواء الفجر الجديد وارتبطوا في الوقت نفسه بمنظمة إسلامية تدعى الشيوعية ولكنها معادية للماركسية وهي حزب شعب وادي النيل مكونين بذلك جبهة معارضة هدفها الوحيد هو القضاء على حدتو باعتبارها تنظيما انتهازيا ولجأت هذه الجبهة المعارضة إلى إنشاء نواة داخل حدتو لتشجيع النزعات الانفصالية فيها، كذلك وزعت على العمال والطلبة والمثقفين منشورات معادية لحدتو. وأدى الصراع المتزايد المرارة بين جبهة المعارضة بقيادة الفجر الجديد وبين حدتو إلى بذر الشقاق بين الصفوف وإلى إحداث شلل حقيقي في الحركة العمالية (خصوصا في شبرا الخيمة) مما نتج عنه تباعد عدد كبير من العمال عن الحركة الشيوعية والنقابية.

ومن الجدير بالذكر انه في عام ١٩٤٧ كتب شهدي عطية الشافعي في جريدة الجماهير موضوعا أساسه فكرة ان الجماهير الشعبية في حاجة إلى حزب من طراز جديد (وكان يعني بذلك حزبا شيوعيا) وردت عليه الفجر الجديد بواسطة أحد قياداتها في جريدة وفدية بأن الشعب المصري ليس في حاجة إلى أي أحزاب جديدة طالما ان حزب الوفد موجود وهو يكفي لتحرير الشعب. وأحدثت هذه المناظرة أصداء واسعة بين صفوف الشيوعيين فقد أوضحت من جانب وجود اتجاه لتفهم ضرورة ان يتم أخيراً تأسيس الحزب كما أوضحت من جانب آخر ارتباط الفجر الجديد بالفكرة الانتهازية التصفوية بتنظيم الشيوعيين كجناح يساري لحزب الوفد.

واستمرت حدتو في النمو دون توقف وازداد ارتباطها بالجماهير ولكن بالنظر إلى عملها دون برنامج ودون استراتيجية واضحة التحديد فقد تضخمت قطاعاتها الطلابية والبرجوازية الصغيرة عموما بما ينتج عن ذلك من ضعف نسبي للقطاعات العمالية مما أدى إلى حدوث تفكك

حقيقي لهذا القطاع. وساعد التنظيم الفيدرالي للمنظمة ذلك الاتجاه البرجوازي الصغير لحدتو. وأكثر من هذا فقد ثار نقاش في اللجنة المركزية حول ما إذا كان الحزب هو طليعة الطبقة العاملة أم أنها يجب ان تعتبر طليعة جميع العاملين ( بما في ذلك البرجوازية الصغيرة). وقد دافعت مجموعة عن هذه الفكرة (التي سميت آنذاك خط القوات الوطنية الديموقراطية) وذلك استنادا إلى جملة ذكرها ديمتروف في إحدى خطبه بالإضافة إلى تفسير خاطئ للديموقراطيات الشعبية ـ وفي نفس الوقت ظهرت مجموعة أخرى على رأسها أحد أعضاء السكرتارية اسمه المستعار عادل(*) تدافع عن الفكرة الماركسية وتعتبر فكرة يونس نموذجا للانتهازية والمراجعة.

وسرعان ما انقسمت حدتو إلى فريقين يناصر أحدهما فكرة يونس والآخر فكرة عادل وأخذ الصراع بينهما يتزايد حدة. لقد وضع أنصار الفريق الأول البرجوازية الصغيرة على قدم المساواة في ثوريتها مع البروليتاريا. كما انهم تحت تأثير تيتو (قبل طرده من مكتب الإعلام) لم يروا أي ضرر في الشكل التنظيمي لحدتو التي أدمجت الحزب في جبهة ولا في اتجاهها السياسي البرجوازي الصغير، أما الفريق الآخر (العادليين) فقد أعلن على العكس رفضه للجبهة (رغم ان ذلك في البداية لم يكن بشكل كامل الوضوح) وتركيز النشاط بين العمال دون أن يعني ذلك توقف النشاط بالنسبة للشرائح الأخرى من المجتمع. وفي أوائل ١٩٤٨ فرض العادليون على اليونسيين إنشاء مدرسة ماركسية مركزية (سرية بالطبع) لتكوين كوادر قيادية عمالية وظلت الدراسة مستمرة بها طوال أربعة أشهر بواقع ست ساعات يوميا لعشرة من العمال.

ولكن عدم الرضا امتد إلى قواعد حدتو فانقسام القيادة إلى فريقين متعادلين يصارع كل منهما للسيطرة عليها وانحراف الخط السياسي

* ـ عبد المعبود الجبيلي

تجاه البرجوازية الصغيرة وعدم وجود صحيفة مركزية منتظمة تحيط الأعضاء علما بالخط السياسي المتبع بالإضافة إلى عدم السماح سواء بالنقد الذاتي أو بمناقشة الخط السياسي داخل المنظمة (رغم النداءات المؤثرة للقاعدة) كل هذه كانت العناصر الداخلية التي أدت إلى إثارة الأزمة الكبرى لحدتو

ويجب ألا نغفل هنا أثر العوامل الخارجية أيضا في تلك الأزمة والتي تمثلت في الحملة التي كانت تشنها الفجر الجديد بالإضافة إلى الضربات المضاعفة للبوليس والتي لاشك أنها أخافت بعض العناصر ودفعتهم إلى الثورة على القيادة باعتبارها مسئولة أيضاً عن غياب عنصر الأمن داخل التنظيم.

وشهد عام ١٩٤٨ انفجار وتصاعد أكبر أزمة مرت بها الحركة الشيوعية في مصر والتي أدت في خلال عدة أشهر إلى انقسام (وبعبارة أدق تفتت) حدتو. كما شهد ذلك العام أيضا تصاعد مشاعر الاستياء بين الجماهير المصرية فتتابعت إضرابات العمال والموظفين بل وشهد إبريل ١٩٤٨ الإضراب الشهير للشرطة. فلم يكن النظام الذي فرضه فاروق الفاسد مستندا إلا إلى القوة الغاشمة وسعى ذلك النظام بمباركة الإمبريالية البريطانية إلى الانحراف. ومن ثم كانت حرب فلسطين. وفي نفس يوم إعلان تلك الحرب والقبض على بعض الصهيونيين بدأت حملة اصطياد الشيوعيين وسرعان ما امتلأت معسكرات الاعتقال بمئات من المناضلين المنتمين إلى مختلف التنظيمات هذا إذا تركنا جانبا اعتقال العمال لمجرد انهم نقابيين.

واتخذت الأزمة التي واجهتها حدتو أساسا شكل تكتلات أو تمردات تكونت داخل الحركة ورفضت الاعتراف بسلطة اللجنة وكانت التكتلية استنادا ـ محرفا من الناحية النظرية ـ إلى الانشقاق البولشيفيكي داخل الحزب الاشتراكي الديموقراطي الروسي (من ١٩٠٣ـ١٩١٢) يجب أن

نتذكر أنه منذ ١٩٤٦ كان الاتجاه نحو الوحدة قوياً جداً بين صفوف الشيوعيين (خصوصاً الكوادر الوسطى والأعضاء القاعدين) الذين كانوا يشكون من حالة الانقسام ومن الصراعات التكتلية. وقد اتخذت عمليات الانقسام صورة التكتل منذ ١٩٤٨ لأن هذه الصورة الأخيرة كانت تبدو من الناحية الديماجوجية في عيون الجماهير وكأنها موقف يتخذه أعضاء يحافظون على وحدة التنظيم ولكنهم في نفس الوقت ضد سلطة اللجنة المركزية. وكان التكتل يبدو نتاجاً لكل من التيار التوحيدي والتقاليد الانقسامية لدى الحركة الشيوعية المصرية. وكان الأعضاء المنضمين إلى أحد التكتلات يعتقدون أنهم مازالوا أعضاء في التنظيم بالرغم من أنهم في الحقيقة لم يكونوا كذلك. ومن هنا فان التكتل في مصر أخذ صورة أخطر من الانقسام المعلن وذلك لأنه بالإضافة إلى كونه ينسف من الناحية الأيديولوجية كل مبادئ المركزية فانه لم يكن إلا انفصالا واقعيا مموها بأسلوب ديماجوجي. وبهذا المعنى أدين هذا الأسلوب في دراسة نظرية نشرت في سبتمبر ١٩٤٨ وأحدثت تأثيراً كبيراً على مختلف التكتلات الموجودة وقضت عليها سواء بتوحيدها أو بتحويلها إلى انفصالات معلنة وتكوين تنظيمات جديدة.

وكان أول تكتل يحدث (والذي سرعان ما انتهى إلى انفصال) هو التكتل الثوري الذي انتقد بشدة سياسة حدتو مزيحاً الستار عن بعض الانحرافات في داخلها واقترح التزام خط التركيز على العمل بين العمال. وأخطأت هذه المجموعة باللجوء إلى أساليب عنيفة على حدتو (مهاجمة الأجهزة الفنية ومخازن الكتب .. الخ والاستيلاء عليها) وأدى هذا بالإضافة إلى سرعان تحول التكتل إلى انفصال كامل وتشكيلها منظمة جديدة أدى إلى تخلي غالبية الأعضاء عنه وانضمامهم إلى انقسام جديد تكون في نفس فترة تكوين التكتل الثوري ويُسمى "صوت المعارضة" وكان ديماجوجياً يدين انفصال التكتل الثوري وينادي بخط

يقوم على قصر النشاط على الأوساط العمالية (مستنداً إلى تفسير لجملة للينين في "واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الــروس" وصار هـذا الانقسام الجديد بطلاً لأكثر النظريات عبثاً وطفولية (الوحـدة الاسـمية للتنظيم في مواجهة المركزية) وأكثر المواقف تطرفاً نحو اليسار (وظلت طوال مرحلة تاريخية تقصر نشاطها على العمال) الحزب لا يتكـون إلا بعد أن تصبح الطبقة العاملة قوة سياسية معترف بها. وهــذا الانقسـام الذي انضم إليه قسم المثقفين وقسم الأجانب في حدتو انتهى بالانفصـال رسمياً عنها في أواخر ١٩٤٨ وتكوين منظمة جديدة باســم المنظمـة الشيوعية المصرية م. ش. م وكانت تخضع واقعياً لقيادة مجموعة مــن الأجانب يعتقدون أنهم سوف يقضون على كـــل أخطــاء وانحرافـات الحركة الشيوعية المصرية بالالتزام بحرفيــة الماركسـية وبمحاولـة التكرار الحر في صحفة بصفحة لتاريخ الحزب الشيوعي في الاتحــاد السوفييتي. ومع علمنا بأن هذا الأسلوب للحركة لا ينتمي فـــي شــيء للماركسية (حيث لا يمكن أن تتحول الماركسية إلى دوجما) فانــه أدى غالباً إلى الانزلاق إلى تفسيرات خاطئة لـــهذه النصــوص. وتمـيزت مجموعة الأجانب التي ظلت حتى ١٩٤٨ ورغم عملية التمصير للحركة الشيوعية تكون مجموعة هامة في هذه الحركة تميزت دائما بدوجماتيـة مذهبية وهو أمر يمكن فهمه حين نأخذ في اعتبارنا أنه كان من المتـاح لهم الاطلاع ودراسة الماركسية أكثر من المصرييــن بكثـير "بسـبب معرفتهم باللغات الأجنبية" ولكنهم كانوا أقل بكثير من المصريين معرفة بالواقع المصري مما جعل من كثير منهم وكما قال ماركس ــ فلاسـفة خلف المتاريس ــ بل أن بعض هؤلاء الأجــانب اسـتغلوا معرفتـهم بالنصوص الماركسية ليفرضوا وجودهم دون وجه حـــق علــى رأس الحركة الشيوعية المصرية. وهذا التجمع من الشيوعيين الأجانب (الذي يتكون أساساً من يهود مختلف الجنسيات) بعد أن أمضى سنوات طويلـة

اسمي (مارسيل شيريزي) ـ مارسيل إسرائيل سابقا.

بمجرد وصولي إلى إيطاليا استرجعت بأمر من رئيس الجمهورية الإيطالية أسم العائلة الأصلي (شيريزي) وهذا لاستبعاد أية اختلاط أو صلة بيني وبين دولة إسرائيل ـ حتى ولو أسميا ـ لأنني قد كافحت ومازلت أكافح ضد سياستها العدوانية تجاه الشعوب العربية.

وقد حرصت على أن أكون موضوعيا في كتابة هذه المذكرات، ولم أكن متواضعا وهذا يرجع إلى أنني أعتبر أن التواضع هو أخطر أشكال التفاخر.

## بعض المعلومات عن حياتي:

ـ ولدت في القاهرة بشارع تورسينا، وهو شارع شعبي بحي الظاهر في ١٩١٣/٧/١٧ وأنتمي عن طريق والدي إلى عائلة إيطالية هاجرت إلى مصر في أوائل القرن التاسع عشر، وقد جاء جدي إلى مصر بناء على فرمان من السلطان العثماني لتعيينه رئيسا لطائفة اليهود بمصر، ثم أصبح في عهد الخديوي إسماعيل عضوا في المجلس الاستشاري وتحول بعد ذلك بطبيعة منصبه إلى أحد كبار الملاك الإقطاعيين بمنطقة ميت غمر، وقد كان والدي متمصرا إلى حد كبير وكان معظم أصدقائه من المصريين (وأذكر من بينهم ـ يوسف الجندي/ إمبراطور زفتى) وكان والدي يتكلم اللغة العربية ويرتدي الطربوش ولم يتخلف مرة واحدة عن حضور حفلات غناء صالح عبد الحي، وكان يطلق عليَّ أسم مرقص، وفي نهاية الحرب

في دراسة الكتب الماركسية دون أن يساهم فعلياً في أي نضال سياسي.. (باستثناء بعض الإيطاليين المعاديين للفاشية الذين ظلوا طوال الحرب ينشرون جريدة تقدمية توزع بصفة أساسية بين المسجونين الإيطاليين هذا التجمع سرعان ما تورط منذ ١٩٤٧ في صراعات عنيفة من البوليس، خصوصاً بعد تكوين الرابطة اليهودية المعادية للصهيونية التي لم ينضم إليها سوى اليهود الشيوعيين. فقد وجهت إليها في مصر والذين كان نفوذهم ضخماً آنذاك. وقد ضعف جزء من هذا التجمع وتخلى عن الحركة أما الباقي فقد ازداد صلابة وانغمس في أكثر صور التطرف ويجب إبراز واقعة أن غالبية هؤلاء قد شكلوا رصيداً قوياً للانقسامات وخصوصاً في بداية تكونها.

أما ثالث انقسام يكون داخل "حدتو" وكان نحو منظمة بلشفية (ن.م.ب) وتكون أساساً من قسم الطلاب (وكما نرى فان مختلف قطاعات حدتو كونت انقسامات مختلفة، ولكنه بعد عدة أشهر اندمجت ن.م.ب مع "صوت المعارضة" لتكوين " المنظمة الشيوعية المصرية م.ش.م ".

ورغم تشكيل هذه الانقسامات الثلاثة فقد ظل الصراع متزايد المرارة داخل "حدتو" بين اليونسيين والعادليين "الذين كانوا يتقاسمون بالتساوي مقاعد اللجنة المركزية تقريباً. وفي يونيه ١٩٤٨ تشكل انقسام سري بواسطة عدد من اليونسيين ولكنه صفى فيما بعد وأخيراً في يوليو ٤٨ وعلى أساس حجة سخيفة طرد اليونسيون العادليين (في اللجنة المركزية طرد الأعضاء الخمسة اليونسيون الأعضاء الأربعة العادليين) وكان العادلين الذين كانوا يعتمدون أساساً على كوادر المكتب المركزي للدعاية، قد قرروا تكوين لجنة تنظيمية لعقد مؤتمر لأعضاء "حدتو" من أجل تحديد خط التنظيم وانتخاب لجنة مركزية جديدة وكان ذلك قراراً صائباً وليس تكتلياً ولا انقسامياً يقوم على أساس رفض اللجنة المركزية

القديمة وأن عقد مؤتمر يعكس رغبة أغلب الأعضاء وخاصة العمال. فان المناقشات حول الخط المتبع أوضحت سقوط اللجنة المركزية، وكذلك تطبيقاً للفكرة التي أوردها لينين عام ١٩٤ وقبلها مؤتمر ١٩٠٥.. (اللوائح الحالية للحزب الشيوعي السوفييتي تعطي المنظمات الحزبية نفس هذا الحق. فقرة ٤ بند ٣٠).

والحقيقة أن "حدتو" بالنظر إلى ظروف النضال السري كانت تخضع لمبدأ المركزية وليس المركزية الديموقراطية، ولكن الأزمة الحادة التي مرت بها هذه المنطقة وتفتتها إلى انقسامات وانشقاق لجنتها المركزية، جعلت من الضروري عقد مؤتمر، حيث يتم على الأقل فتح الباب لمناقشة عامة. ولكن لسوء الحظ فإن اللجنة التي تكونت لتنظيم المؤتمر اتبعت خطا لا يمكن وصفه إلا بالانقسامية (رغم انها تشكلت أساساً لحماية وحدة المنظمة). وفي الواقع فلقد فرضت تلك اللجنة شروطاً مسبقة للمشاركة تستند إلى إدانة اليونسيين (وهو ما يؤدي تلقائياً إلى استبعادهم جميعاً) وإدانة الانقسامية (وهو ما يستبعد أيضاً الكثيرين من الأعضاء ضحايا مختلف الانقسامات) وذلك بدلاً من أن تتركهم ليدينهم المؤتمر نفسه بالإضافة إلى ذلك فقد حددت اللجنة موعداً لعقد المؤتمر لا يترك الفرصة عملياً للأعداد الأيديولوجي له، رغم أن التوضيح الأيديولوجي كان من ألح الضرورات بالنظر إلى ما ساد هذه الفترة من ارتباك وغموض. وبذلك فان المؤتمر الذي انعقد كان من الناحية الواقعية مؤتمراً انقسامياً أدى رغم أنفه إلى ميلاد منظمة جديدة سميت "المنظمة الثورية". ولكن هذا المؤتمر الذي عقد في يوليو ١٩٤٨ والذي عرف باسم "مؤتمر الـ٣٣" يشكل منعطفاً هاماً في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فقد كان أول مؤتمر منتخب يعقد في مصر حيث مثل ٣٣ مندوباً ما يقرب من مائتي عضو وحضره من القاهرة والإسكندرية إلى حلوان بالرغم من تطبيق الأحكام العرفية وحركة

الإرهاب المتزايدة ضد الشيوعيين بمناسبة حرب فلسطين. وكان أكثر من ثلث المندوبين من العمال.

ولكن ما يعطي أهمية خاصة لهذا المؤتمر هو الموقف الواضح الذي أتخذه تجاه مسألة إعادة تأسيس الحزب الشيوعي، فقد كان أحد التقريرين المقدمين للمؤتمر، يحلل أزمة الحركة الشيوعية المصرية، ويضع للمرة الأولى حلا لتلك الأزمة في توحيد جميع الشيوعيين المنتمين إلى مختلف التنظيمات حول برنامج ولائحة وخطر استراتيجي وتكتيكي أو باختصار توحيدهم داخل وعن طريق الحزب. وليؤكد المؤتمر ان المندوبين المشتركين فيه لا يمثلون إلا جزءا من الشيوعيين المصريين اعتبر المؤتمر نفسه مؤتمراً تحضيرياً.

ولكن الأهم منذ ذلك ان التقرير المعروض قدم إعادة تأسيس الحزب باعتبارها مهمة مباشرة وعاجلة يجب إنجازها قبل ٣١ ديسمبر ١٩٤٨. وأخيرا اقترح التقرير إنشاء لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب. لجنة يجب ان تدعي للمشاركة فيها وعلى قدم المساواة جميع المنظمات الشيوعية الموجودة في مصر. وكانت تلك اللجنة هي قيادة الإعداد الأيديولوجي للمؤتمر بفتح مناقشة عامة حول مختلف القضايا المتعلقة بالبرنامج واللائحة والخط الاستراتيجي والتكتيكي الذي تقدمه مختلف المنظمات. وأخيراً تحين لحظة عقد المؤتمر وكان على اللجنة مهمة ضرورية هي التنسيق بقدر الإمكان بين أنشطة مختلف المنظمات طوال فترة الإعداد للمؤتمر.

وقد وافق المؤتمر الـ ٣٣ على هذا المشروع بالإجماع. وفي النهاية وللتعبير عن إدانة المؤتمر للخط البرجوازي الصغير الانتهازي لحدتو قرر المؤتمر إضافة عبارة العمالية الثورية لاسم المنظمة وانتخب لجنة مركزية أغلبيتها من العمال.

وسرعان ما مرت المنظمة الجديدة بأزمة، فقد انتهز بعض أعضائها فرصة حدوث بعض المصاعب وكونوا تكتلا تحول إلى انقسام باسم " نحو حزب شيوعي" وقد أفاد هذا الانفصال الجماعة المتطرفة "صوت المعارضة" فائدة كبيرة بإضعافه ولو مؤقتا المنظمة الوحيدة التي كانت تناضل بفاعليه ضد نظرياتها الفوضوية والتصفوية، ولكن "العمالية الثورية" سرعان ما تخطت أزمتها الداخلية وأعادت تنظيم نفسها ونشرت دراسة حول "واجبات الحركة الشيوعية المصرية" الذي اعتبرته عدة تنظيمات منها إحدى المنظمات المنافسة وهي الفجر الجديد في نشرتها السرية "نصرا كبيرا للماركسية في مصر".

وبانتقال العمالية الثورية إلى مرحلة تكوين اللجنة التحضيرية لإعادة بناء الحزب فقد دعيت جميع المنظمات الشيوعية في مصر دون استثناء إلى المشاركة في تلك اللجنة. وكانت ثاني منظمة تشارك فيها بعد العمالية الثورية هي منظمة "نحو حزب شيوعي" ثم توالت عليها كل من حدتو (التي أعيد تشكيلها بقيادة جديدة) والعصبة الماركسية وأخيرا الفجر الجديد.

أما منظمة تحرير الشعب التي كانت تتفاوض للاندماج مع الفجر الجديد فقد أيدت اللجنة التحضيرية دون ان تشترك فيها. وكانت المنظمة الوحيدة التي حاربت اللجنة التحضيرية بكل قواها هي المنظمة الشيوعية المصرية (التي كانت تسمى صوت المعارضة) والتي كانت تعارض إنشاء الحزب.

**والحقيقة أنه منذ انقسام الحركة الماركسية في مصر في نهاية ١٩٣٨ كان هناك تياران في داخل تلك الحركة:**

**الأول:** تيار انفصالي يرى أن الحزب يجب أن يولد عن طريق النمو الذاتي لإحدى المنظمات الشيوعية والقضاء على المنظمات الأخرى التي تدان بالانتهازية وكان هذا التيار موجوداً في داخل جميع

المنظمات (حيث كانت كل منها تعتبر نفسها بالطبع المنظمة الشيوعية الوحيدة). ولكنه أخذ أقوى صورة في " الفجر الجديد ".

**أما التيار الثاني:** فكان يناضل من أجل توحيد جميع المنظمات التي تعتبر شيوعية (رغم انحرافاتها) ولكن حتى ١٩٤٨ كان هذا التيار الثاني يفصل ما بين مهمة توحيد الشيوعيين وبين مهمة إنشاء الحزب. وأخيراً توحدت هاتان المهمتان على أثر تكوين اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي المصري التي تعتبر خامس محاولة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية (وأكثرها أهمية واقتراباً من تحقيق أهدافها).

ومن جهة أخرى فحتى عام ١٩٤٨ انغمس كل من التيارين الانفصالي والتوحيدي في نظريات " تصفي الحزب قبل نشأته " وكان أخطرها ذلك الخط الذي ينادي بتنظيم الشيوعيين كجناح يساري لحزب الوفد البرجوازي (وهي الفكرة التي تبنتها الفجر الجديد) وكذلك فكرة تكوين جبهة بدلاً من الحزب والتي تبنتها حدتو مؤقتاً. وكان اشتراك هاتين المنظمتين في اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي يعني تراجعها عن هاتين الفكرتين التصفويين. واستقبلت جماهير الشيوعيين المصريين تكوين اللجنة التحضيرية بحماس كبير وحيث اشتراك منظمة الفجر الجديد فيها وهي التي ظلت طوال تاريخها تعارض فكرة الوحدة مع المنظمات الأخرى. وأعتبر ذلك إيذاناً بانتهاء التيار الانقسامي، ولكن ذلك التيار ظل حياً رغم ذلك التنظيم وأخذ شكلاً أوضح في حدتو حيث حاولت مجموعة اليونسيين تخريب اللجنة التحضيرية، ولكن تلك اللجنة التي يساندها جماهير الأعضاء في جميع المنظمات (ما عدا المنظمة الشيوعية المصرية) سارت بتصميم للأمام.

وخلال الربع الأول من عام ١٩٤٩ خضع تكوين الحركة الشيوعية المصرية لتغيرات كبيرة سواء على أثر تطورات داخلية فيها أو بتأثير اعتقال عشرات من المناضلين في معسكرات الاعتقال.

وكان الموقف كالتالي:

(١) كانت المنظمة العمالية الثورية هي أكثر المنظمات ديناميكية وأسرعها نمواً. وبمساعدة نشرة نظرية سرية هي " الكادر العمالي" كانت تصدر أسبوعياً بانتظام وتحارب انحرافات اليمين واليسار وتقود بحزم المعركة من أجل إنشاء الحزب.

وفي بداية العام انتخب كونفرنس جديد سرعان ما أسس جريدة سياسية سرية هي " الخبز والحرية " كانت توزع بين صفوف العمال والطلبة وكانت المنظمة الوحيدة في مصر التي وزعت آلافاً من المنشورات تؤكد أن " الشعب المصري لن يحارب أبداً شعوب الاتحاد السوفييتي وإنما فقط الإمبريالية " (على منوال الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإيطالية .. الخ) أما أعضائها المعتقلين في المعسكرات فقد أسسوا مدارس ماركسية حيث درس العديد من العمال (وهم أساساً من أعضاء الفجر الجديد).

(٢) أما مجموعة الفجر الجديد فقد عملت أساساً بالتعاون مع الشبيبة الوفدية. وكانت تنقسم إلى تيارين أحدهما يؤيد اللجنة التحضيرية والآخر يعارضها. وهنا يجب إبراز سمة تميزت بها حدتو وهو أنها كانت تنمو دائماً في فترات ازدهار الحركة الوطنية وتتضاءل إلى حفنة من الأعضاء في فترات انحدارها. وهذا يعني: من جهة أن كوادرها تعلم كيف تستفيد إلى أقصى حد من إمكانيات العمل الشرعي (وهي الصفة التي تفسر نموها وتطورها) ومن ناحية أخرى أن قياداتها كانت تتجاهل دائماً الحياة الداخلية للمنظمة ونشاطها السري وهذا هو الخطأ الذي يفسر تراجعها وانحدارها. وعليه فان عام ١٩٥١ شهد دفعاً

مستمراً للحركة الوطنية وصلت ذروتها بقطع المفاوضات التي كانت جارية بين الحكومة والإنجليز. ورفض الانضمام إلى حلف الشرق الأوسط الذي اقترحته أمريكا وبريطانيا. وأخيراً شنت هجمات الفدائيين المسلحة على قوات الاحتلال البريطانية في قناة السويس وبالإضافة إلى ذلك شهد عام ١٩٥١ بداية حركة ثورية فلاحية ضد كبار ملاك الأراضي. وبفضل الشيوعيين (وكذلك بفضل ديماجوجية الحزب الاشتراكي بقيادة أحمد حسين) وضعت مشكلة الإصلاح الزراعي لأول مرة في جدول أعمال السياسة المصرية.

واستمرت الحركة الشيوعية في النمو المتزايد وازداد ارتباطها بجماهير العمال كما أحرزت تأثيراً متزايداً على شرائح واسعة من البرجوازية الصغيرة (الطلبة ـ الأدباء ـ الشبان ـ الفنانين .. الخ) ولكن هذا النمو كان يمكن أن يكون أسرع من ذلك وأقوى لو لم تكن الحركة الشيوعية منقسمة. ذلك أن الصراع الانشقاقي بلغ مدى من الحدة لم يصل إليه أبداً من قبل خلال تلك السنة التي تميزت بالنشاط الواسع بين الجماهير. فقد مزقت الصحف السرية للمنظمات بعضها البعض وكانت الفجر الجديد تهاجم المجلس القومي لحركة السلام بضراوة ونظمت ضد هذا المجلس انشقاقات تجمع بعض اللجان الإقليمية. وكانت خطط كل منظمة فيما يتعلق بالنشاط السلامي تتعرض لهجمات متبادلة مستمرة في الصحف السرية لمختلف المنظمات مما أدى إلى تدخل السلطات لتحديد نشاط حركة السلام ذاكرة فقرات من تلك الصحف. وكانت اللجان النقابية خصوصاً في شبرا الخيمة والقاهرة (للنسيج) منقسمة بسبب نزاعات مستمرة فيما بين أعضاء مختلف المنظمات التي يتبادلون الاتهامات بالخيانة. وسيطرت الفجر الجديد على جريدة "الناس" ولجأت بواسطتها إلى التشهير بقادة حركة السلام وفقد تيار الوحدة أغلبية ميادنية وعلى العكس ـ للأسف ـ فقد تصاعد وقوى في السجون

وخاصة في السجن المركزي بالقاهرة. فبعد آلاف العقبات توصل أعضاء المنظمات المختلفة (ماعدا المنظمة الشيوعية المصرية) إلى تشكيل " لجنة عامة للمسجونين السياسيين" وعدد من لجان التنسيق بهدف التقريب بين أعضاء مختلف المنظمات الذين سقطوا في قبضة العدو الطبقي.

ثم ظهر خط توحيدي جديد سرعان ما اكتسب عدداً كبيراً من الأنصار وقد بنى هذا الخط على أساس موقف الانقسام المزمن في الحركة الشيوعية المصرية والاستحالة العملية لعقد مؤتمر عام لجميع المنظمات لتأسيس الحزب والنظر إلى ضرورة المساعدة الخارجية (خصوصاً الإيطالية أو الفرنسية أو الإنجليزية) لوضع حد للأزمة الحرجة للحركة الشيوعية المصرية. وباختصار دعيت جميع المنظمات الشيوعية لوضع مشاريع برامج ولوائح وخطوط استراتيجية وتكتيكية وتناقشها فيما بينها في محاولة للوصول إلى اتفاق على مشروعات موحدة. وفي حالة فشلهم في ذلك (وكان ذلك مطروحاً لدى أصحاب الفكرة بنسبة ٩٩%) فعلى المنظمات المعينة عرض خلافاتها على رفاق معتمدين من الخارج. وهذا الخط الذي استوحى سبب وجوده من الاشتراكية الدولية قبل حلها ثم من مثال تدخل الحزب الشيوعي الفرنسي بواسطة ديكلو في أزمة الحزب الشيوعي الأمريكي تحت قيادة براودر. ويقوم أساساً على التضامن الدولي للبروليتاريا والحركة الشيوعية (لم تكن الدولية الشيوعية إلا شكلاً محدوداً لهذا التضامن) فهي لم تطلب من الشيوعيين الأجانب وضع برامج ولائحة .. الخ للشيوعيين المصريين وإنما فقط ساعدتهم على التوصل إلى الاختيار بين مختلف المشروعات المقدمة منهم وتحديد أيها أصح أو أيها أقل خطأ. وكان هذا الخط يؤيده الاتجاه التوحيدي.

وفي أواخر ١٩٥١ انضمت " نحو حزب شيوعي مصري " إلى حدتو رغم أن هذا الانضمام أقيم على أساس بعيد عن الصحة تاريخياً وايديولوجيا ــ وكما يحدث غالباً في حالات الاندماج فان جزءاً من أعضاء " نحو حزب شيوعي مصري " رفضوا الاعتراف بقرار اللجنة المركزية وأعادوا تنظيم أنفسهم بنفس الاسم.

ومن ناحية أخرى انفصل بعض أعضاء " نواة الحزب " وكونوا منظمة جديدة اسموها " طليعة الشيوعيين".

وبمجرد أن ألغت حكومة الوفد تحت ضغط الجماهير المعاهدة التي كانت قد وقعتها مع الإنجليز عام ١٩٣٦ أثبتت الطبقة العاملة المصرية مرة أخرى دورها الطليعي بقيامها ببدء المقاومة والنضال ضد الإنجليز فقد ترك عشرات الآلاف من العمال العاملين في المعسكرات الإنجليزية في القنال أعمالهم مسببين بذلك شللاً تاماً لخدمات ومرافق جيش الاحتلال.

وكانت حدتو هي المنظمة الوحيدة التي شاركت بإيجابية في النضال المسلح ضد الإنجليز واستشهد أحد كوادرها الأبطال " عباس الأعسر " وسلاحه في يده خلال ذلك النضال وعلى العكس أخذت باقي المنظمات موقفاً سلبياً أو حتى أدانوا هذا النضال باعتباره عملاً مغامراً.

ولكن رغم كل هذا فقد كانت الحركة الشيوعية المصرية من القوة بحيث تضغط على الحكومة وتدفعها إلى اتخاذ موقف أقل تفاهماً وتصالحاً مع الإنجليز والإمبرياليين.

وفي صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ توجه آلاف من الطلبة متآخين مع رجال الشرطة (حيث كان ما يقرب من مائة من رجال الشرطة قد قتلوا بوحشية عشية ذلك اليوم على يد الإنجليز) توجهوا تحت قيادة الشيوعيين إلى مقر الحكومة في مظاهرة وطنية ضخمة مطالبين

بالقطيعة الكاملة مع الإنجليز والمساعدة الرسمية لحركة الفدائيين المسلحة في القنال. وحوالي الظهر انتهت المظاهرة وهنا بدأ الاستفزازيون من عملاء المخابرات الأمريكية والبريطانية والسراي في إشعال حريق القاهرة. وفي نفس الليلة أعلنت الأحكام العرفية وأقيلت حكومة الوفد وفرضت على البلاد مرة أخرى ديكتاتورية القصر بواسطة عملائه. وقد نجح هذا التحدي بسبب الضعف النسبي للحركة الشيوعية والتي ترجع أساساً لانقسامها من جهة وإلى عدم وجود جبهة وطنية متماسكة (وهو نتيجة لضعف الحركة الشيوعية) من جهة أخرى.

وأعيد فتح معسكرات الاعتقال في نفس المساء واستمرت الاعتقالات الجماعية للشيوعيين حتى يوليو ١٩٥٢.

وقد كانت حركة ٢٦ يناير ١٩٥٢ تهدف بصفة خاصة إلى جانب ضرب الحركة الوطنية في مجموعها ــ وإلى ضرب الحركة الشيوعية التي أدى تأثيرها المتزايد ونموها طوال عامي ٥٠ ــ ١٩٥١ إلى إثارة مخاوف الإمبريالية والملكية والرجعية ــ وضرب الحركة النقابية التي كانت قوتها قد ازدادت بشكل ملحوظ وأخذت تقع تدريجياً تحت تأثيره "اللجنة التحضيرية لإنشاء الاتحاد العام للنقابات" التي كانت واقعة بدورها تحت سيطرة حدتو. وتحت ضغط العمال كانت حكومة الوفد قد وافقت على السماح بعقد مؤتمر عام للنقابات حدد موعده في ٢٧ يناير. وقام اتحاد النقابات السوداني (وكان تحت تأثير الشيوعيين) بإرسال وفد يتكون من ألمع قياداته لحضور ذلك المؤتمر التاريخي الذي سيتم من خلاله لأول مرة منذ تفكك الوحدة النقابية عام ١٩٢٤ (التي نظمها ووجهها في ذلك الوقت الحزب الشيوعي المصري) توحد الطبقة العاملة المصرية من جديد في اتحاد كبير. ولقد ربط بالم دات بدقة في تحليل أجراه للموقف في مصر العلاقة بين تحديد يوم ٢٧ يناير موعداً لانعقاد المؤتمر الوطني للعمال وبين حركة ٢٦ يناير وقد نجح ذلك الاستفزاز

العالمية الأولى فقد أبى كل ثروته وأصبح موظفا في شـــركة للحليج بصفته فرازا للقطن.

أما والدتي فكانت من أصل إيراني وكانت أمها أي جدتـــي تتكلم اللغة العربية وترتدي إلى آخر أيام حياتـــها عنـد الخـروج الملابـس المصرية الشعبية (الملاءة) (الحبرة).

ــ عشت السنوات الأولى من حياتي بميت غمـر، وكـانت لـدى الأسرة جارية تقوم بتربيتي وكان اسمها (نصرة) وكـانت جدتـي قـد اشترتها، وقد تحررت نصرة بعد ذلك ورجعت رغم هذا لتعيش معنـا، وقد ارتبطت بهذه الجارية وكنت أحبها حبا عميقا، وكانت تمثـل فـي ذهني الكرامة والرزانة الكاملة.

ــ اختلطت في فتوتي بالفلاحين في ميت غمر ومُيت بره وطلخـا والعديد من العزب المحيطة وكنت أشعر بتعاطف شديد معهم (بدون أي مضمون سياسي) وأشفق عليهم من القسوة والشقاء والبؤس الذي كـان يلازمهم بشكل دائم.

ــ بدأت حياتي الدراسية بمدرسة (الفرير المسيحية) فـي الظـاهر حيث كان ممنوعا منعا باتا التحدث باللغة العربية، ثم انتقلت إلى مدرسة (الليسيه فرنسية) حيث حصلت على دبلوم عالي في التجارة والاقتصاد، وتوظفت بعد ذلك بأحد البنوك وانتسبت إلى كلية الحقوق الفرنسية حيث درست القانون والعلوم الاجتماعية ولكنني غادرت الكلية قبل الامتحـان النهائي، وكان الدافع حينذاك هو اعتقادي بأن السعي للحصـول علـى شهادة عالية وخاصة من جامعة استعمارية هو انحراف بورجـوازي،

في تعطيل انعقاد المؤتمر وقبض على أهم القيادات النقابية وأودعوا المعتقلات.

واستمرت الحركة الشيوعية في ممارسة نشاطها على نطاق واسع بالرغم من اعتقال عدد كبير من مناضليها ومن منع جميع صحفها الشرعية وذلك بتأثير المدى الواسع الذي كانت قد وصلت إليه قبل تلك الأحداث.

ومنذ عدة سنوات تكون في الجيش بشكل سري تنظيم " الضباط الأحرار " الذي كان يجمع عدداً كبيراً من الضباط الشبان في الجيش المصري.

وكان من بينهم اثنان من كبار مسئولي حدتو وكانت المنشورات التي توزعها تلك الحركة تحتوي في مضمونها غالبا على الشعارات الأساسية للشيوعيين (لا اتفاق مع الإمبريالية ــ استئناف حرب العصابات ضد الاحتلال البريطاني ــ العودة للنظام البرلماني الدستوري .. الخ). بل أنها أحياناً كانت تطبع في المطبعة السرية لحدتو.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام في مصر الانقلاب الذي نظمته "حركة الضباط الأحرار" والذي أدى إلى خلع الملك فاروق وإقامة حكم محمد نجيب. ولعب العضوان الهامان في قيادة حدتو مع عدد كبير من أعضائها من ناحيتهم دوراً هاماً في الانقلاب وحظوا بذلك بهيبة وتأثير كبيرين بين ضباط تلك الحركة.

وأفرج نظام نجيب عن جميع المعتقلين بما في ذلك الشيوعيين (باستثناء ١٤) وسمح بإعادة ظهور جميع الصحف التقدمية التي يقودها الشيوعيون والتي كانت قد منعت من الصدور قبل ذلك بعدة أشهر.

وساعدت حدتو من أعماقها ذلك النظام الجديد وأبرزت بعض إيجابياته (خلع الملك ــ إخراج المعتقلين الشيوعيين ــ حرية الصحافة)

وصدقت ودعت إلى تصديق كافة وعوده مثل إعادة الحياة الدستورية الإصلاح الزراعي ـ الديموقراطية ـ العفو عن المحكوم عليهم من الشيوعيين .. الخ. وتقدمت جماهير العمال ـ بعد طرد فاروق والإحساس بحلول عصر جديد من الحرية والتقدم ـ بعدة مطالب ساندتها بالاضرابات. وقمع اللواء نجيب هذه الحركة ـ المؤقتة على أي حال ـ بعنف شديد بحجة أن هذا التمرد العمالي كان أداة لعملاء فاروق وأرسلت حدتو أعضاءها خصوصاً في الإسكندرية إلى الأحياء العمالية والصناعية لتهدئة العمال ونصحهم بأن يثقوا في النظام، وحتى بعد إعدام اثنين من العمال في كفر الدوار لم يتغير خط قيادات حدتو.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد الانقلاب مباشرة وزع الحزب الشيوعي المصري منشورات تصف اللواء نجيب بأنه عميل للإمبريالية وكانت باقي المنظمات الشيوعية تشاركها في هذا الرأي بشكل أو بآخر. ما عدا حدتو بالطبع التي سرعان ما ردت على ذلك المنشور بمنشور آخر أكد ثقة الشيوعيين المصرية في حركة الضباط.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نظام نجيب لجأ منذ بدايته إلى ديماجوجية خبيثة ليس فقط لخداع الجماهير وإنما أيضاً لمواجهة ضغط حركة الضباط الأحرار التي كانت قاعدتها المؤلفة من شباب الضباط تطالب بسياسة وطنية وديموقراطية.

هذه الحركة لم تكن مرتبطة فقط بالشيوعيين بواسطة حدتو وإنما أيضاً لعب السفير الأمريكي دوراً هاماً في اكتساب قيادات ذات تأثير ونفوذ داخل الحركة. إن انقلاب نجيب كان مستنداً منذ بدايته على الأمريكيين لأنهم كانوا يعرفون أن بإمكانهم الاعتماد بأقصى درجة مع مصالحهم الإمبريالية.

وبعد أن أمضى نجيب بعض الوقت في السلطة وبعد أن أدت بعض الوقائع إلى تزايد نفوذ الأمريكيين على النظام الجديد. اتبعت حدتو خطاً

مفاده أن تساند في داخل الحركة بالجيش التيار الوطني الذي يتزعمه الشيوعيون وبإضعاف التيار الرجعي الموالي للأمريكيين تمهيداً لعزله ـ وكان الخطأ الأكبر لحدتو هو من جهة التقليل من تقدير قوة التيار الأمريكي مع تقدير التيار التقدمي بأكثر من قوته الحقيقية (الخطأ الذي يقود دائماً إلى الانتهازية) ـ ومن جهة أخرى إلى التقليل من أهمية نضال الجماهير (التي سعى نجيب إلى منعها بأكثر الوسائل عنفاً) وبذلك انحصرت عملياً نتائج المعركة بين الشعب والرجعية في صراع على النفوذ بين تيارين داخل قيادة الجيش. ففي بداية ذلك النظام استطاع الضباط التقدميين وضع يدهم على بعض أجهزة الدعاية في الجيش بما في ذلك مجلته الرسمية " التحرير" التي كانت لفترة من الزمن تحت الرئاسة الفعلية لأحد أعضاء حدتو الذي كان صحفياً وضابطاً في نفس الوقت والذي جعل منها واحدة من أكثر الصحف تقدمية في تاريخ مصر كله.

وهم نفس الضباط الذين ضغطوا على اللواء نجيب للإفراج عن الفرنسي روجيه فايان ورفاقه المصريين من المثقفين والفلاحين وكان قد قبض عليهم أثناء اجتماعهم في منزل أحد الفلاحين.

وفي يناير ١٩٥٣ وبعد أن وطد نجيب حكمه قام باعتقال جميع الضباط الشيوعيين والمتعاطفين معهم، مزيلاً بذلك التيار التقدمي في الجيش الذي بنت عليه حدتو كل آمالها ناسية أن منطق أي ديكتاتورية عسكرية تحرم تنظيم الجماهير لا يمكن أن يقود إلا إلى أشد النظم استبداداً ورجعية.

وقد قامت حدتو بنقد ذاتي على ذلك الخطأ الفادح (أخطر الأخطاء في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية بأكمله) والذي أقل ما يقال عنه أنه قد ساعد نجيب على أن يدعم ـ مؤقتاً ـ نظامه الديكتاتوري. ولكن هذا

النقد الذاتي كان مقتضباً وضعيفاً وسعى إلى إزاحة المسئولية عن كال قيادات حدتو وإلقائها على قطاع التنظيم في الجيش.

وأياً كان الأمر فقد ضعفت حدتو بشدة وكانت غالبية قيادتها تخضع للتعذيب في سجون نفس اللواء نجيب الذي كان يضعون فيه أكبر ثقة قبل شهور ولا شك أن الموقف المتناقض الذي أتخذه الشيوعيون قبل نظام نجيب في بدايته ساعد على زيادة حدة الانقسامية في مصر والى الوصول بها إلى درجة من التفاقم لم تحدث من قبل.

كذلك يمكننا من ناحية أخرى أن نتخيل مدى الاضطرابات الذي شاع بين الجماهير المصرية حين ترى في غضون عدة أيام منشورين بتوقيع الشيوعيين أحدهما يهاجم نجيب بعنف والآخر يمنحه ثقته.

وهذا لم يمنع أنه في سبتمبر ١٩٥٢ وفي السجن المركزي للقاهرة حيث احتجز ما يقرب من مائة من الشيوعيين المنتمين لمختلف التنظيمات قام بعض أعضاء حدتو من أنصار التيار التوحيدي بمبادرة بمساعدة أحد أعضاء اللجنة المركزية من أجل دعوة المنظمات الأخرى للمشاركة في تكوين لجنة لتحديد الخلافات الموجوة بين مختلف المنظمات حول البرامج واللوائح والخط الاستراتيجي والتكتيكي ولدراسة الطريق الذي يمكن أن يقود إلى حل الأزمة التي تمر بها الحركة الشيوعية المصرية.

وكانت هذه محاولة جديدة للوحدة وان كانت على مستوى محدود ولم تشارك فيها قيادات مختلف المنظمات. وقبل الحزب الشيوعي المصري ـ وكان البوليس قد وجه له ضربات رهيبة ـ ذلك الاقتراح وكذلك قبلته نواة الحزب ـ ولسوء الحظ فان الفجر الجديد والنجم والأحمر والمنظمة الشيوعية المصرية (التي كانت تقاطع جميع المنظمات الأخرى حتى داخل السجن) قد رفضوا جميعاً الاقتراح ورغم

ذلك تكونت اللجنة وبدأت أعمالها. ولكن قيادة حدتو التي أحاطها معدو المشروع علما به أرسلت في الحال أمراً تنظيمياً بقطع المناقشات وبذلك تم حل اللجنة.

وهذا الموقف الانقسامي لقيادة حدتو استند إلى أن أحد الأعضاء المسئولين في الحزب الشيوعي الإنجليزي كان قبل عدة أسابيع قد صرح لدى مروره بالقاهرة بأن الحزب الشيوعي الإنجليزي يرى أن حدتو تعتبر من الناحية العملية الحزب الشيوعي المصري (ومثل هذا التصريح كان قد قيل أيضا لقيادات منظمة نواة الحزب).

ومن الجدير بالذكر هنا أن كل منظمة شيوعية في مصر كانت تسعى إلى تقوية موقفها بالسعي ــ وهو أمر طبيعي ــ للحصول على مساندة الحركة الشيوعية الدولية أو على الأقل مساندة حزب شيوعي قوي وذو تأثير. وكانت حدتو مستندة إلى ما يتهيأ لها من قوة بسبب كونها المنظمة الوحيدة القادرة على إرسال مندوبين إلى مختلف المؤتمرات الدولية ــ تسعى إلى ترسيخ فكرة أنها تتمتع بدعم وتأييد الحركة الشيوعية الدولية (رغم أن هذه المؤتمرات السلامية والنقابية والنسائية والطلابية كانت تنظمها هيئات ديموقراطية). أما الحزب الشيوعي المصري فكان يسعى للحصول على اعتراف رسمي من الحزب الشيوعي الإيراني " توده " بعد أن أنشأ معه علاقات قوية.

" هذه النبذة التاريخية تتوقف عند بداية عام ١٩٥٣ ".

***

# بعض المعلومات المتعلقة بعصبة أنصار السلام




١ــ في سنة ١٩٣٩، وبمجرد عودتي من لبنان، حيث كنت على اتصال وثيق مع زعماء الحزب الشيوعي اللبناني وخاصة مع نيقولا شاوي الذي أصبح فيما بعد سكرتيرا عاماً للحزب، انضممت إلى عصبة أنصار السلام ومعي ريمون دويك ــ الذي قمت بتكوينه ماركسياً ــ على أساس دراسة الكتب الماركسية ولا سيما كتاب بوخارين (المادية الجدلية والمادية التاريخية) الذي كتب مقدمته لينين.

٢ــ في سنة ١٩٣٧، عينتني لجنة العصبة برياسة بول جاكو ديكومب سكرتيرا لها.

٣ــ وكنت اجتمع في الحلقة الماركسية مع: جاكو دي كومب، وبيريدس، وريمون دويك وصادق سعد (الذي شاركت في تكوينه كماركسي) وفي هذه الحلقة درسنا بصفة خاصة كتابين أهداهما لنيقولا شاوي في بيروت: (الفاشية أو الثورة الاجتماعية) بقلم بالم دايت. و(نهاية اليهودية) بقلم اوتوهلر.

وكنت في هذا الوقت أعمل كمراسل لجريدة الحزب اللبناني (صوت الشعب).

٤ـ أثناء الحرب الأهلية الإسبانية كنت حلقة الاتصال بين العصبة والسفارة الإسبانية. وكنت مكلف بالدعاية ضد الفاشي فرانكو عن طريق ترجمة الكتيبات والخطب الرسمية وكتابة البيانات والمنشورات باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية. وقد سلمتني قيادة الفرق الدولية نشانا من الفضة تقديرا لنشاطي ضد الفاشية.

٥ـ في سنة ١٩٣٨ بناء على تكليف من طرف العصبة كتبت كتيبا خاصا بنشاط حركة السلام الدولية ونشاط عصبة أنصار السلام المصرية.

في نفس السنة سافرت إلى قبرص ضيفا على بيريدس وهو يوناني قبرصي.

٦ـ في أواخر ٣٨ حصل خلاف حول طريقة العمل بيني وبين جاكو ديكومب. إذ كان ديكومب حذرا أكثر من اللازم متأثرا بما حدث في حزب ١٩٢٢ من خيانات وبوليسية. ورفض ان تنضم إلى العصبة مجموعة من الإيطاليين المعادين للفاشية ومجموعة من المدرسين الفرنسين ومدرس سويسري (بوانتي) الذي كانت معه مجموعة مدرسين مصريين. أذكر من بينهم أحمد فؤاد الاهواني، ومحمد نصر الدين، بحجة انهم لا يحترمون قواعد الأمان. كما اعترض على انضمام راؤول كوربيل (شقيق هنري) وريمون اجيون وآخرين باعتبارهم تروتسكين.

٧ـ كانت النتيجة خروجنا جميعا أعضاء ومرشحين من العصبة وباتفاق مع الحزب الشيوعي اللبناني أسسنا الاتحاد الديموقراطي برياسة عصام حفني ناصف وبقيادة أغلبيتها من المصريين.

٨ـ وبذلك أصبح طريق نشاطي منفصلا عن طريق نشاط العصبة ثم اشتركت في تأسيس منظمة (تحرير الشعب) (وهي أول منظمة

شيوعية بعد حل حزب ١٩٢٢). وجمعيتين علنيتين (الخبز والحرية) و(الثقافة والفراغ).

٩_ وفي شهر أغسطس ١٩٣٩ اجتمعت في باريس مع انّا كارينكو تحت إشراف اللجنة العالمية ضد الحرب والفاشية بهدف توحيد تيار العصبة وتيار الاتحاد الديموقراطي. إلا أن هذه المحاولات توقفت على اثر إعلان الحرب العالمية الثانية.

وبالرغم من استمرار وتعميق الانقسام، لم يقطع الاتصال بيني وبين ريمون دويك وصادق سعد ثم مع جاكو ديكومب نفسه سواء في مصر أو باريس.

وكذلك استضفت في منزلي بميلانو ريمون دويك وصادق سعد بضعة أيام لتبادل الآراء بمنتهى الصداقة.

١٠_ وفيما يتعلق بعلاقاتي مع يوسف درويش اذكر اننا اشتركنا في سجن مصر في اللجنة الصحية الخاصة بالمسجونين السياسيين. بينما قام أحمد رشدي صالح بتعميق معرفتي باللغة العربية.

وعند كتابة تقريري عن الحركة الشيوعية المصرية بناء على طلب قيادة الحزب الشيوعي الإيطالي في ١٩٥٣ فور خروجي من السجن وإبعادي (للمرة الثانية) عن مصر.

(وقد اعتبر رفعت السعيد هذا التقرير أول محاولة لكتابة تاريخ الحركة المصرية).

اعترف هنا بانني لم أقدر كما يجب دور وأهمية منظمة (طليعة العمال).

وهذا لجلهي بنشاط هذه المنظمة نتيجة لظروف العمل السري.

## بعض الملاحظات بخصوص كتاب

## الصحافة اليسارية في مصر

**(تأليف الدكتور رفعت السعيد)**

كما تعلم تماما وكما يعلم جميع أصدقائي المصريين منذ إبعادي عن مصر بعد تنفيذ الحكم عليَّ بخمس سنوات لم أقم بـأي نشـاط متعلـق بالحركة اليسارية المصرية كما لم أتدخل في أي مشكلة خاصـة بـهذه الحركة بل امتنعت حتى عن إبداء رأي ما متعلق بتطور هذه الحركـة. وموقفي هذا ناتج عن انضمامي إلى الحزب الشيوعي الإيطالي وكما هو معروف فلا يصح لأي عضو منضم إلى الحزب الشيوعي الإيطـالي ان يتدخل في شؤون حزب آخر أو حركة يسارية أخرى. وصحيح انه فـي بعض الظروف قمت بنشاط لتـأييد قضيـة مصـر ضـد الاعتـداء الاستعماري كما حصل مثلا في سنة ١٩٥٦ حيث قمت مع المرحـوم يوسف حلمي (وقد عاش في منزلي عدة أشـهر) بحملـة اجتماعـات ومحاضرات ومقالات صحفية إلا أن كل هذا تم بناء على تكليفات مـن قيادة حزبي وبدون التعرض لمسائل داخلية واليوم بعد قـراءة كتـابك الخاص (بتاريخ المنظمات اليسارية المصريـة ١٩٤٠/١٩٥٠) فـانني مضطر ان ارجع إلى الماضي وان اقدم بعض التصحيحات التي اعتـبر من واجبي نحو تاريخ الحركة المصرية ان أبديـها. وسـأقتصر هنـا بتصحيح نقطة واحدة محتفظا لنفسي بالعودة إلى مناقشة نقـاط عديـدة أخرى جاء في الصفحة ١٧٩ـ١٨٠ وكذلك في صفحـة ٢٩١/٢٩٢ ان الخلاف بين كورييل ومارسيل كان حول قضية الدين وان مارسيل كـان يرى ضرورة التركيز بالهجوم على الدين.

وهذا لا أساس له على الإطلاق من الصحة ..

**أولا:** هل معقول بأن يسارياً ماركسياً لعب دورا مهما كما تعترف به في كتابك في بداية الحركة اليسارية وجند عددا كبيرا من اليساريين واشترك في تكوينهم كماركسيين هل معقول أن يكافح ضد الدين بل ويركز الكفاح ضد الدين؟

**ثانيا:** في الكورس الماركسي الذي كتبته ١٩٣٩/١٩٤٠ واشترك معي أسعد حليم جاء في الفصل الخاص بالدين ما يلي نقلا عن لينين "ان وحدة الكفاح بين الكادحين من أجل جنة على الأرض أهم من وحدة آرائهم فيما يتعلق بالجنة في السماء" بل أكثر من هذا وقلت ان الدين في بلد مستعمرة يتخذ مضمونا وطنياً تقدميا لاسيما إذا كان المستعمر ينتمي إلى دين آخر.

**ثالثا:** وصحيح انني كنت أدرس في الكورس الماركسي المادية الجدلية والتاريخية ولكن هذا لا يعني على الإطلاق الكفاح ضد الدين أو تركيز الكفاح ضد الدين. فكورييل نفسه يقول ص٣٣٦ " ان برنامج الدراسة في مدرسة الكادر الذي اسسها كان يحتوي على دراسة المادية التاريخية والجدلية " ولم يتهمه أحد انه كافح ضد الدين أو ركز الكفاح ضد الدين.

***

**١ـ** لم تذكر مجلة " الطليعة " التي كان اتحاد خريجي الجامعة يصدرها إلا في سطر واحد، وكانت تصدر قبل عام ١٩٤٦ (بعدة سنوات) وشارك في تحريرها عدد كبير من أعضاء " تحرير الشعب " وكنت شخصيا على اتصال بأحد محرريها وهو " الشافعي".

**٢ـ** لم يرد في كتابك أي إشارة لمجلة سلامة موسى " المجلة الجديدة "، وأحب أن أشير بهذا الصدد إلى أن سلامة موسى كان يلقي مجموعة من المحاضرات التقدمية في جمعية الشبان المسيحيين، وقد اتصلت به في

كان ذلك بدون شك تطرفا يساريا ورومانتيكيا كان لي اهتمام كبير إلى جانب دراستي للعلوم الاقتصادية بدراسة الفلسفة وقد قرأت العديد من الكتب والمراجع الفلسفية ومن بين من قرأت لهم ابن رشد وابن سينا وابن ميمون وابن خلدون الذي شدني إليه تحليله العلمي للظواهر التاريخية.

ـ وقد أثر علي بشكل كبير قبل دراستي للماركسية كل من الكاتب الروسي ( ليو تولستوي) والفيلسوف الكبير (سبينوزا) وإذا كان سبينوزا قد جعلني أؤمن قبل كل شيء بالعقل الإنساني، فقد جعلني تولستوي انظر إلى أي إنسان كأخ يجب احترامه ومحبته بل والتضحية من أجل سعادته. وقد تأثرت أختي في نفس الوقت بآراء تولستوي مما أدى إلى اعتناقها للدين المسيحي وتحولها إلى راهبة ولا تزال، أما أنا فقد أصبحت ولا أزال شيوعيا.

## كيف أصبحت شيوعيا:

ـ أول إحساس شديد بكراهية المجتمع الرأسمالي وضرورة الثورة عليه، وقعت في نفسي بأحد مصانع الحليج، ففي أوائل كل موسم كان المقاولون يقومون بجمع آلاف الأطفال والغلمان الذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و١٢ سنة وشحنهم إلى مصانع الحليج للعمل بها وكان يوم العمل يتجاوز ١٥ ساعة، وكان الملاحظون والمراقبون يتجولون داخل المصنع ويضربون الأطفال بالكرابيج لأقل وأتفه الأسباب، وفي نهاية الموسم كان عدد كبير من هؤلاء الصبية يتوفون نتيجة لأصابتهم بمرض السل والأمراض الناتجة عن استنشاق غبار القطن وأيضا من المجهود الشديد الذي يبذلونه في العمل وسط ظروف بالغة القسوة.

هذه الجمعية، ونشأت بيننا علاقة وطيدة، وكان ينصحني بالاعتدال والتخفيف من حدة الخطب والإشارات العلنية للماركسية اللينينية، كما تعرفت في نفس الجمعية على مجموعة من الشبان الأقباط وأذكر منهم فوزي جرجس (الذي ارتبط بعد ذلك بتحرير الشعب)، وعندما قُبض عليّ في آخر ١٩٤١. كان ريمون أجيون قد حصل على ترخيص هذه المجلة واستمرت في الصدور بنفس الاسم بإشراف مجموعة أخرى من المحررين (أسعد حليم، رمسيس يونان، هيكل ومصطفى كامل منيب .. الخ) وقد لعبت هذه المجلة دوراً ملموسا في نشر الفكر الاشتراكي.

٣ـ أما فيما يخص مجلة التطور فلدي مجموعة من الملاحظات:

أـ ص ٨٨

أشرت إلى تقريري المقدم للحزب الشيوعي الإيطالي، وتذكر أنني قد وصفت مجلة التطور في مرحلتها الأولى بأنها مجلة "فوضوية وسيريالية"، واحب أن أوضح أنني لم أكن أقصد بكلمة فوضوية اتجاه سياسي أي Anaechism وانما كنت استخدمها للإشارة إلى وجود مناهج متعددة وآراء وخطوط مهوشه ومتأثرة بالتروتسكية. وقد كانت في أغلبها بعيدة إلى حد كبير عن الهموم والمشاكل الحقيقية للواقع المصري.

(وفي أحد المناقشات التي دارت بيني وبين جورج حنين في وجود آخرين، قال بان المثقفين سوف يحررون الشعب المصري عن طريق الشلاليط، لان العمال والفلاحين جهلاء، وليس لدنيا وقت لنضيعه في توعيتهم !!!

وفي نقاش آخر داخل اجتماع، قدم اقتراح بتأسيس مدارس لتدريس السريالية في الأحياء الشعبية بهدف تنوير الجماهير.

كان شعار الفن والحرية وماركس، داروين، فرويد، وكانت أهمية كل طرف من الثلاثة يتوقف على اتجاهات الأعضاء، فمنهم من كان يبرز أهمية ماركس، بينما يبرز آخرون فرويد، ولكن الخطر الحقيقي الذي كان يهدد أول جمعية تقدمية مصرية فهو التروتسكية التي كان يمثلها جورج حنين.

ب ـ اما التغير الذي حدث في توجهات المجلة ابتداء من عددها الخامس، فقد كان الانتقال من السريالية إلى الاهتمام بالمشاكل الشعبية والعمالية، وهذا تحت تأثير أعضاء منظمة تحرير الشعب (التي كونت منظمة الخبز والحرية، كمنظمة علنية مصرية للعمل وسط العمال) وبالرغم من انني كنت ضمن مؤسسي "تحرير الشعب" (مع هيكل، وأسعد حليم وصالح عرابي، وتحسين المصري وآخرين) إلا انني لم ألعب أبداً أي دور قيادي إذ كان نشاطي محصوراً في تدريس الماركسية وتوجيه المنظمة توجيها ماركسيا لينينا (وهو ما يمكن تشبيهه بدور المستشار الماركسي) ولم أتدخل أبداً في نشاط جمعية الخبز والحرية، ولم أظهر في مقرها، كما لم أتدخل في نشاط الجمعية الأخرى وهي "الثقافة والفراغ"، وكنت أحضر ندواتها بوصفي زائر لا أكثر، وهذا لانني كنت في الواقع مشغولا ليل نهار في تدريس الماركسية لعدد كبير من المرشحين.

وهنا أشير إلى صحة ما قاله أنور كامل عن منظمة الخبز والحرية، فقد كانت بالفعل منظمة مصرية ١٠٠% سواء في قيادتها أو في نشاطها وسط الجماهير الشعبية وخاصة العمالية، وقد كنت أؤيد موقف أنور كامل تماماً، لأنه كان نفس موقفي منذ بداية نشاطي الشيوعي، فقد كان داعية إلى مصرية الحركة الاشتراكية، وإلى أهمية الالتحام بالمصريين والتخلص من قيادة ونفوذ الأجانب وذوي الثقافة الأجنبية على الحركة التقدمية المصرية.

وفي سنة ١٩٤١ قمنا معا بإعداد دراسة عن تاريخ الحركة العمالية ي مصر، لا أتذكر الآن عنوانها بدقة، وطبعت هذه الدراسة ووزعت ككتيب خاصة وسط عمال المطابع، وألقى البوليس القبض علينا في منزلي بعد توزيع هذا الكتيب، وكان معنا أسعد حليم وحلمي حليم وفتحي الرملي وحسن الكاظم (وقد أصبح بعد ذلك سكرتير لجنة الطلبة والعمال) وهيكل وخضر وصالح عرابي وعدد آخر من الرفاق، وقد صدرت هذه الدراسة بتوقيع أنور كامل (أذكر هنا أن البوليس بعد إلقاء القبض علينا قبض أيضاً على محمود حسني العرابي، وكان مقيما في نفس العمارة) وبعد شهرين أفرج عن الجميع، وتم إرسالي إلى المعتقل لمدة ٩ أشهر ثم أبعدت عن مصر بعدها لمدة سنة ونصف وبعد رجوعي إلى مصر لم أتصل بأنور كامل.

ج ــ كتبت في تقريري أن مجلة التطور قد منعت من الصدور بعد العدد الخامس (ص٨٨) وفي ص٩٤ تذكر "ان رواية مارسيل ليست صحيحة" وأحب أن أوضح هذه النقطة، فبعد صدور العدد الخامس بتوجهه الجديد دعى رئيس الرقابة وقتئذ وهو الدكتور محمود عزمي، أنور كامل بصفته رئيس التحرير، وأخبره بأن وزارة الداخلية قررت مصادرة المجلة ونصحه ودياً أن يتوقف عن إصدارها حتى تتغير الظروف، وإزاء هذه الشروط (والتي تتساوى عمليا مع المصادرة) توقف إصدار مجلة التطور.

وأريد أن أؤكد أن علاقتي بأنور كامل كانت وثيقة، ولم تكن آراء أنور كامل إلى ذلك الوقت متأثرة بالتروتسكية، وفي حديث معك صرح أنور كامل بان مارسيل لم يكن كالآخرين ولم يسع إلى تزعم الحركة (اليسار المصري ٢٥ ــ ١٩٤٠ ص٢٥٧).

د ــ وعندما وقع الهجوم على الاتحاد السوفييتي، صغنا معا أنا وأنور كامل بيانا لإدانة الاعتداء النازي ولتأييد الاتحاد السوفييتي،

وقدمناه لكافة الجمعيات التقدمية ووقع الجميع عليه (الخبز والحرية، الثقافة والفراغ، الاتحاد الديموقراطي، الفن والحرية) بينما رفضت التوقيع مجموع الدراسات، جاكو دي كومب وأصدقائه.

هـ ــ في ص ٩٠

كتبت "ولو كانت ــ التطور ــ على علاقة بهنري كورييل في ذلك الحين، أو حتى على علاقة مباشرة بـ مارسيل لامكن لأي منها تدبير ضمان مالي آخر "

وهنا أحب أن أشير إلى ما يلي:

ــ لم يكن هنري كورييل آنذاك قد أصبح بعد شيوعياً.

ــ لم تكن هناك لدي أية إمكانية مادية لتقديم ضمان مالي للمجلة، فقد كنت أعمل وقتها " مخزنجي" في شركة سيجوارت في المعصرة.

(وأذكر انني قد رتبت أثناء عملي بهذه الشركة عدة لقاءات بين عمال المعصرة والحوامدية وأنور كامل. الذي جذب عدداً منهم إلى الخبز والحرية وفي يونيه ١٩٤٠ طردت من العمل بتهمة "خيانة مصالح الشركة !! ".

٤ــ اسجل هنا بعض النقاط التي قد تكون مفيدة في موضوع بحثك.

أ ــ قامت منظمة تحرير الشعب بإجراء أول اتصال مع النوبيين والسودانيين عن طريق صالح عرابي وكان يعمل فراشا في شركة سيجوارت في المعصرة (وقد قمت بتجنيده أثناء عملي بالشركة) و عبده دهب وكانا من النوبة.

ب ــ كانت تحرير الشعب أول منظمة يسارية تتصل بالأزهر، وهذا عن طريق مجموعة من الطلبة الصينيين الذين كانوا يدرسون في هذه الجامعة.

ج ــ كما كانت أول منظمة تعمل في مجالس السينمائيين، وقد جندت عدداً كبيراً من فناني السينما من مخرجين ومصورين وفناني مونتاج. وكان ذلك عملا بما قاله لينين " السينما فن السمتقبل ".

د ــ أعتقد انني (وأرجو الا ترى في ذلك غرورا) أول يهودي في العالم يقوم بتكوين رابطة يهودية لمكافحة الصهيونية (ولم أحصل على أي تأييد في ذلك من قبل قيادة منظمة حدتو!) وقد فضحت الرابطة الصهيونية كحركة رجعية عنصرية (ضد العرب) وحليفة للاستعمار والرجعية العالمية، وقد كتبت البيان التأسيسي للرابطة (طبع منه ٦٠ ٠٠٠ نسخة بالعربية والفرنسية).

واستقبلني عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية آنذاك للنقاش ثم صدر قرار وزاري بحل الرابطة وقبض عليّ مع آخرين لبضعة أيام وأذكر أن رابطة مماثلة قد تكونت في العراق بعد إعلان الرابطة في مصر بعدة أسابيع، كما وجد الآن في الاتحاد السوفييتي جمعية لمكافحة الدعاية الصهيونية وسط اليهود.

٥ ــ من الذاكرة

١ــ كنت على اتصال بفتحي الرملي، وكان قد حضر عدة دروس في الماركسية، وكنا ندخل باستمرار في مناقشات طويلة، وفي أحد المرات لم يوافقني الرأي فقال ان هذه ليست " ماركسية " وإنما "مارسيلية".

٢ــ كتب فتحي الرملي قصة قصيرة عن حياة الفلاحين، وكان الفلاح يتعرض فيها لإرهاب العمدة الذي شرده واغتصب ابنته .. الخ

وقدم هذه القصة للنشر بأحد المجلات، فغيرت الرقابة نهايتـــها. ففــي العمل الأصلي كان الفلاح يسمع وهو عائد منكسراً ومحطما إلى بيتـــه أغنية عبد الوهاب "محلاها عيشة الفـــلاح" فوضعـــت الرقابـــة نهايـــة أخـــرى. وهي أن يسمع أغنية "المكتوب علـــى الجبيـــن لازم تشـــوفه العين".

٣ـ في سنة ١٩٥١ عندما كنت في سجن مصر بعد صدور الحكم بحبسي خمس سنوات تدخل القنصل الإيطالي، فوضعوني فـــي غرفـــة خاصة وأعطوني جراية متميزة، فقمت بإضراب عن الطعام احتجاجـــا على هذه التسهيلات وكان أول إضراب من نوعه ونشر فتحي الرملـــي مقالة طويلة بعنوان شيوعي إيطالي يضرب عن الطعام ضد الامتيازات الأجنبية.

٤ـ عندما قبض عليّ أنا ولطيفة الزيات وشكري سالم وظريـــف عبد الله. وكانت فرقة القبض مكونة من ممدوح ســـالم وســـيد فـــهمي وحتاته، وأثناء مصاحبتهم لي وطوال فترة الاستجواب كانوا يســـمونني "المزعوم" لان إسرائيل كانت تسمى آنذاك دولة إسرائيل المزعومة.

***

## إلى الصديق المؤرخ:
## رفعت السعيد

سأحاول أن أجيب بشكل سريع على ما طلبته مني عند لقاءنا الأخير في القاهرة. ومن الواضح أن ما أكتبه مبني على ذكرياتي الشخصية. وبما أن الحركة الشيوعية كما تعلم في ذلك الوقت كانت حركة سرية ومنقسمة إلى عدة تنظيمات، فالمعلومات التي سترد هنا ستكون مستندة بطبيعة الحال إلى خبرتي في التنظيم الذي كنت أنتمي إليه والمعلومات التي حصلت عليها من خلال الاتصالات بالتنظيمات الثورية الأخرى، إن هذا التقديم يبرر محدودية وعدم اكتمال المعلومات المعلومات التي سترد فيما بعد خلال الرد.

انني أقدر تماما الجهد العظيم الذي بذلته في كتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية (وهو عمل كان يتطلب بلا شك لجنة كاملة لتنفيذه)، وأكرر تقديري لهذه المبادرة ولتحملك لهذه المسئولية الشائكة. إلا أنني أثناء قراءة كتبك توقفت أمام بعض الوقائع والتفسيرات وسأحاول أن أقدم رأيي الشخصي بصددها .. (وأعترف لك بانني عندما أعدت قراءة التقرير الذي قمت بإعداده سنة ١٩٥٣ لتقديمه إلى الحزب الشيوعي الإيطالي، اكتشفت بعض الأخطاء التي وقعت فيها سواء من ناحية الوقائع أو في محاولات تفسيرها وتقييمها).

. . . . . .

**ص١٤٩ ورد: " ويمكن القول بأن ح. م ثم امتدادها التاريخي "حدتو" كانا المحور الأساسي لانطلاقة الشيوعيين وسط مجالات عديدة من العمل الجماهيري.. "**

ــ وفي رأيي أن " حدتو " لم تكن امتدادا لـ (ح. م) فقط بل كانت امتداداً أيضاً لتنظيم " ايسكرا " وتنظيم " تحرير الشعب " وتنظيم " القلعة ". في تقديري الآن (تصحيحا لما كتبته في تقريري ١٩٥٣) أن تنظيم "ايسكرا" كان أقوى وأهم تنظيم شيوعي وقتئذ (النشاط وسط الطلاب .. دار الأبحاث العلمية ــ جريرة الجماهير .. النشاط وسط عمال شبرا الخيمة .. الخ).

**ص١٦١: تحت عنوان (الخبز والحرية): فقرة**

**" لكن التمايز الذي تم لم يكن تمايزا تاما ... إلى ... مجموعة سرية يقودها مارسيل "**

ــ والواقع أن التمايز تم على أساس أيديولوجي بحت. فقد كانت الخبز والحرية منبراً علنياً يجمع أعضاء ينتمون إلى عدة اتجاهات. أما التنظيم السري الذي كان وراء الخبز والحرية وهو تنظيم " تحرير الشعب" فقد كان تنظيما يضم الشيوعيين فقط. ولذلك فلم تكن هناك أية تناقضات بل كانت توجد اتجاهات مختلفة يضمها التنظيم العلني وهذا أمر منطقي.

وعندما تمسك كل من أنور كامل وفتحي الرملي بالآراء التروتسكية والفوضوية. وبعد فشل محاولات اقناعهم بالتخلي عن هذه الآراء، تقرر عدم التعاون مع كليهما.

**ص١٦٢: جاء " ولم يكن هذا هــو الخــلاف الوحيـد .. حتــى .. ولسـنا شيوعيين.**

ـــ والواقع أن التنظيم السري لم يعرض أبداً علـــى أنـــور كـــامل وفتحي الرملي مسألة الانضمام.

**وفي نفس الصفحة جاء " وأنهارت الخبز والحرية.. "**

ـــ وفي حقيقة الأمر أن البوليس السياسي هو الـــذي أغلـــق مقـــر "الخبز والحرية" بعد أن تردد عليه عدد كبير من العمال لاسيما عمـــال المطابع.

**ص١٧٦: فقرة: " ونظرا لأن جميع أعضاء هذا التنظيــم ٠٠٠٠٠ ان ثمــة جماعة ماركسية أخرى قد سبقته إلى الوجود "**

ـــ والواقع أن تحرير الشعب كانت أول تنظيـــم ماركســـي. إذ أن جاكو دي كومب لم يقم بتنظيم أي مجموعة ماركسية سرية وكان علـــى حق عندما صرح بهذا. (على عكس ما ورد في التقرير الـــذي قدمتـــه ١٩٥٣).

**وفي نفس الصفحة " أما هنري كورييل فيكمل ٠٠٠٠٠ إلى نهاية الفقرة في صفحة ١٧٧.**

ـــ والواقع أن هنري كورييل لم يشترك فـــي تأســـيس " الاتحـــاد الديموقراطي وانما انضم إليه بعد رجوعه من باريس، بناء على دعـــوة مني. أما جورج بوانتيه فقد انتقل معنا من لجنة أنصـــار الســـلام إلـــى الاتحاد الديموقراطي ومعه فؤاد الاهواني ومحمد نصر الدين.

**ص ١٨٠/١٧٩: " واتسع نشاط الاتحاد الديموقراطي ٠٠٠٠ حتـــى٠٠٠٠ وهكذا تكرست الانقسامية وتحددت معالمها " ص ١٨٠**

(أ) ـ لم يدب أي خلاف بين أقطاب ثلاثة، بل على التحديد بين هنري كوربيل ومارسيل إذ أن هليل شوارتز لم يكن موجودا ولم ينضم إلى الاتحاد الديموقراطي إلا بعد عدة شهور من حدوث الخلاف كعضو عادي.

(ب) ـ لم يرفع هنري كوربيل شعار "البدء فوراً في تأسيس تنظيم شيوعي" ولم يرفع شعار " التمصير" إذ أنه كان يعارض تماما فكرة تأسيس تنظيم سري وقد انتقدني عندما عرضت عليه الاشتراك في تنظيم تحرير الشعب على أساس رفضه للعمل السري، وقد جذب كوربيل إلى الاتحاد الديموقراطي عددا كبيراً من أبناء البرجوازية الكبيرة أجانب ومصريين متفرنجين وأصبح الاتحاد الديموقراطي بهذه الطريقة: كما سميته أنا "اتحاد أرستقراطي" وهكذا أصبح من الصعب تنفيذ ما كنا نحاول عمله ألا وهو الالتقاء بمثقفين مصريين وبعناصر من البرجوازية الصغيرة لجذبها إلى التنظيم السري تدريجيا ويضاف إلى هذا أن هنري كوربيل اشترك مع جورج حنين وعدد من التروتسكيين في إصدار جريدة "دون كيشوت" باللغة الفرنسية. هاجموا فيها الاتحاد السوفييتي. .

والأهم من ذلك انني كنت قد نجحت في عمل علاقات قوية داخل الفن والحرية، وقد دفعتني هذه الأسباب الحقيقية لتقديم استقالتي من قيادة الاتحاد الديموقراطي. لتركيز نشاطي في تأسيس التنظيم السري " تحرير الشعب" وفي تدريس الماركسية لعدد من المصريين كنت قد اتصلت بهم في الفن والحرية وفي جماعة الشبان المسيحيين Y.N.C.A مجموعة سلامة موسى.

وقد خلقنا منبرين علنيين " الخبز والحرية " لتركيز العمل وسط العمال. وثقافة وفراغ للنشاط بين المثقفين. المصريين والأجانب. وقد اشترك في نشاطها عبد اللطيف البغدادي.

وكنت ذات يوم في زيارة لوالدي بمصنع للحليج كان يعمل فيه، وقد شاهدت واقعة ضرب شرسة لطفلين بالكرابيج، وأمام صرخات الطفلين لم أملك سوى أن أهجم على مراقب العمل وانتزع السوط من يده، وقد حاول أن يقنعني بعد ذلك بان ضرب الأطفال شيء ضروري وإلا فسوف يتفرغون للضحك واللعب وينصرفون عن العمل وقال لي أنه يتقاضى مرتبه من أصحاب العمل للقيام بضرب الأطفال من آن لآخر.

شعرت منذ تلك الحادثة بظلم المجتمع القائم، وأدركت أنه مبني على استغلال الأغنياء للفقراء.

جذبتني دائما المظاهرات الجماهيرية، وكنت أنشد دائما للسير وسط الجموع الصاخبة فاشتركت في المظاهرات الوفدية ضد دكتاتورية الملك وعميله صدقي (١٩٣٠/١٩٣٥) وقد أصبت في العديد من المرات بضربات الهروات وعصى الحرس.

وفي يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ اشتركت في المظاهرة الكبرى وكنت في ميدان الإسماعيلية (التحرير) أثناء اعتداء الجيش على المتظاهرين بالدبابات، ورأيت دبابات الجيش والجنود الإنجليز يهاجمون الشباب ويقتلون الكثير منهم.

ثم أثر فيَّ بعد ذلك موقف (ديمتروف) من قضية الريخستاج سنة ١٩٣٣/١٩٣٤ أثر في نفسي تأثيرا كبيرا مما جعلني أتوجه لقراءة الكتب الشيوعية.

أول كتاب ماركسي درسته كان كتابا عنوانه (المادية التاريخية) لبوخارين، ثم بعد ذلك قرأت البيان الشيوعي، ثم رأس المال، وعندما كنت أقرأ الصفحات التي كان ماركس يتكلم فيها عن استغلال الأطفال

ـ (ج) فيما يتعلق بتشددي في قضية التمصير إلى درجة منع الأجانب من المشاركة بأي دور قيادي. فهذا أمر صحيح وقد كان هذا موقفي طوال فترة كفاحي في مصر.

ـ (د) لم يكن هناك أي خلاف شخصي بين وبين كورييل أو بيني وبين شوارتز.

بل انني حتى بعد خروجي من الاتحاد الديموقراطي كنت على اتصال مستمر بكورييل، وكان شوارتز يتردد أيضاً على نادي " ثقافة وفراغ" وكنا نتناقش في النظرية الماركسية لم يكن له أي نشاط.

ـ (هـ) تم تكوين منظمة (ح. م) ومنظمة (شرارة) بعد مرور عدة سنوات من تأسيس منظمة تحرير الشعب والتي كانت هي التنظيم الشيوعي الوحيد الذي ظل يعمل بمفرده حتى شهر أكتوبر من سنة ١٩٤١ عندما قبض البوليس على أهم أعضاء. بينما تم تأسيس كل من (ايسكرا) و(ح. م) في سنة (١٩٤٣) بعد وقوع خلاف بين كورييل وشوارتز وفي ذلك الوقت كنت منفياً في فلسطين.

**ص ٢٠١: " وفي دراستنا هذه سوف ٠٠٠٠ حتى نهاية الصفحة "**

وكان يجدر الإشارة بأن أعضاء تحرير الشعب قد لعبوا دورا كبيراً في انتزاع مساحة داخل هذه المجلات وعلى الأخص " الطليعة " و"المجلة الجديدة" بهدف توجيهها في اتجاه ماركس وقد كان النشاط داخل هذه المجلات والصحف يقع محل اهتمام كبير لدى منظمة تحرير الشعب وفي نهاية ١٩٤١ وبداية ١٩٤٢ استطاعت عناصر من تحرير الشعب الحصول على ترخيص " المجلة الجديدة " من سلامة موسى بمساعدة مالية قدمها ريمون آجيون، وهكذا أصبحت " المجلة الجديدة " تدار من قبل إدارة ماركسية.

**ص ٢٠٤: " الفقرة الأخيرة**

وبعد صدور العدد الثالث من " التطور " أحس جورج حنين بأن الأمر يخرج من يده ومن يد التروتسكي.

ــ وفي الحقيقة يرجع الفضل لجهود أعضاء تحرير الشعب بالتعاون مع أنور كامل الذي كان في ذلك الوقت أقرب إلى الماركسية اللينينية منه إلى إلى التروتسكية والفوضوية في إخراج المجلة من دائرة سيطرة العناصر التروتسكية والفوضوية.

**ص ٢٩١/٢٩٢: فقرة " (وإذا كان لمارسيل فضل العمل على تثقيف هذه الكوادر حتى ... لدعاية معادية للدين) "**

(أ) ــ أثناء قيامي بتدريس الماركسية كنت حريصا كل الحرص على أن أقوم بنقل شامل لهذه النظرية العلمية وقد استتبع هذا بطبيعة الحال تدريس المادية الجدلية والمادية التاريخية دون حجب أي من جوانبها أو انتقاص أحد العناصر لأغراض بعينها. ولكنني رغم ذلك كنت حريصا عند تناول موضوع الدين. نظرا لما لهذا الأمر من حساسية وأهمية. دون إغفال أهمية الدور الوطني الذي يلعبه الدين ابان مراحل التحرر الوطني.

(ب) ــ أعترف هنا بانني في البداية قد وقعت في بعض الأخطاء أثناء عملية تدريس الماركسية للعمال، إلا أنني سارعت بتصحيح هذه الأخطاء بمرور الوقت ومع اكتساب الخبرة اللازمة.

(ج) ــ أما العامل الذي ضرب في مقهى عام، نظرا للقيام بالدعاية للأفكار المادية (وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه كان يقوم بدعاية مباشرة ضد الدين) فهو " فتحي الرملي ".

(أ) ــ لم تتعرض " تحرير الشعب " للشلل والتوقف عن العمل بسبب القبض عليّ ثم ترحيلي خارج مصر، وفي الواقع تعرضت العلاقات التنظيمية بين الأعضاء إلى درجة من التفكك إلا أن كافة الأعضاء استمروا في النشاط (إدارة المجلة الجديدة ــ ترجمة الكتب الماركسية ــ العمل في الجامعة ــ العمل وسط النوبيين ــ إدارة دار الفجر للنشر ــ الاتصال ببعض العمال).

(ب) ــ وعند رجوعي إلى مصر في ديسمبر ١٩٤٣ قمت بالاتصال بالرفاق المصريين. وفي نفس الوقت أتصل بي كل من شوارتز عن " شرارة " وكورييل عن (ح. م) ودعوني للانضمام إلى تنظيميهما والاشتراك في القيادة. وبعد التشاور مع الرفاق المصريين اجتمعت مرة واحدة مع قيادة " شرارة " وكان في ذلك الوقت تنظيما أجنبيا لا يوجد به مصري واحد. كما اشتركت كعضو قيادي في تنظيم كورييل. وكانت قيادته ذلك الوقت أيضا من الأجانب (جو ماتاكون ــ ناحوم ــ أريت آربيه ــ وشخص أرمني كان ينام أثناء الاجتماعات).

ورجعت لأعرض ما رأيته على الرفاق المصريين فطلبوا مني قطع علاقتي بهذين التنظيمين وتقرر إعادة تنظيم " تحرير الشعب " فعقدنا مؤتمرا في القناطر الخيرية وأعدنا تأسيس تحرير الشعب وانتخاب قيادة مصرية خالصة، وقد واصلت أنا العمل على مستوى القاعدة حتى قيام الوحدة بين " تحرير الشعب " و" شرارة " وكان نشاطي يقتصر على تدريس الماركسية، وكنت أكلف من قبل القيادة بعمل تحليلات اقتصادية واجتماعية وسياسية خاصة بالواقع المصري، كما كنت وكلنا بالاتصال بـ (ح. م) و" ايسكرا " والأحزاب الشيوعية في الخارج.

(ج) – في الفقرة الأخيرة " ما لبثت تحرير الشعب أن اتحدت مع "إيسكرا".

والواقع أن عملية التوحيد قد قامت بعد مرور ٣ سنوات ونصف من إعادة تأسيس تحرير الشعب.

**ص ٢٩٨: فقرة " وأتصل مصطفى هيكل ٠٠٠٠ الخ "**

وفي الحقيقة انني كنت أقوم باتصال مستمر مع منظمة القلعة ومع مصطفى هيكل بالذات (بناء على تكليف من قيادة تحرير الشعب) وقمت بإلقاء عدة محاضرات عن الماركسية في منزله بحي القلعة.

**ص ٣٢٧ : الفقرة الأخيرة " وبرغم ما قد يبدو ٠٠٠٠٠ الخ ".**

(أ) – انني أرى أن تفسير ظاهرة الانقسامية والتكتلية والانحرافات اليسارية اعتمادا على تواجد عدد كبير من الأجانب والبرجوازيين الصغار وأبناء الأغنياء في منظمة إيسكرا هو تفسير خاطئ وسوف نرجع إلى هذه النقطة فيما بعد.

**ص ٣٢٨ : تحت عنوان الحركة المصرية للتحرر الوطني (ح. م)**

(أ) – لم يحدث أي خلاف بيني وبين هنري كورييل أو شفارتز طوال المدة الممتدة بين خروجي من الاتحاد الديموقراطي ١٩٤٠ حتى وقوع أزمة " حدتو " في منتصف ١٩٤٨.

(ب) – لم يكن كورييل يتميز عني بدعوته للتمصير. بينما كما هو معروف تماما. أثناء المدة التي قضيتها في مصر منذ بداية كفاحي كشيوعي وأنا أرفع شعار التمصير وأطبقه أيضا. وقد حرصت طوال فترة كفاحي أن أظل في صفوف وقاعدة المنظمات الثورية المختلفة ورفضت عند قيام" حدتو " أن أدخل إلى قيادة المنظمة بالرغم من ترشيحي لها. بينما على الجانب الآخر تمسك هنري كورييل طوال فترة

نضاله في مصر (بل وأيضا بعد ابتعاده عن مصر) بمركز السكرتير السياسي للمنظمة رغم تعارض وجوده في هذه الموقع مع المشاعر القومية. وأنا أرى أنا هذا دليل قاطع على ضعف حاسيته السياسية.

**ص ٣٢٩: فقرة " وقبل أن نواصل بحثنا .... حتى نهاية الفقرة ".**

لم تكن " ح. م " في اعتقادي هي أكبر المنظمات الشيوعية وأكثرها تأثيراً في مسار الحركة الشيوعية وفي الحركة الوطنية المصرية بل كانت " منظمة إيسكرا " وخاصة بعد الوحدة مع تحرير الشعب ومنظمة القلعة هي أكبر منظمة شيوعية وأكثرها تأثيراً وعلى وجه التحديد بعد تكوين " الطليعة المتحدة ".

إلا أن مجموعة كورييل كانت على درجة أعلى من التماسك وأنا أرى أن هذا التماسك كان يرجع أساسا إلى الولاء الشخصي وذلك يعود إلى ما كان يتمتع به كورييل من قوة " كاريزماتيك " تأثير وجذب. ان هذا يدفعني لأن أقول بأن "ح. م " كانت أقرب إلى روح التشييع الطائفي أكثر منها إلى علاقات حقيقية محددة داخل منظمة شيوعية.

ولعل النتائج التي ترتبت على خروج كورييل من مصر تثبيت صحة هذا الرأي. فقد ابتعد الكثيرون بل الأغلبية من أعضاء بارزين في منظمة (ح. م) عن الكفاح.

**ص ٣٣١: الفقرة الأخيرة " والحقيقة أن معظم كوادر الحركة ...."**

والواقع أن

(أ) ـ الكتب الماركسية كانت متوفرة وتباع في عدة مكتبات "ولاسيما مكتبة هاشيت باللغة الفرنسية والإنجليزية، وكانت بعض الكتب تصل من موسكو مترجمة إلى اللغة العربية".

(ب) ـ كانت الجريدة الرسمية للكومنترن "إنترناشونال كورويسبونرانس" تباع في المكتبات باللغة الفرنسية والإنجليزية والإيطالية.

(ج) ـ عندما تم القبض عليّ استولى البوليس على أكثر من ٣٠٠ كتاب ماركس.

(د) ـ قبل تكوين مكتبة الميدان كان هناك عدد كبير من الكوادر الشيوعية المصرية تم تكوينه الماركسي بل ويناضل على مبادئ ماركسية.

**ص ٣٣٢ : فقرة " هكذا في البداية كان ...... حتى نهاية الفقرة "**

ـ كان كل من تحسين المصري وموسى الكاظم قيادة تحرير الشعب. وكذلك فؤاد الأهواني على تعاون وثيق مع " تحرير الشعب ".

**ص ٣٣٣ : فقرة " ومن عبده دهب ......... حتى نهاية الفقرة "**

ـ وفيما يختص بالنوبي " صالح عرابي " فقد كنت جندته وهو يعمل في شركة " سيجوارت " حيث كنت أعمل أنا أيضا وقد أصبح عضوا قياديا في تحرير الشعب وعن طريقه توصلنا إلى تجنيد عبده دهب وعدد آخر من النوبيين.

**ص ٣٣٥ : فقرة " يقول كوربيل في يناير ١٩٤٣ .... الخ "**

والواقع أن أول مدرسة كادر كنت قد كونتها سنة ١٩٣٨ أي ٥ سنوات قبل هذا التاريخ.

**ص ٣٣٨/٣٣٧: الفقرة الأخيرة " وانطلقت ح. م في ساحة العمل ... إلى نهاية الفقرة ص ٣٣٨ ".**

وبدون التقليل من أهمية " ح. م" وحجم نشاطها إلا أنني أرى اليوم أنها لم تكن أكثر المنظمات الشيوعية ديناميكية وحركة، بل كما ذكرت

سابقا فإن " إيسكرا " وخاصة بعد تكون " الطليعة المتحدة " لعبت دوراً أكبر.

ص ٣٣٩/٣٤٠/٣٤١ :

وسأعلق بشكل عام عما ورد بهذه الصفحات:

(أ) ــ منذ عام ١٩٣٨ وقضية التمصير مطروحة أمام الشيوعيين في مصر. ولا سيما بعد اللقاء الذي تم بيني وبين نيقولا شاوي وميدويان في بيروت. وقد خرجت أنا وعدد من أعضاء لجنة أنصار السلام من اللجنة بعد وقوع الخلاف مع جاكو دي كومب حول قضية التمصير.

(ب) ــ وقد مرت قضية التمصير بمرحلتين: الأولى والتي انتهت في نهاية ١٩٤٢ وبداية ١٩٤٣ وكانت تتركز حول تجنيد وتكوين الكادر الماركسي المصري أما المرحلة الثانية فقضية التمصير أصبحت تعني تمصير القيادة بشكل كامل.

(ج) ــ ان وجود أجنبيين في قيادة " حدتو" الأول في منصب السكرتير السياسي والثاني في منصب السكرتير التنظيمي (المسئول السياسي، المسئول التنظيمي) كان السبب الأساسي لأزمة " حدتو ".

وهنا أذكر ما قاله لي شهدي عطية قبل ظهور أول تكتل في "حدتو":

ــ (هل يصح أن يكون هناك تنظيم شيوعي بحجم حدتو يلعب دوراً قيادياً في الحركة الوطنية المصرية. ويبقى على رأسه أجنبيان ؟) وهنا أحب أن أضيف أن وجود كلا منهما على رأس " حدتو " كان أمراً سلبياً وضاراً. إلا أننا يجب أن نميز بين دور كورييل والذي كان دوراً بارزاً وقوياً ودور شوارتز الذي كان شبه مجهول.

(د) ـ لقد كانت هذه القضية " **التمصير على مستوى القيادة** " أمراً بالغ الحساسية. وخاصة وأن الحركة الوطنية المصرية كانت تقف في وجه السيطرة الأجنبية سواء على شكل الاستعمار الإنجليزي أو كهيمنة الرأسماليين الأجانب على الاقتصاد المصري، ومن ناحية أخرى فإن مشكلة فلسطين ومواجهة الاعتداء الصهيوني العالمي كانت تزيد تعقيد الموقف (هنري كورييل وهليل شوارتز كانا يهوديين).

**ص ٣٤٢ : أول فقرة**

(أ) ـ وفي رأيي أن قيادة الأجانب (بالأخص شوارتز) في "إيسكرا" كانت برغم مركزيتها تسمح بحرية نسبية لنشاط الأقسام. أما في "ح. م" فإن هيمنة كورييل كانت مطلقة على كافة نشاطات التنظيم ومن ناحية أخرى، فإن تنظيم " إيسكر " كان يحتفظ بدرجة عالية من السرية، مما أدى إلى أن العدد الذي كان على معرفة بالقيادة وبالأخص بـ شوارتز كان محدوداً جداً. بينما كان " ح. م " تنظيما شبه علني وكان اسم مسئوله السياسي " كورييل " على كل لسان بل وأيضا خارج التنظيم وفي الحقيقة انحصرت قيادة شوارتز في وسط الأجانب منذ ١٩٤٦ بينما أشرف على المصريين بالمنظمة " عادل " ـ (الجبيلي) وشهدي وجمال غالي.

أما فيما يخص منظمة تحرير الشعب فإن قضية التمصير لم تكن مثارة، إذ أن القيادة كانت مصرية تماما، وعلى مستوى القاعدة كان يوجد أجنبيان فقط وهما أنا وزوجتي جانيت. وبما أن "تحرير الشعب" كانت في ذلك الوقت هي المنظمة المصرية الخالصة فإنها كانت موضع تقدير المنظمات الأخرى والتي كانت تحاول أن تكسبها إلى جانبها أو أن تتحد معها. إلا أن أعضاء " تحرير الشعب " في أغلبيتهم كانوا يتحفظون في التعامل مع المنظمات الأخرى نظرا لوجود الأجانب في قيادتها ولاسيما نحو "ح. م" لسيطرة يونس عليها.

(ب) ـ أما بصدد الانقسامات

فأنا أرى أن السبب الحقيقي وراء حدوث انقسامات وتكتلات كان وجود الأجانب في قيادة المنظمات، وعلى وجه التحديد قيادة "يونس" سواء في "ح. م" أو في "حدتو" ومما يؤكد هذا الرأي أنه قد حدثت عدة انقسامات داخل "ح. م" قبل الوحدة وتأسيس "حدتو" بأكثر من عام وأذكر منها(*) انقسام " القاضي/ حدتو ـ العصبة الماركسية" انقسام "د.حسونة" ـ الطليعة/ الإسكندرية ولنفس السبب ألا وهو "دور الأجانب في الحركة" ووجود يونس في قيادة "ح. م". وكافة الأعضاء الذين انقسموا كانوا مصريين.

**ص٣٧١ وما يليها: الوحدة**

(أ) ـ فيما يتعلق بعملية التوحيد التي جرت أثناء ١٩٤٦ و١٩٤٧ فقد لعبت دوراً أساسيا إذ انني كنت أقوم بالوساطة بين كافة المنظمات (بما فيها د. ش) فقد وقع الاختيار عليَّ من بعض الأحزاب الشيوعية الأجنبية (الحزب الشيوعي اللبناني ـ الحزب الشيوعي الفلسطيني ـ ح. ش الإنجليزي ـ ح. ش الفرنسي). نظراً لكوني رفيق قديم وعضو في تنظيم مصري يقف في شبه حياد بين المنظمتين الكبيرتين (ح. م وإيسكرا).

وبناء على تكليف من قيادة " تحرير الشعب "، فكنت على اتصال مستمر بشهدي والجبيلي وشوارتز عن إيسكرا وهيكل وآخر عن "القلعة" وريمون دويك وصادق سعد عن (د. ش) ويونس وحده عن "ح. م". وأسعد حليم ومكاريوس عن " تحرير الشعب ".

(ب) ـ وقد اهتم بمتابعة عملية الوحدة نيقولا شادي من الحزب الشيوعي اللبناني، ومفيد النشاشيبي من ح. ش الفلسطيني وميرسيه من

---

* ـ انقسام الشراقوي م. اتحاد شعوب وادي النيل.

ح. ش الفرنسي ورفيقين مسئوليين مــن ح. ش الإنجلــيزي لا أتذكــر أسميهما.

(ج) ـ وكانت كل كوادر إيسكرا توافق على مشروع الوحدة (وان كان معظم الأجانب في إيسكرا يعملون القليل عما يحدث) وهنا أؤكد أن شوارتز كان موافقا على الوحدة ولم تفرض عليه فرضاً. وكانت منظمة القلعة توافق بإجماعها على الوحدة (مع أن جزءاً من الكادر انضم لــــ إيسكرا وتحرير الشعب لتأسيس الطليعة المتحدة بينمــا انضــم الجــزء الآخر إلى ح. م).

أما " د. ش " فقد فهمت من خلال اتصالاتي بها أنها تتجــه إلــى الوحدة ولكنها وضعت شرطاً ألا وهو " استبعاد ح. م وعلى الأخــص "كورييل" (وان كان هذا الشرط لم يأتي بشكل صريــح بــل بطريقــة ضمنية).

أما منظمة " تحرير الشعب " فكان جزء من كوادرها يعترض على الوحدة مع منظمات كان يعتبرها أجنبية (ح. م، إيسكرا) وبــالفعل فقــد رفضت هذه المجموعة الاشتراك في الوحدة وظلت تحت اسم "تحريــر الشعب" لمدة معينة بعد تكوين الطليعة المتحدة وبل استمروا حتى بعــد تكوين " حدتو".

كانت أغلبية كوادر وقواعد "ح. م" ضد الوحدة ولم ترحب بها أمــا كورييل فكان يريد الوحدة وقد جر "ح. م" إلى قبولها. ويرجــع قبــول كورييل للوحدة إلى سببين:

**الأول:** استجابته لتوجيهات الأحزاب الشيوعية الأجنبية التي قــامت بجهود توحيدية.

**الثاني:** ليتجنب ان يتم عزل " ح. م" بينما تتحد كافــة المنظمــات الأخرى مما كان سيؤثر سلبيا على وزن المنظمة السياسي وبالرغم مــن

في مصانع النسيج الإنجليزية كنت أرى أمامي عيون الأطفال المصريين الباكية في مصانع الحليج.

وفي سنة ١٩٣٤ أصبت بمرض (الربو) وكان مرضي شديدا لدرجة أنني لم أكن أحيانا أستطيع أن أتنفس، فقدمت استقالتي للبنك الإيطالي الذي كنت أعمل به، وظللت بلا عمل لمدة ٣ سنوات ولم ألتحق بأي عمل آخر، بل قضيت السنوات الثلاث في دراسة النظرية الماركسية وأستطيع أن أقول بأن مرض الربو هو الذي أتاح لي أن أتفرغ لدراسة الكتب الماركسية بعمق وتوسع، بل لقد لعب ذلك المرض دورا هاما في حياتي بعد ذلك فيما يتعلق باتصالي بالحركات الشيوعية المنظمة، إذ أن الأطباء كانوا قد نصحوني بالذهاب إلى لبنان في صيف عام ١٩٣٥ وهناك التقيت برفيق شيوعي لا أذكر أسمه الآن وكان منظما داخل الحركة الشيوعية بلبنان وقد تناقشنا كثيرا في النظرية الماركسية ولكن بدون دخول في الجوانب العملية.

عدت مرة ثانية إلى لبنان سنة ١٩٣٦ ووقع حادث جعل (فرج الله الحلو) يتصل بي فقد حدث بينما كنت أتجول بأحد القرى الجبلية وأسمها (بحمدون) ان شاهدت شابا يعتدي على بائع حلوى، وكان هذا البائع بذراع واحد وقد فقد ذراعه الآخر نتيجة لحكم جزائي وقع عليه في المملكة السعودية اندفعت لأدافع عن بائع الكحك وأخذنا نتبادل أنا وذلك الشاب الضربات، وكان هذا الشاب ابنا لحاكم لبنان وبعد مرور يومين حضر البوليس إلى الفندق وطلبوا مني تقديم اعتذار لذلك الشاب فرفضت فقامت جريدة حكومية تطالب بإبعادي عن لبنان، ودافعت عني جريدة ديموقراطية وتدخل بعد ذلك القنصل الإيطالي ولكن إزاء تصميمي على عدم الاعتذار انتهت المشكلة إلى لا شيء، اتصل بي فرج الله الحلو ذلك الوقت وقدمني إلى شاب شديد الذكاء وقوي الشخصية وهو نيقولا شاوي – بسكرتارية الحزب الشيوعي اللبناني

المعارضة التي أظهرها الكوادر في " ح. م" لعملية الوحدة فقد نجح كوريبل في إتمام عملية الوحدة (ان هذا يدل على مدى هيمنة كوريبل على التنظيم).

(د) ــ أما الوحدة التي قامت بين إيسكرا أو غالبية "تحرير الشعب" وأغلبية " القلعة " فلم تكن مرة وحدة متعجلة **(ص٣٨١)**

ولم تقم بهدف الضغط على " ح. م " كما أنها لم تكن محاولة لاستجماع قوة عددية للحصول على مراكز.

بل قامت هذه الوحدة بناء على دعوة من " كوريبل " وجهت إليَّ حتى تساعده على إقناع قيادة " ح. م " والكادر المعارض للوحدة. وقد كان كوريبل موافقاً تماماً على قيام الطليعة المتحدة كمنظمة مؤقتة تهدف "إلى إتمام الوحدة مع " ح. م "، وقد تحقق ما كان كوريبل يفكر فيه إذ أن قيام الطليعة المتحدة قد ساعده في إقناع كوادر ح. م بقبول الوحدة.

(هـ) ــ وعند تكون قيادة " الطليعة المتحدة " فوجئت بأن " تحرير الشعب " قد اختارتني إلى جانب أسعد حليم لتمثيل تحرير الشعب في "الطليعة المتحدة"، وقد اعترضت بشدة على هذا الاختيار لانني كنت أراه مخالفا لمبادئ تحرير الشعب والتي ترفض وجود الأجانب في القيادة، ولكن الرد كان بأهمية وجودي على المستوى القيادي نظرا للدور الذي كنت أقوم به في عملية التوحيد إلى جانب أن " الطليعة المتحدة " كانت تنظيما مؤقتا مهمته الأساسية إتمام عملية الوحدة مع "ح.م". وفي الواقع انني اشتركت في قيادة " الطليعة المتحدة " مكلفا فقط بمواصلة جهود التوحيد مع "ح. م" وعندما تمت الوحدة وتأسست "حدتو" وعينت من طرف قيادة " الطليعة المتحدة " كعضو في قيادة "حدتو" وقد رفضت بإصرار ذلك وصممت على بقائي خارج قيادة "حدتو". وهذا ما اعترف به جميع الرفاق بما فيهم "كوريبل".

(و) ــ وقد تكررت الاتصالات بيني وبين كوربيل وكانت الاتصالات بـ"د. ش" أقل بكثير. إلى أن رفضت "د. ش" استمرار الاتصالات. وأخبرني كوربيل في لقاء بانه تمكن من إقناع القيادة بقبول الوحدة وطلب مني إبلاغ هذا القرار إلى قيادة " الطليعة المتحدة ". واجتمعت قيادة " الطليعة المتحدة " وانتخبت ثلاث رفاق (الجبيلي ــ شهدي ــ شوارتز) لمناقشة أسس الوحدة وتفاصيلها. وقد ابلغوني بعد ذلك بقيام المنظمة الجديدة "حدتو". ولم أكن أعرف أسماء أعضاء اللجنة المركزية لــ "حدتو" باستثناء أعضاء الطليعة المتحدة فيها وكوربيل.

أما أنا فقد كلفت بأمر من القيادة الجديدة بالعمل وسط الأجانب من أعضاء "حدتو". وبمرور بضعة شهور كلفتني قيادة "حدتو" بأن أتولى المسئولية الفعلية لمكتب الدعاية المركزي (كنائب مسئول المكتب "شهدي" ــ والذي قالوا لي بأنه مريض).

(ز) ــ ٣٨٧/٣٨٦

ورداً على ما ورد في هذه الصفحات بخصوص " **السرية** ". أحب أن أقول بأن "ح. م" لم تكن تراعي السرية المطلقة بل أن مكتب "كوربيل" بشارع الشواربي كان بمثابة مركز شبه علني لمنظمة شبه علينة. يتردد عليه كل كوادر "ح. م" وعدد من كوادر المنظمات الأخرى. كما كان الشيوعيون الأجانب من الأحزاب الشيوعية الغير مصرية (إنجليزية ــ فرنسية ــ يونانية ــ إيطالية) يترددون أيضاً على نفس المكان. بينما كانت منظمة " ايسكرا " تحتفظ ببعض قواعد الأمان.

ص ٣٨٩ :

أشك تماما في دقة الأرقام الواردة بالصفحة فيما يتعلق بعدد أعضاء " ح. م " و" إيسكرا " وفي رأيي أن عدد المصريين في "الطليعة المتحدة " كان يزيد كثيراً على عددهم في " ح. م ".

ص ٣٨٧ :

كانت الاجتماعات المشتركة في " حدتو " بين أعضاء " ح. م " وأعضاء " الطليعة المتحدة " تواجه الكثير من الصعوبات الناتجة عن اختلاف مستوى الوعي النظري.

كانت كوادر " الطليعة المتحدة " تتجه إلى تحليل المواقف تحليلا نظريا دقيقا قبل المبادرة العملية، بينما كان أعضاء "ح. م" يميلون إلى التلقائية.

## أزمة " حدتو"

## ـ التكتلات والانقسامات ـ

ترجع أزمة " حدتو " في رأيي إلى ثلاثة عوامل أساسية:

**أولاً:** وهذا العامل هناك اتجاه إلى التقليل من أهميته ولذلك أصر على تأكيده. ألا وهو سيطرة أجنبي (كورييل) على المنظمة. (بالإضافة إلى وجود شفارتز كمسئول تنظيمي إلى جانب عنصر أجنبي ثالث في ل. م وهي أيمي ستون).

ـ إن مشكلة " مصرية القيادة ". هي مشكلة قديمة في الحركة الشيوعية المصرية منذ تكون الحزب الشيوعي المصري الأول في العشرينيات، وقد عارضت الكوادر المصرية بل وكافحت ضد وجود عدد من الأجانب (وبالذات اليهود) في قيادة الحزب. وقد خاض السكرتير الأول للحزب " حسني العرابي " معركة بهدف إبعاد هؤلاء الأجانب من قيادة الحزب.

ـ وإبان ظهور الحلقة الثانية من الحركة الشيوعية في مصر في الثلاثينيات، قمت برفع شعار " تمصير الحركة " عن طريق تكوين

الكوادر المصرية وبالتالي ضرورة " تمصير القيادة " وقد قمت بهذا بناء على توجيهات من الحزب الشيوعي اللبناني. وكانت اللجنة المركزية لأول منظمة شيوعية في الحلقة الثانية " تحرير الشعب " تتكون من مصريين ما عدا " مارسيل " الذي كانت مهمته إدارة مدرسة الكادر. وكان المنبر العلني " الخبز والحرية " تحت قيادة مصرية خالصة مسئولة مسئولية تامة عن كافة القرارات والنشاطات. لدرجة أن سكرتير الخبز والحرية " أنور كامل " صرح بأنه لم تكن هناك لمارسيل أي علاقة مباشرة أو غير مباشرة " بالخبز والحرية " وعند إعادة تنظيم "تحرير الشعب" أصبحت القيادة مصرية ١٠٠% وكنت أنا في القاعدة. وكنت أقوم بتنفيذ المهام التي كانت القيادة تسندها إليّ. وكان معظم أعضاء " تحرير الشعب " يتحفظون في علاقتهم " بايسكرا " و"ح. م" بسبب سيطرة الأجانب على هذين التنظيمين. ولقد كان البعض يشكون في " كورييل " و" شفارتز " لدرجة أنه تم اتهامهم بالشوفينية.

بل وأكثر من هذا، فعند وحدة " تحرير الشعب " مع " إيسكرا" ثم مع " ح. م" رفض جزء من كوادر " تحرير الشعب " الوحدة بسبب وجود الأجانب في القيادة.

ــ أما في منظمة " إيسكرا " فان مشكلة " تمصير القيادة " لم تثر بشكل حاد، فبتقدم عملية تمصير المنظمة ودخول مصرين إلى القيادة. انحصر دور شوارتز في إدارة قسم الأجانب ومتابعة المسائل الإدارية والمالية. بينما كانت قيادة القسم المصري وهو القسم الذي كان يتزايد نموه كثيراً وسط الطلبة والمثقفين، أصبحت في يد الكوادر المصرية في اللجنة المركزية (عادل ــ شهدي ــ جمال غالي .. الخ).

ــ ولكن كان الأمر يختلف في " ح. م" فقد كان كورييل بطموحه لتحقيق السيطرة الكاملة والمطلقة، وما يتمتع به من قوة شخصية وجاذبية. كان هو المتحكم بشكل مطلق في المنظمة. وكان يدير علاقاته

بالكوادر على أسس شخصية أكثر منها تنظيمية (وهذا ما قاله فــوزي جرجس ــ ص ٣٦٢) وقد كان محاطا بالمريدين الذين كان يثقون بــه بشكل شبه صوفي (وهو ما يتنافى مع الدور الحقيقي للكادر الشيوعي). اننا لا نندهش إذن من ظاهرة ابتعاد هؤلاء الكوادر عن الكفاح بمجــرد اختفاء كورييل. أما الكوادر التي كانت تتناقض مع كورييل فقــد كــان يحاربها بلا هوادة مستخدما كافة الأساليب بما فيها الأساليب والوســائل الغير مبدئية والافتراءات (مثال. مع مارسيل تهمه تركيز الكفاح ضــد الدين. ضد القاضي وجرجس إحناء الرأس للعاصفــة. ضــد شــهدي "إرجاع سبب التكتل إلى غضب شهدي لإبعاده عن مسئولية الإشــراف على مجلة الجماهير ضد أسعد حليم ومجموعة المصريين الذين كونــوا مع مارسيل " تحرير الشعب "ــ: "برجوازيون صغار ضيقوا الأفق"!!)

وقد استمر " كورييل " في استخدام نفس الأساليب بعد أن تكونــت "حدتو".

ــ وفي قيادة "حدتو" ورغم أن اللجنة المركزية كانت تتكون مــن ١٥ عضواً منهم ١٢ مصري. فإن كورييل كــان دائمــا هــو القــائد وصاحب السلطة الفعلية (وكان يتمكن من الاحتفاظ بهذه السيطرة علــى د. م بمساعدة المجموعة المتحلقة حوله)، وقد صرحت " إيمي ســتون" وهي عضوة " ل. م" في " حدتو " للكاتب جيل بيرو ص١٩٥. في كتابه عن كورييل " رجل من نسيج خاص".

" كان يجمع كل شيء في يده، وكان هو الوحيد الذي يملــك كــل البيانات والمعلومات ".

ويضيف ــ جيل بــيرو ــ " وعــن طريــق اللجنــة المركزيــة والسكرتارية كان كورييل دائما هو الذي حرك الخيوط ".

وأنا أضيف: وأيضا عن طريق لجنة المراقبة " كوكو" التي كانت في يد يونس (بواسطة يوسف حزان) إداة للتحكم في التنظيم عن طريق متابعة حركة الأعضاء وأفكارهم.

ـ إن نفس الوسائل التي كان كورييل يستخدمها لتحقيق سيطرته على الحركة الشيوعية المصرية، استخدمها أيضا في باريس للسيطرة على شبكة جينسون وهي شبكة تكونت في أوربا لمساندة ومساعدة جبهة التحرير الوطني الجزائرية.

وفي يوم ما كان جيتسون عائدا من سويسرا! (أنظر ـ جيل بيرو ٣٠١) " اكتشف أن الشبكة أصبحت خاضعة لكورييل الذي كان قد وضع رجاله في كل مراكز القيادة .. "

لقد تمكن كورييل من عزل جينسون Jeqnson بقسوة وهو الذي خلق بمجهوده الكبير هذه الشبكة بعد إبعاده أصبح كورييل المسيطر الوحيد على الشبكة ويضيف جيل بيرو Gilles Perrall : (ص٣٠٢) " هل هي ميكافيلية؟ بلا شك لا يمكن إعفاءه من هذه التهمة ..

ولكي يقضي كورييل على خصومه كان يستبيح كافة الطرق الستالينية.

ـ في بلد محتل، ومستغل اقتصاديا أيضا من الداخل عن طريق مجموعة من الرأسماليين الطفيليين الأجانب (كوزمو بوليتان)، وفي منطقة تزداد فيها يوما بعد يوم حدة الصراع العربي الصهيوني بخصوص فلسطين كان كورييل بطموحه الذي لا حدود له للسيطرة المطلقة على رأس الحركة الشيوعية المصرية. وإصراره على أن يكون هو المسئول السياسي، يسبب ضررا كبيرا وتأثيرا سلبيا لهذه الحركة، وقد تمكنت القوى الاستعمارية والرجعية من الاستفادة الكاملة من هذا

الموقف وعمل حملات دعائية مضادة مبنية علـى شـعار " المليونـير الأجنبي اليهودي، مؤسس الحزب الشيوعي المصري وقائده ".

ــ لم ينمو ولم يتزايد قسم الأجانب في (حدتو) بل علـى العكـس، بـدأ في الانكماش وخاصة بعد ضربات البوليس التالية لتأسيس وبـدء نشاط ــ اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية ١٩٤٧.

ولم يكن الأعضاء الأجانب الثلاثة في ل. م (يونـس ــ شـندي. ستون) يمثلون هذا القسم. كما لم يكن لهذا القسم أية تأثير على اختيـار أعضاء ل. م. ولا على خط (حدتو)، ولا على نشاط الأقسام الأخـرى. وقد كانت العلاقة بين القسم والقيادة تنحصر أساساً في التمويل.

ويجب هنا الالتفات إلى ظاهرة هامة وهي أن كورييل وضع كـل الأجانب من " ح. م" سابقا، بعيداً عن قسم الأجانب. وذلـك لتوزيعـهم على الأقسام المصرية في (حدتو).

ــ لم يكن الصراع في القيادة يـدور بيـن كورييـل وشـوارتز (أجنبيين) بل بين يونس وعادل كما هو معروف. وقـد تمـت عمليـة التقسيم في قيادة " حدتو " وعلـى مسـتوى الكـادر بيـن (يونسـيين) و(عادليين)، وكان هناك عدد قليل من (الشنديين) وخاصة من الأجانب.

وأحب أن ألفت الانتباه إلى أنه طوال مدة كفاحي في مصـر، لـم يذكر أحد عبارة (المرسيين) " وهو أسمي الحركي ".

ــ لم يكن الأجانب وراء أول إنقسام في " حدتو " بل كونوا كـوادر مصرية، فالتكتل الثوري كان يتكون من أنور عبـد الملـك، شـهدي، الغمري، زهران، غزالي، عبد السيد، محمد سيد أحمد، إلـهام سـيف النصر، توفيق حداد، نيقولا ورد، حسين كاظم .. الخ.

وكانت هذه المجموعة ثائرة ضد القيادة الأجنبيـة وخاصـة ضـد يونس. (وقد انضم إلى هذه الكوادر المصرية مجموعة من الأجانب فـي

القاعدة). وقد زادت حدة ثورة الكوادر المصرية نتيجة لهجوم المنظمات الأخرى (د. ش، عصبة .. الخ) على " حدتو " لخضوعها لسيطرة كورييل (وقد وصل الهجوم عليه إلى اتهامه بالصهيونية).

ــ ليس هناك أي سند تاريخي صحيح يثبت ما ادعاه كورييل بأن التكتلات والانقسامات كانت غطاء للتخلي عن الكفاح ولتجنب الضربات البوليسية وان هذا لا يعني بأنني أبرر التكتلات.

ــ لقد كان يونس متشبعاً بالأفكار الفلسفية المدرسية " سكوه ستيك" الشيوعية. وقد صرح بذلك صديقة ماكسيم رودنسون "هنري لم يكن يهتم أبداً بالنظرية الماركسية، وبفرض اهتمامه فإنه لم يكن يستطيع فهمها" ص ٨٤ من كتاب جيل بيرو بل الأخطر انه لم يكن يؤمن تماما بالتفكير العلمي إذ انه كما جاء حرفيا في نفس الكتاب (ص٤٣٨): " ان هنري كان يؤمن بالتنجيم".

إن المسئول عن أزمة حدتو هو في المقام الأول " كورييل ".

**ثانيا:** أما السبب الثاني لأزمة " حدتو " فكان الخط السياسي الذي اتبعته. وكان هذا الخط يعبر عنه خلط بين خطين: خط " حزب شيوعي" وخط " جبهة وطنية ديموقراطية"

ــ وعند تأسيس منظمة تحرير الشعب ١٩٤٠. لم يكن هذا الخلط موجودا في أفكار مؤسسيه. فكان هناك تمييز واضح نسبيا بين خط تأسيس الحزب الشيوعي وخط بناء الجبهة بقيادة طليعة الطبقة العاملة فكان على تحرير الشعب أن تنمو كحزب شيوعي سري أما الخبز والحرية فكان عليها أن تصبح تجمعا واسعا وعلنياً يضم إلى جانب الماركسيين التيارات الديموقراطية والوطنية. (والنقابية بطبيعة الحال).

وبناء على توجيهات من الحزب الشيوعي اللبناني وبعض الرفاق الفرنسيين المقيمين بمصر. نظمت تحرير الشعب على أساس برنامج

ولائحة، ولمهمتين أساسيتين: ١ـ تكوين كوادر ماركسية مصرية ٢ـ تحليل الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي المصري. وكانت تحرير الشعب تقود منظمة جماهيرية " الخبز والحرية " (إلى جانب ـ الثقافة والفراغ ـ) التي كانت تعمل على أساس برنامج وطني ديموقراطي ومطالب اجتماعية. (وقد بدأ سيد سليمان الرفاعي نشاطه في الخبز والحرية).

وقد وضعت الضربات البوليسة (إغلاق الخبز والحرية والثقافة والفراغ) والقبض على عدد كبير من الكوادر القيادية لتحرير الشعب. نهاية هذه التجربة.

ـ وبعد هذه التجربة ظهرت منظمتان كان لهما مستقبل في التطور والنمو. وكانت ايسكرا تتبع إلى حد كبير خطاً يهدف إلى تأسيس الحزب (التركيز على تكوين الكادر الماركسية المصرية) وكانت تحتفظ بقواعد الأمان نسبياً أما " ح. م". فلم تكن تهتم أساسا بتكوين الكادر.

(ويذكر بيرو ص ١٨٦ ـ أن معظم الكوادر اليونسية كانت قد تكونت في " إيسكرا " ). وكانت تعمل بلا لائحة أو برنامج وبلا مراعاة لقواعد الأمان متبعة خط جبهة وطنية ديموقراطية ويدل على هذا نفس الاسم الذي أختير خصيصا لذلك.

ـ وعند تكوين " حدتو " (وكما يمكن أن يستدل عليه من الاسم) فإن الخط الذي هو الذي ساد في " حدتو "، الخلط بين خط تكوين الحزب وخط تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية. وكان يونس مسيطراً على " حدتو ". وقد كتب الخط الذي اشتهر باسم " خط القوات الوطنية ".

ـ وهذا الخط كان سليماً. إذا اتبعته جبهة وطنية ديموقراطية، ولكن لا يصلح للتطبيق على منظمة شيوعية لازالت في مرحلة تكوين

الحزب وكان هذا الخط عمليا ونظريا كان يصفي الحزب (المطلوب تأسيسه) في جبهة وطنية ديموقراطية.

وكان يزيد من الأهمية الثورية للبرجوازية الصغيرة وهي بلا شك طبقات ثورية في ظروف البلاد المستعمرة وكان هذا الخط يقلل من أهمية الدور القيادي للطبقة العاملة. وقد كان هذا الخط (كوربيل) هو خط برجوازي صغير.

ـ أما بخصوص تواجد عدد كبير من البرجوازيين الصغار بل وأيضاً من البرجوازيين (متوسطة/ كبيرة). في حدتو (وهذه ظاهرة طبيعية في كل الحركات والأحزاب الشيوعية في البلدان المتخلفة والمستعمرة) فإن المشكلة لم تكن في عددهم أو نسبتهم بل في الدور الذي يلعبونه داخل التنظيم. وقد أكد لينين (أن الحزب الشيوعي هو نتاج التحام بين حركة المثقفين الماركسيين "وهم أساسا من أصول برجوازية" مع الحركة العمالية)، ان هذا الالتحام كان يجب أن يكون المهمة الأساسية لنشاط "حدتو" كمنظمة شيوعية. أما النشاط الوطني الديموقراطي على نطاق واسع، يجمع بين الطبقة العاملة والطبقات المتحالفة معها. فكان يجب أن يكون مهمة (جبهة وطنية ديموقراطية).

ـ أما ما جاء في تقرير "يونس": "إن ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية قد خلقت واقعاً جديداً جذب إلى العمل الثوري في مصر قوى طبقية غير عمالية .. بمعنى أن الطبقة العاملة ليست هي الطبقة الوحيدة الثورية في مصر إنما هناك قوات ثورية أخرى .. ".

وهنا مغالطة أساسية،

ـ فالبرجوازية الصغيرة لم تصبح طبقة ثورية بعد الحرب العالمية الثانية، بل هي بطبيعتها في البلدان المستعمرة والمتخلفة ثورية. وهذا

الحالي ــ أخذت اجتمع لعدة مرات مع شاوي وآخرين من الرفاق بمنزل أحد الرفاق الفرنسيين، وقد قدمني نيقولا شاوي إلى خالد بكداش ولرفيق أرمني أسمه ميدويان، وقد قام نيقولا شاوي باقناعي بأن واجب كل شيوعي يعيش في مصر هو الاتصال بالعمال والمثقفين المصريين واقناعهم بالنظرية الماركسية، وقد طلب مني قبل رجوعي إلى مصر بأن أرسل إلى جريدة (صوت الشعب) مقالات عن الواقع المصري، وقد واظبت لمدة سنتين على كتابة مقالات للجريدة عن الأحداث العمالية والوطنية في مصر، وفي نفس الوقت كنت أقوم بالكتابة لجرائد فرنسية تنشر في مصر مقالات ضد الفاشية والنازية، ومقالات تأييد لقضية الجمهوريين في أسبانيا ضد فرانكو وأيضا مقالات لتأييد الاتحاد السوفييتي.

اتصل بي في ذلك الوقت عضو من (جمعية السلام) ودعاني للانضمام إليها، وبعد مرور فترة قصيرة أصبحت ضمن قيادة الجمعية، التي كانت تقوم بنشاط ديموقراطي ولم تكن جمعية شيوعية وقد قمت في نفس الوقت بتجنيد عدد من الشبان الأجانب وبنشاط محدود في الحركة الإيطالية المعادية للفاشية.

وفي صيف عام ١٩٣٧ عدت إلى لبنان لمعالجة المرض الذي كان يهاجمني من آن لآخر نظرا للمجهود الشديد والنشاط الذي كنت أبذله، وتناقشت في تلك الفترة مع الرفاق اللبنانيين في موضوع نشاطات لجنة السلام، وقد انتقد الرفاق نشاط اللجنة نظرا لصبغته الأجنبية وعدم تكيفه بما يدور في الواقع المصري بخصوصيته، وقال الرفاق ان الواجب الأساسي للماركسيين الأجانب في مصر هو العمل على تكوين ماركسيين من بين العمال والمثقفين المصريين.

وعند رجوعي إلى مصر طلبت من سكرتير لجنة السلام، وكنت متأكدا من أنه شيوعي مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين، ولكنه أجاب

حتى قبل الحرب العالمية الأولى. إذن لم يحدث تغير جوهري كما يذكر كورييل بعد الحرب العالمية الثانية يبرر الخط الذي اتبعه.

ــ وإذا كانت بعض الكوادر القيادية المصرية قد ثارت على هــذا الخط دون أن تقرأ التقرير " كما اتهمهم البعض" ومن بينهم (شــهدي). فإن هذا لا يغير من الأمر كثيراً. لان " حدتو " وهي خاضعــة بشــكل مطلق لقيادة يونس كانت تتبع عمليا وتلقائيا وفي كل نشاطها اليومي هذا الخط. (إن هذا لا يعني إعفاء الكوادر المصرية القيادية المشتركة مــع كورييل في ل. م من مسئولية تطبيق هذا الخط).

ــ وقد نتج عن تطبيق هذا الخط الخاطئ (خط جبهة ظــهور ردود أفعال خاطئة ومتطرفة داخل التكتلات المختلفة والتي تبلــورت حــول شعار متطرف وطفولي (العمل ١٠٠% وسط العمال، والذي كان يعنــي عند تطبيقه عزل الطبقة العاملة عن حلفائها. ونفي دورها القيادي لكافــة القوى الثورية.

**ثالثا:** كان السبب الثالث لأزمة " حدتو " هو هيكلها التنظيمي الــذي كان يوزع الأعضاء في أقسام فئوية بشكل فيدرالي وكان هذا الـــهيكل التنظيمي يعكس الخلط بين خط تكوين الحزب وخط تأســيس الجبهــة وكان هذا الشكل التنظيمي موروثا من المنظمتين " ح. م " و" شــرارة " فقد تم تقسيم المنظمة إلى قسمين إثناء عملية التمصير قسم للمصرييــن وقسم للأجانب. وبدأت الأقسام تظهر واحد بعــد الآخــر (مثقفــون .. طلبة.. نساء .. عمال .. النوبة .. الجيش .. الخ).

* وقد أنتقد فوزي جرجس بشدة ١٩٤٦ هذا الشكل التنظيمي فــي "ح.م" واعتبره كارة لأنه كان يعزل المثقفين والطلبة عن العمال. وقــد استمر هذا الشكل في " حدتو ".

ـ إن هذا التقسيم كان يعوق التحام المثقفين الماركسيين بالعمال. بينما كان يجب تنظيم العمال والطلبة والمثقفين معاً في خلايا حزبية أما العمل الجماهيري كان سيجرى من خلال النقابات ولجان المصانع للعمال، ومن خلال الاتحادات في مجال الطلاب والجمعيات والنوادي للمثقفين. والنقابات المختلفة (للمحامين .. صحفيين .. الخ). انني اكرر أن هذا الشكل التنظيمي كان يعبر عن الخلط بين الحزب والجبهة وكان يقوم في الواقع بإذابة الحزب في الجبهة.

ـ لم تكن " حدتو " تملك لا برنامج ولا لائحة، وكانت إدارتها قائمة على المركزية المطلقة. وقد كان هذا شديد الضرر بالمنظمة لا سيما أنها كانت تضم كوادر وأعضاء ينتمون أصلاً لمنظمات مختلفة ذات تكوين وتقاليد مختلفة.

ـ كانت اللجنة المركزية في تعديل مستمر. في شكلها وعددها ومسئولية أعضائها. وكانت تعين أعضاء جدد في داخلها وتعزل آخرين بدون مبررات مبدئية. وكانت الكوادر وكان الأعضاء يجهلون تماما هذه التغييرات إلا أن بعض الأخبار مما كان يحدث في القيادة كانت تصل إلى القاعدة محملة بالعديد من التشويهات والاضافات.

كانت القيادة منعزلة عن التنظيم (وكانت " حدتو " تموج بالغضب والحيرة والعجز)، لم يكن للأعضاء أية وسيلة للتأثير على القيادة، ولم تكن هناك جريدة مركزية داخلية للتعبير عن الآراء المختلفة (الصراع الفكري) ولتزويد الأعضاء بالمعلومات.

كان كل قسم (ليس على سبيل الحصر) يعمل بطريقة تلقائية بلا خط واضح وبدون توجيهات من القيادة. وعلى سبيل المثال. كنت أنا لبضعة شهور مسئولا عن قسم الأجانب ولم يتصل بي حتى مرة واحدة لا المسئول السياسي ولا المسئول التنظيمي ولم يصلني أي توجيه أو تحديد مهمة معينة،

كما كنت لا أعرف ماذا يدور في القيادة (إن هذا لا يعني أنني كنت أريد أن أطلع على أسماء أو معلومات عن أعضاء اللجنة المركزية).

وفي هذا الوقت قمت بتأسيس اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية وقد أحدثت صدى ليس فقط داخل مصر بل وأيضا خارجها. ولكن القيادة لم تقم بالتحرك أو بعمل أي إتصال معي. وكتبت تقريراً عن تكوين الجاليات الأجنبية في مصر ودورها وعن مهمات الشيوعيين بصددهم (تحويل الأجانب الموجودين بمصر من حلفاء للاستعمار إلى حلفاء للشعب المصري) وقد رفعته إلى القيادة ولكنني لم أتلقى أي رد أو تقييم لهذا التقرير.

ـ والأخطر من ذلك، أنه عندما أصبحت المسئول الفعلي لمكتب الدعاية المركزي (بعد انسحاب شهدي) طبقاً لقرار السكرتارية الذي نقله إلى (عادل). لم يتصل بي ولو مرة واحدة السكرتير السياسي والذي كان يجب أن يقدم إلى التوجيهات وأن يتابع نشاط المكتب. فقد كان هذا المكتب في الواقع قسم مستقل داخل حدتو والاتصال الوحيد بينه وبين القيادة كان عن طريق مسئول المكتب في القيادة وهو عادل الذي كنا نلتقي به لدقائق بسيطة من آن إلى آخر. وهنا أبرز أننا في هذا المكتب (أنا والرفاق المشتركين معي) قد نظمنا هذا المكتب في الأساس بوصفه مكتب دعاية لنواة حزب شيوعي وليس بوصفه مكتب لجبهة وطنية ديموقراطية إذ أن مهمام المكتب كانت كما يلي:

ـ مدرسة ماركسية للعمال

ـ مجلة نظرية (الوعي ) "والغريب أنها لم تكن توزع بشكل كافي في داخل التنظيم ".

ـ تلخيص لجريدة " الكومنفورم " باللغة العربية.

ـ إعداد " كورس" مبسط للماركسية

ـ عمل تحليلات للواقع المصري من زوايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة.

ــ دراسة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية منذ بدايتها (١٩٢٠)

ــ ترجمة عدة كتب للمنظرين الماركسين بما فيهم " ماو "

ــ ترجمة كاملة لتقرير ــ زدانوف ــ في أول اجتماع للكومنفورم يربط بين وضع مصر والتقرير.

ــ إعداد نشرة بالانجليزية والفرنسية أسمها " أخبار مصر" ترسل لكافة الأحزاب الشيوعية الكبرى في العالم.

ــ لم تكن قيادة "حدتو" وعلى رأسها "يونس" قادرة على إدارة منظمة بهذا الحجم. وأنني أتفق على ما قاله (أربيه) بان " القيادة ككل لم تكن لديها المقومات النظرية والثقافية والتنظيمية الكافية لضرورات المرحلة".

وكانت أغلبية الأعضاء تدرك أن التنظيم في طريقه إلى التفكك. ولكن لم تكن هناك أية وسائل تنظيمية يستطيع من خلالها الأعضاء التأثير على القيادة لمعالجة هذا الوضع المتدهور (لا مناقشة داخلية ــ بلا كونفرنس للكادرــ) وأخيرا رفض طلب الأعضاء بعقد مؤتمر كحل أخير لانقاذ "حدتو".

ــ وكما توقع الجميع انفجرت "حدتو" وظهرت التكتلات لأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية.

كان التكتل يعتبر نفسه جزءاً من "حدتو" ولكنه يرفض الاعتراف بسلطة اللجنة المركزية.

ولكي تفهم جذور هذه الظاهرة الجديدة على الواقع المصري (قبل هذا التاريخ حدثت انقسامات ولم تحدث تكتلات) يجب أن تأخذ في الاعتبار أنه منذ ١٩٤٦ كان التيار والنزع التوحيدي قد تعاظم بين صفوف الشيوعيين وخاصة بين الكادر المتوسط والأعضاء القاعديين (وهي المستويات التي كانت تعاني أكثر من غيرها من حالة انقسام الحركة والصراع بين المنظمات بينما كانوا في الواقع يوحدهم الكفاح اليومي).

وفي سنة ١٩٤٧ اتحدت معظم المنظمات وتأسست "حدتو" وعند انفجار أزمة " حدتو " في ١٩٤٨ اتخذت الانقسامية شكل " التكتلية ". إذ أن التكتل كان يقدم نفسه للأعضاء كمدافع عن وحدة التنظيم مع عدم اعترافه بسلطة اللجنة المركزية.

التكتلية هي إذن محصلة قوى التوحيد النامية من جانب وعلى الجانب الآخر قوى التقاليد الانقسامية داخل الحركة الشيوعية المصرية.

ـ وقد ساعد الهيكل التنظيمي " لحدتو " على ظهور التكتلات المختلفة.

وقد اعترض كافة أعضاء ل. م من عادلين ويونسيين على قيام هذه التكتلات.

ـ وليس من الصحيح أن العادليين قاموا بتكوين تكتلات ومستويات جانبية أو خلقوا تنظيمات موازية.

ـ استمر مكتب الدعاية في نشاطه. وقاوم الانجذاب إلى التكتلات بالرغم من كافة الدعوات التي وجهت إلى الكوادر العاملة بالمكتب. وظل متصلاً بمسئول المكتب في اللجنة المركزية (عادل) ولهذا أشيع أن أعضاء مكتب الدعاية عادليون.

ـ إن المسئول الرئيسي عن ظهور أول تكتل " التكتل الثوري" هو أنور عبد الملك وقد تمكن من إقناع شهدي أن يكون زعيما لهذا التكتل (وقد صرح لي شهدي بذلك) وهذا لما كان يتمتع به شهدي من تأثير ونفوذ.

ـ ولقد وجه اليونسيون إلى " حدتو " أكبر ضربة انقسامية عندما طردوا العادليين (بناء على توجيه يونس من المعتقل) من اللجنة المركزية. (كانوا ٥ يونسيين و ٤ عادليين ومن بينهم عاملين قياديين حميدو وعلام).

وقد استندوا إلى حجة أن الحزب يتقوى بتطهيره من الانتهازيين.

وهنا يجب أن نذكر أن الأغلبية الكبيرة من عمال "ح. م" قد انضموا إلى العادليين، ان هذا ينفي وجهة نظر اليونسيين حول تطهير " حدتو " من

الانتهازيين والبرجوازية الصغيرة. وقد أدى قرار الطرد إلى تقوية التيار التكتلي وتشتت الاعضاء وتسبب في زيادة رهيبة في تفكك التنظيم فقرر أعضاء ل. م المطرودون بعد المشاروة مع بعض كوادر التنظيم. الاستجابة إلى مطلب الكوادر الملح بعقد مؤتمر لمواجهة الأزمة وإعادة بناء التنظيم فوجهت دعوة إلى جميع الكوادر والأعضاء لانتخاب مندوبيين للمؤتمر.

إلا أن الدعوة كانت مشروطة بشرطين:

١ــ إدانة التكتلية

٢ــ إدانة اليونسية

وقد كان وضع شروط مسبقة للاشتراك في المؤتمر أمراً خاطئاً وانقسامياً (إذ أن أعضاء ل. م المطرودين كانوا على ثقة بان اليونسيين والتكتلات ستقاطع المؤتمر، ولكن هذا لا يبرر ذلك الخطأ).

وتم تصحيح هذا الخطأ أثناء المؤتمر عندما تقرر عقد لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب يدعى إليها ليس فقط كوادر وأعضاء " حدتو " بما فيهم اليونسيين ولكن أيضاً كافة أعضاء المنظمات الشيوعية الأخرى وبالفعل أشترك في اللجنة التحضيرية أعضاء من " حدتو " المعتبرين يونسيين مثل (فؤاد عبد الحليم، حتاته، حمدي عبد الجواد .. الخ).

## مؤتمر الــ ٣٣

## " حدتو العمالية الثورية "

إنني أعتقد أن الدكتور رفعت السعيد قد بنى آرائه على معلومات خاطئة فيما يختص بالمؤتمر وتأسيس " حدتو" العمالية الثورية. وأطمح في أن أساعده في إعادة بناء حقيقة ما حدث.

* لم يعقد المؤتمر فور طرد العادليين من ل. م وإنما بعد مرور عدة أسابيع.

• ونظراً لعدة أسباب:

ـ أقتصر المؤتمر على أعضاء حدتو فحسب.

ـ عدم كفاية فترة التحضير الأيديولوجي.

ـ عدم القدرة على دعوة كافة أعضاء حدتو على مستوى القطر.

ـ محدودية عدد الكادر المشترك (٣٣)

تم تسمية هذا اللقاء " كونفرنس " وذلك للتقليل من أهميته.

ـ كان المندوبون المشتركون في المؤتمر مصريين عدا مارسيل.

ـ جاء المندوبون إلى المؤتمر عن طريق الانتخاب من الأقسام باستثناء " انجي افلاطون" وقد دعاها عادل نظرا لدورها في الحركة. فرفض أغلب الأعضاء اشتراكها كمندوبة ثم تقرر بالأغلبية أن تشارك في المؤتمر بشكل استشاري بدون حق التصويت.

ـ تجاوز عدد المندوبين من العمال ١٠ (نظرا لتأثير القيادات العمالية التي انضمت إلى عادل مثل: حميدو ـ علام ، عابدين .. الخ)

ـ لم يكن المؤتمر يضم فقط العادليين إذ أشترك فيه مندوبون عن عدة اتجاهات أخرى. وأثناء المؤتمر حدثت صدامات حادة بين مجموعة على رأسها لطيفة الزيات من جهة مجموعة أخرى يقودها عادل.

أما أنا فلم أعتبر نفسي عادلياً. وكل ما في الأمر أن عادل كان هو مسئولي في اللجنة المركزية.

ـ لقد اثبت هذا المؤتمر أن ظروف الاضطهاد والقمع والحصار مهما كانت شدتها لا تمنع من تنظيم لقاء كبير مثل هذا لقد استمر انعقاد المؤتمر ٣ أيام، وطرحت خلاله مجموعة كبيرة من الآراء والمناقشات كانت تتم بحرية مطلقة. بل وظهرت أيضاً الصدامات. وكان عادل لعدة مرات يجد نفسه ضمن الأقلية.

(يجب ألا ننسى ان هذا حدث في يوليو ١٩٤٨ تحت الحكم الإرهابي لوزارة النقراشي).

ـ كانت كل القرارات تتخذ بموافقة الأغلبية وبعد مناقشة كافة الجوانب. ومن أهم هذه القرارات:

أن تتكون اللجنة المركزية من مصريين فحسب وبالفعل انتخبت لجنة مركزية من أعضاء مصريين بينما بقى مارسيل في القاعدة.

ـ وقد تم تقديم تقريرين إلى المؤتمر الأول من عادل مركز على فضح وسائل كوربيل في فرض سيطرته على ل. م وحدتو وتقرير مقدم من "مرسي" يحلل أزمة حدتو وينتقد خط القوات الوطنية الديموقراطية. كخط جبهة ولا يصلح لحزب ويقدم حلاً للخروج من أزمة الحركة الشيوعية المصرية وليس لأزمة " حدتو " فقط. ألا وهو اقتراح دعوة كافة المنظمات الشيوعية في مصر لارسال مندوبين للاشتراك في لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب تكون مهمتها التحضير الأيديولوجي بمناقشة مشروعات البرنامج واللائحة والخط الاستراتيجي والتكتيكي المقدمة من مختلف التنظيمات. وتقوم الجنة أيضاً أثناء مرحلة تحضير المؤتمر بالتنسيق بين نشاطات المنظمات المختلفة والميدان الجماهيري. على أن تشترك جميع المنظمات الشيوعية الموجودة في مصر بلا استثناء وعلى قدم المساواة. وقد وافق المؤتمر بالاجماع على هذا التقرير وعلى الاقتراح المقدم لحل الأزمة وتأسيس الحزب.

ـ أقر المؤتمر أن عملية توحيد الحركة الشيوعية المصري هي في الوقت ذاته عملية تأسيس الحزب.

ـ في المؤتمر ترسخت فكرة أن تأسيس الحزب هو في الواقع إعادة لتأسيس الحزب، وبهذا أعيد التواصل بين الحلقة الأولى لنضال الشيوعين ١٩٢٠ـ١٩٢٧ والحلقة الثانية. ولذلك أصبحت المهمة الأولى والعاجلة في

جدول أعمال الحركة الشيوعية هي إعادة تأسيس الحزب. (بواسطة اللجنة التحضيرية لمؤتمر التأسيس).

ــ ولتجنب شبهة الانقسام قرر المؤتمر الاحتفاظ باسم " حدتو " مع إضافة عمالية ثورية بين قوسين. وذلك لتأكيد أن هناك إتجاهاً جديداً.

ــ لم يقر المؤتمر خط (العمل ١٠٠% وسط العمال) بل أن الحزب الذي كنا نناضل لكي يتأسس هو في جوهره طليعة الطبقة العاملة وهو في الوقت ذاته قائد لجبهة وطنية ديموقراطية واسعة.

ــ انتخب المؤتمر لجنة مركزية تتكون من ٢ عمال (حميدو ــ علام) وعادل وشكري ولطيفة الزيات. (٥ أعضاء).

ــ إن رفع شعار " المؤتمر المنتخب من القاعدة " وشعار " تركيز العمل وسط العمال " لم يكن محاولة لأرضاء نزعات البرجوازية الصغيرة وإنما كانت هي الحلول الضرورية لمواجهة الأزمة.

ــ انني أعتقد أن المناضل الشيوعي الحقيقي لا يتراجع أمام حملات الإرهاب الضارية وإنما يعمل على اكتشاف الأساليب التي تناسب كل فترة (وخاصة عندما تتعلق بمسائل أساسية كتركيز العمل وسط العمال ــ أو ضرورة عقد مؤتمر).

ولعل عقد مؤتمر الــ ٣٣ أثناء حكم النقراشي لفترة استمرت ٣ أيام دليل حي على إمكانية اكتشاف الوسائل الصحيحة رغم ظروف القهر.

ــ وصحيح أن الــ ٣٣ عضو الذين اشتركوا في المؤتمر كانوا يمثلون ٢٠٠ عضو فقط. إلا أن الدعوة للاشتراك كانت قد وجهت إلى كافة أقسام "حدتو"، كما أن معظم كوادر حدتو في ذلك الوقت كانت داخل المعتقلات.

ــ وليس صحيحا أن (حدتو ع. ث) قد انقسمت كلية في مهمة التوحيد (وهي مهمة في غاية الأهمية في هذه الفترة). كما أنها لم تترك للحظة واحدة

مهمام العمل الجماهيري والنضالي. إذ كانت لها طوال مدة وجودها (حوالي سنة) أنشط منظمة سواء في العمل وسط الطلبة أو العمال رغم الصعوبات الأمنية التي كانت تواجهها. فبجانب المجلة النظرية الداخلية " الكادر العمالي" وكانت تنشر وتوزع مرة أسبوعياً لمكافحة الانحرافات اليمينية واليسارية، أصدرت جريدة سياسية أسمها الخبز والحرية كانت توزع بشكل منتظم بين العمال والطلبة. وقد قامت المنظمة وحدها بتوزيع آلاف المنشورات بين العمال والطلاب وذلك عند بروز خطر هجوم ذري على الاتحاد السوفياتي. وكانت المنشورات (على غرار موقف الحزب الشيوعي الإيطالي " تولياتي". والحزب الشيوعي الفرنسي " توريز") توضح أن الشعب المصري لن ينجر أبداً إلى معاداة شعوب الاتحاد السوفياتي بل أنه سوف يحارب ضد الاستعمار.

ـ كان نشاط المنظمة وسط العمال وخاصة عمال (شبرا الخيمة) في نمو مستمر وقد لعب الرفيق " فكري الخولي " ورفاق عمال آخرون دوراً بطولياً في هذا المجال.

أما في الجامعة فقد ناضلت العناصر الطلابية المنتمية للمنظمة من أجل إعادة بناء اتحادات الطلاب.

ـ وفي نفس الوقت قامت مجموعة من كوادر "حدتو " بتأثير من العمالية الثورية بعملية (مراجعة شاملة للفكر والقواعد التنظيمية وحتى الاسم) وتكونت حدتو . ش وقد هاجمهم يونس من داخل المعتقل. ولقد سارعت هذه المنظمة باللقاء مع " ع. ث " وطلبت التنسيق والتعاون في العمل الجماهيري والنضال اليومي. وقد كنت على اتصال مستمر بفؤاد عبد الحليم وحمدي عبد الجواد. وقد تعرضت لخطر القبض عليّ في منزل شريف حتاتة حيث كنا قد رتبنا لعمل اجتماع مشترك بيني وبينهم. وقد حدث تعاون أيضاً بين ع. ث ون. ح. ش.

بالرفض وعدم الرغبة في مناقشة أي قضية عدا الدفاع عن السلام والكفاح من أجله.

وقد قمت بعد ذلك بتكوين تيار داخل لجنة السلام ينادي بتمصير نشاطها، وقد أدى ذلك إلى إبعادي عن لجنة السلام.

وفي نفس الوقت أخذ بعض أعضاء لجنة السلام يعتقدون بأنني تروتسكي، وأنا لم أكن ولو للحظة واحدة في حياتي تروتسكيا، وقد كان الدافع وراء ذلك الاعتقاد هو انني عبرت خلال الفترة ١٩٣٧/١٩٣٨ أكثر من مرة عن دهشتي وتشككي في صحة الاتهامات الموجهة ضد كافة أعضاء اللجنة المركزية البلشفية، ولكنني لم أبتعد قط عن مبادئ الدولية الثالثة وهذا موقف لازلت افتخر به للأن.

وفي سنة ١٩٣٧ قدمت طلبا إلى السفارة الإسبانية في مصر للانضمام إلى الفرقة الدولية التي كانت تحارب ضد فرانكو ولكن السفير الإسباني دعاني وأقنعني بالتعاون مع القوى الديموقراطية الإسبانية للدعاية في مصر ضد سياسة فرانكو وضد الفاشية عامة، وقد قمت بذلك بشكل دؤوب ومتواصل ـ وتعاونت في ذلك الوقت مع آخرين لنشر كتاب بالعربية والفرنسية عن إسبانيا الجمهورية ـ حتى سقوط الجمهورية في ١٩٣٩.

موجز القول فقد أصبحت شيوعيا:

ـ من داخل معايشتي للواقع المصري، لا باستيراد الشيوعية من الخارج.

ـ عن طريق حزب شيوعي عربي ورفاق عرب وهم الرفاق اللبنانيون، وليس بمساعدة حزب أو تنظيم أجنبي.

ـ وفي هذا الوقت أصبحت (ع. ث) مركزا لاستقطاب أفضل الكوادر التي كانت تكافح في ظروف العمل السري وعلى رأسهم شهدي عطية الشافعي الذي أنضم إلى ع. ث بعد إدانته للتكتلية في جريدة " الكادر العمالي" المنظمة. تحت عنوان زعيم التكتلية يدين التكتلية.

ومن هذه الكوادر نذكر:

شطا، علام، عابدين، فكري الخولي، مراد القليوبي وهم عمال ونقابيون. عادل، لطيفة الزيات، فؤاد حبشي، جمال غالي، فوزي حبش، بكر سيف النصر، أحمد رفاعي، فؤاد بلبع، بهجت، جمال غرسه، إبراهيم سعد الدين، عبد العظيم أنيس، ظريف عبد الله، أسعد حليم، أسما حليم، ملطي، آربيه، عنايات أدهم، عبد الرحمن الناصر.

ـ وقبل إلقاء القبض على قيادة (ع. ث)، تقدم عدد كبير من كوادر التكتلات المختلفة للانضمام للمنظمة.

ـ وبنمو المنظمة المستمر تقرر عقد مؤتمر منتخب من كافة الأعضاء. وقد تم عقد هذا المؤتمر واستمر لمدة يومنين وخلاله طرحت كافة المشاكل المتعلقة بنشاط اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب. وأيضا مشكلات الكفاح الجماهير وانتخبت لجنة مركزية جديدة ضمت مارسيل (مرسي) رغم اعتراضه، وذلك للأسباب التالية:

ـ أن عدداً كبيراً من الكوادر الهامة كانت قد أعتقلت (عادل، حميدو، عبد الرحمن الناصر، أسعد حليم، علام .. الخ).

ـ إن مرسي كان هو مندوب ع. ث في اللجنة التحضيرية وكان محركها الأساسي.

ـ وقد أعدت (ع. ث) تقريراً يدرس: مهمات الحركة الشيوعية المصرية أشترك في إعداده شهدي ومرسي ولطيفة الزيات وشكري سالم

وشلقاني. وقد جاء في الفجر الجديد أن هذه الدراسة تعتبر انتصاراً كبيراً للماركسية في مصر.

ـ إن تكوين اللجنة التحضيرية كان يعني القضاء على التيار الانقسامي المتواجد منذ ١٩٣٨ في الحركة الشيوعية المصرية والذي كان يرعى أن الحزب سوف يتأسس نتيجة للنمو الذاتي لمنظمة شيوعية والقضاء على كافة المنظمات الشيوعية الأخرى والتي تعتبر منظمات انتهازية. وقد كان هذا التيار الانقسامي موجودا بالفعل (يقل أو يشتد وجوده) داخل المنظمات الشيوعية الموجودة في مصر (ولا سيما داخل الفجر الجديد) وقد جمعت اللجنة التحضيرية ممثلين من كافة المنظمات الشيوعية باستثناء (م. ش. م).
وكانت المنظمات المشتركة وهي:
ـ حدتو ع. ث (وكانت كوادرها أكثر حماسا في العمل داخل اللجنة).
ـ حدتو. ش (وقد أيدت كوادرها اللجنة رغم هجوم يونس عليها من المعتقل).
ـ ن. ح. ش. (أيدت اللجنة. وطالبت بالوحدة مع ع. ث حتى قبل انتهاء مهمتها).
ـ العصبة الماركسية (كانت تؤيد بحماس اللجنة التحضيرية).
ـ تحرير الشعب (بقايا الكادر أيد الاشتراك في اللجنة باتحادهم العملي مع الفجر الجديد).
ـ الفجر الجديد (أيد جزء اللجنة وأرسل مندوباً أشترك في كل اجتماعاتها، واعترض جزء آخر مفضلاً التعاون مع الشباب الوفدي).

وعند القبض على قيادة ع. ث بالإسكندرية في ١٩٤٩/٤/٢ استولى البوليس على مشروع البرنامج ومشروع اللائحة والخط الاستراتيجي والتكتيكي. وقد كانت ع. ث مكلفة بتحضير هذه المشروعات لتقديمها إلى اللجنة التحضيرية حيث تأخذ كل المنظمات فرصتها في المناقشة والدراسة، وقبل ذلك بقليل كانت حدتو. ش. قد تعرضت لضربة بوليسة واعتقل معظم

الكادر القيادي لها. وهكذا استطاعت قوى الاستعمار والرجعية اجهاض الحركة في لحظة هامة وتاريخية من لحظات تطورها.

لم " تسر موجه هروب الكوادر من ع. ث إلى الخارج أو تخلت عن الكفاح (باستثناء عدد محدود جداً، وبنسبة تقل كثيراً عما حدث في المنظمات الأخرى) والحقيقة أن معظم أعضاء ع. ث واصلوا الكفاح من أجل الوحدة والنضال بين الجماهير في أصعب الظروف وبالرغم من الإرهاب ومطاردة البوليس. وقد استمر كفاح الكثيرين لنحو سنة قبل القبض على عدد كبير منهم. وقد تعرضوا لأقسى أشكال التعذيب بل وأيضاً للقتل (كشهدي ـ والذي من الغريب أنه لم يذكر ولو لمرة واحدة كعضو في ع. ث). بل وأكثر من ذلك أن بعض كوادر ع. ث قد هربوا من المعتقل (أسعد حليم، توفيق نسيم..) وكان الهدف من الهرب هو استئناف الكفاح.

وهنا أريد أن أتوقف أمام ما صرحت به زوجة كورييل "روزيت" إلى "جيل بيرو" (كتاب بيرو ص ٢٠٠) بخصوص القبض على كورييل.

" .. كنا نعبر ميدان الإسماعيلية (التحرير) وظهرت وراءنا سيارة بوليس، كان هنري متعبا، وكان كل أصدقائه قد اعتقلوا. فقال لي: لن أتحمل أن أكون مطارداً بعد، : سأسلم نفسي، وطلب مني أن أوقف السيارة .. فأوقفتها، وغادرني واتجه نحو سيارة البوليس التي سرعان ما تحركت بعد أن جلس فيها ".

ـ أما فيما يخصني. فقد كنت أتوقع كغالبية أعضاء "حدتو" إلقاء القبض علينا. فأختفيت لأواصل الكفاح سرياً لمدة تقرب من سنة. وقبض عليّ بعد ذلك. وأصدرت المحكمة العسكرية عليّ حكماً بالسجن ٥ سنوات.

وبعد انتهاء مدة السجن. صدر قرار بإبعادي نهائيا عن القطر المصري بصفتي إيطالي خطير على الأمن العام. وصاحبني البوليس إلى الباخرة ولم يتركني إلا بعد أن تحركت السفينة وغادرت المياه المصرية.

وهكذا انتهى كفاحي على الأرض التي ولدت فيها.

ملحوظة: إذا كنت ستلاحظ من خلال هذه الأوراق أن هناك دفاع عن "حدتو ع. ث" وعن اللجنة التحضيرية. فإن هذا ليس دفاعا عن نشاطي فحسب. بل هو دفاع عن كفاح الرفاق الذين اشتركوا معي خلال هذه المرحلة ومن بينهم الشهيد شهدي عطية، وأملي أن تساعدك هذه المعلومات الموجزة على إعادة النظر عند دراسة هذه المرحلة.

**مرسي (مارسيل شيريزي)**

١٩٨٤/٥/١٨

## الصهيونية وليدة ..
## أم والدة !؟

يدعي الصهيونيون أن الصهيونية هي وليدة معادة السامية.

ولا أظن أن معاداة السامية استمرت عقيمة لأكثر من ١٨٠٠ سنة منذ هدم الهيكل في أورشليم عام ٧٠ بعد الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر وهو تاريخ نشأة الصهيونية بظهور كتيب ليف بنسكر وعنوانه " التحرر الذاتي" وبالأخص كتاب تيودور هرتزل وعنوانه " دولة اليهود " عام ١٩٨٥.

طوال هذه القرون، كان اليهود عندما يضطهدون في أحد البلدان يتجهون إلى بلد آخر، فعندما طردوا من إسبانيا عام ١٩٤٢، توجهوا إلى عدة بلدان وبالأخص إلى المغرب وتوسكانيا واليونان وتركيا دون أن يخطر على بال أحدهم أن يتوجه إلى فلسطين، أو أن ينشئ " دولة يهودية ".

وليس من قبيل المصادفة أن تظهر الصهيونية في مرحلة توسع الإمبريالية الغربية نحو الشرق الأوسط الذي كان يقع تحت سيطرة الدولة العثمانية المتفسخة وحيث بدأت تظهر أولى اكتشافات الثروات البترولية المخبوءة هناك.

ويضاف إلى ذلك الدور الكبير ماليا وسياسيا الذي لعبته البورجوازية اليهودية الكبيرة، وعلى رأسها عائلة روتشيلد، في التخلص من فيض فقراء اليهود الهاربين من الاضطهاد في أوربا الشرقية، وتوجيههم بعيداً عن أوربا الغربية إلى فلسطين.

وفي يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين وإنشاء دولتين دولة يهودية والأخرى عربية مع بقاء القدس موحدة تحت الإشراف الدولي.

فمنذ منتصف ليل ١٤ مايو ١٩٤٨ قامت دولة إسرائيل في حين عمل جميع قادة هذه الدولة الذين تحركهم الصهيونية التي تجمع أسوأ الأساطير اليهودية عبر القرون " أرض الميعاد وشعب الله المختار "!! وأبشع أساليب الاضطهاد الاستعماري الحديث، على منع ظهور دولة فلسطينية مستقلة.

وينسى هؤلاء القادة أنه على الرغم من تملكهم لجيش قوي ومدعم من الحليف الأمريكي فإن إسرائيل ليست سوى جزيرة في وسط بحر عربي ومحيط إسلامي، وبالتالي فإنهم يعرضون سياستهم الاستبدادية، نفس كيان إسرائيل للخطر.

إما ما يرتكبه هؤلاء الحكام من جرائم نحو الشعب الفلسطيني هو السبب وراء تعاظم روح معادة السامية التي أخذت اليوم في الانتشار.

والنتيجة أن الصهيونية هي والدة معاداة السامية الحديثة وليست وليدتها.

**مارسيل شيريزي**

**(إيطالي من مواليد القاهرة عام ١٩١٣)**

**(الأهالي ١٣/مارس ٢٠٠٢)**

من ورشة العمل التي عقدت بدعوة من لجنة توثيق الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥ والتي صدرت في كتاب بعنوان:

# " الأجانب في الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥ "

**في الجلسة الأولى التي عقدت بتاريخ ٩٩/٣/١٤ وشارك فيها :**

*أ. جانيت تشيريزي ـ أ. حلمي شعراوي ـ أ. رمسيس لبيب ـ أ.سعاد زهير ـ م. سعد الطويل ـ د. شريف حتاتة ـ م. فوزي حبشي ـ أ. مارسيل تشيريزي ـ أ. محمد الجندي ـ أ. مصطفى مجدي الجمال.*

**أ. مارسيل تشيريزي* :**

في البداية أريد أن أقول إنني غادرت مصر ـ رغماً عن إرادتي ـ منذ ست وأربعين سنة وأن عمري الآن ستة وثمانون عاما لذلك سوف أخطئ من آن لآخر في اللغة العربية.

وأريد أن أبدأ بشيء أعتبره هاماً .. في الحديث الذي نشرته لجنة التوثيق نقلاً عني، أنا تكلمت عن هنري كورييل وقلت إنه نصف صهيوني. أنا فكرت في هذه النقطة. لماذا قلت إنه نصف صهيوني؟ لعدة أسباب وسوف أقدم نقداً ذاتياً فيما بعد، والأسباب هي:

عندما كوننا سنة ١٩٤٧ (اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية) اتخذ هو موقفاً معادياً لهذه اللجنة .. على أساس أن تكوينها استفزاز للجماهير اليهودية في مصر.

---

* إيطالي من أصل مصري شهرته مارسيل إسرائيل، أسس أول منظمة شيوعية في مصر هي " منظمة تحرير الشعب" عام ١٩٣٩، وطرد من مصر عام ١٩٥٣ ـ أنظر شهادته في كتاب " شهادات ورؤى" ج١.

الشيء الثاني، هو مر عليّ في ميلانو، ولم أكن رأيته من قبلها بعشرين سنة، فمر عليّ في مكتبي ـ كان لدي مكتب ترجمة في ميلانو ـ وكان في روما مؤتمر منعقد للحزب الشيوعي، حضره مندوبون فذهب هو لروما ليقابل ميكونيس الذي كان عضواً في الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وطرد من الحزب الشيوعي وأسس حزباً شيوعياً آخر، ثم أصبح هذا الحزب فيما بعد صهيونياً فأنا استنتجت من هذا وقلت إنه نصف صهيوني.

اليوم أنا فكرت في الموضوع، وأعتبر أن كلمة صهيوني خاطئة، وأنا أعددت توضيحاً لهذا، وبدأت أوزعه، وسوف أسلمه لكم. وهذا التوضيح كما يلي:

" بالإشارة إلى تعليقى عن هنري كورييل باعتباره نصف صهيوني، أريد هنا أن أوضح ـ وهذا رأيي ـ أنه لم يكن له ـ حسب تقديري ـ ميول أو اتجاهات صهيونية، إلا أن رغبته في الزعامة، والتي صبغت كل نشاطه السياسي سواء في مصر أو في الخارج أدت موضوعيا إلى خلق حالة بلبلة.. في فترة كان فيها الصهيونيون منعزلون تماما عن كافة الأوساط العربية، فكان يسعى من خلال علاقاته ببعض الفلسطينيين وببعض الإسرائيليين للقيام بينهما بدور الوسيط التاريخي لا لخدمة الصهيونية على حساب العرب، وإنما حسب نظرته لخدمة السلام، وقد رأيت أن هذا التوضيح واجباً نحو شخص انتقدت العديد من مواقفه السياسية وضروري من أجل الحقيقة التاريخية ".

فأنا الآن لا أعتبره نصف صهيوني، لكن كل الأشياء التي فعلها كانت نتيجة رغبته في الزعامة التي كانت باستمرار موجودة في كل نشاطه.

والآن أريد أن أتكلم عن حركة الأجانب.

في سنة ١٩٣٧. جانيت كانت في حلقة، ربما تتكلم هـــي بعض الشيء عن هذه الحلقة لأنني عندما عرفت جانيت كانت ماركسـية ــ لا يمكن أن أقول أنا الذي جذبتها للماركسية ــ كل واحد كان من طريـــق واجتمعنا.

أنا تكلمت وقلت فيما نشرته لجنة التوثيق كيف أصبحت شيوعياً في لبنان عن طريق نيقولا شاوي وفؤاد خازن وخالد بكداش ــ إلى آخره.

في سنة ١٩٤٧. تكونت حدتو " الحركـــة الديمقراطيـــة للتحـــرر الوطني" نتيجة إندماج بين الحركة المصرية للتحرر الوطني وإيســـكر ومنظمة القلعة ومنظمة في الإسكندرية. والوحدة تمت على مرحلتيـــن فتكونت أولا منظمة الطليعة المتحدة، من وحـــدة تمـــت بيـــن إيسكرا ومنظمة تحرير الشعب وهذه المنظمة التي تكونت أخذت أسماء، رغم أنه لم يكن هناك داع لاسم.

وقتها سنة ١٩٤٧/٤٦ حدث ضغط كبير من الحـــزب الشـيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الإنجليزي من أجل الوحدة. أنا كنت وقتـــها في قاعدة منظمة تحرير الشعب. أسعد حليم كان مسئولي. هو كان فـــي قيادة تحرير الشعب وأنا كنت في القاعدة. ومـــهمتي كـــانت تدريـــس الماركسية، وكان يطلبني أحياناً لأكتب تقارير.

كنت في القاعدة. لكن كنت أتصل بكثيرين مثـــل عبـــد الرحمـــن الشرقاوي، وراؤول مكاريوس، ومصطفى كامل منيب، مرة جلست مـــع مصطفى كامل منيب في منزل جدته بالسكاكيني من الساعة السادســـة مساء حتى الساعة السابعة صباحاً.

عندما كان يأتي رفاق من الخارج، من فرنسا أو إنجلـــترا. كـــان هؤلاء الرفاق الأجانب يتصلون بي باستمرار، لأنني كنت وقتها معروفاً كأحد الرفاق القدماء.

حضر زميل من فرنسا ـ عضو اللجنة المركزية ـ اسمه مارشيه وطلب مقابلتي، وقابلته مع شهدي عطية في (الكافيه شوب) وشهدي كان في إيسكرا، بعد ذلك جاء زميلان من إنجلترا، وأيضاً ذهبت مع شهدي لمقابلتهما، وحدث ضغط كبير. إيسكرا كانت موافقة على الوحدة بسرعة وكذلك منظمة القلعة، وتحرير الشعب كانت موافقة بدرجة متوسطة.

هنري كورييل اقتنع بضرورة الوحدة .. لأنه كان يعطي أهمية كبيرة للحركة الشيوعية العالمية. إلا أنه في اللجنة المركزية للحركة المصرية كان هناك اعتراض كبير ضد الوحدة. وهذا الكلام قاله لي هنري كورييل نفسه، وقال إنهم يقولون له إن إيسكرا هذه عبارة عن بعض الأجانب يذهبون إلى بارتي وفسح، وهو نفسه قال لي: أنتم ممكن تذهبون تتحدون كخطوة أولى. وهذه ستساعدني في أن أقنع باقي اللجنة المركزية لنتحد. وقد حدث هذا.

كوننا الطليعة المتحدة كخطوة أولى كضغط ـ ليس على كورييل لأنه كان موافقا ـ وإنما على الأعضاء الذين في اللجنة المركزية لـ(ح.م) الذين كانوا معترضين ولا يريدون الوحدة، وتكونت (حدتو).

عندما تكونت حدتو انتخبوني في اللجنة المركزية، فرفضت لأنني أجنبي، درسوا أين نضع مارسيل؟ فقالوا .. نضعه مع الأجانب. كل الأجانب من إيسكرا ونجمعهم في قسم الأجانب، كان قسماً واسعاً جداً، مئات ومئات.

وليس كما تتصوروا أن الأجانب كانوا فقط من اليهود. كان هناك يونانيون، وإنجليز، كان منهم مسئول الإذاعة الإنجليزية (B..B.C) وكان في حدتو في قسم الإنجليز، وزوجته أيضاً إليزابيث. التي أصبحت بعد ذلك عضوة في اللجنة المركزية في الحزب الشيوعي الإنجليزي. كان هناك أيضاً بلغار. أحدهم أصبح في اللجنة المركزية المركزية للحزب الإسرائيلي.

وقد أشرت إلى هاتين النقطتين تفسيرا للاتجاه الذي دافعت عنه باستمرار والذي كان دائما هو الأساس لنشاطي العملي كشيوعي، ألا وهو محاولة الربط بين النظرية الماركسية والواقع المصري الملموس.

## عن دوري في الحركة الوطنية المصرية:

لم يكن دوري في الحركة إلا نتيجة لاقتناعي بالخط الذي يجب أن أبذل فيه كل جهودي ألا وهو تكوين الكادر الماركسي المصري القادر على تنظيم وقيادة العمال والفلاحين وكافة الكادحين للانتصار في معركة التحرر الوطني والاجتماعي.

وكان الدور الذي أقوم به للتعاون من أجل تحقيق ذلك الهدف منصبا على الدعاية وعلى التدريس النظري للماركسية، وبالرغم من الرأي المنتشر فأنا لم ألعب دورا قياديا في المنظمات المختلفة التي كافحت فيها طوال عشرين سنة باستثناء فترات قصيرة.

وأول نشاط لي في وسط المصريين كان عندما دخلت في نواة جماعة الفن والحرية، وجمعية الشبان المسيحيين (Y.M.c) وكان سلامة موسى هو الذي يقودها، وكان الغرض من دخولي هو جذب وتجنيد أوعى العناصر المصرية المشتركة في هاتين الجمعيتين.

وقد تمكنت سنة ١٩٤٠ بمعاونة الرفاق المصريين من تكوين أول منظمة كفاحية سرية تضم الرفاق المصريين والنوبيين الذين تمكنت من تجنيدهم وقد انتخبت في قيادتها مع ثلاثة رفاق مصريين، وقد أسست هذه المنظمة جمعية (الخبز والحرية) للنشاط العلني وسط العمال والمثقفين، وجمعية (الثقافة والفراغ) للعمل بين الأجانب وإلى حد ما بين الطلبة المصريين، وكان الهدف الأساسي لمنظمة تحرير الشعوب هو تجنيد وتكوين الكادر الماركسي المتسلح بالنظرية وبتحليل ماركسي

وكان هناك يوغوسلاف. ومن تشيكوسلوفاكيا. أحدهم كان في الجزء الألماني من تشيكوسلوفاكيا، فطلبوا منه أن يعيش في ألمانيا الشرقية. وقد أصبح مسئول معهد جوته في برلين وله تمثال وبيته الذي كان يعيش فيه صار متحفاً. اسمه لويس فورينبت.

طبعاً الجزء الأكبر من القسم الأجنبي كان يهوداً، وكان هناك إيطاليون وفرنسيون كانوا مدرسين في الليسيه مثل جرانييه و..

ظللت شهرين أو ثلاثة لا أكثر مسئولا عن الأجانب.

أول شيء قمت به كمسئول عن قسم الأجانب ـ مثل أي ماركسي لابد أن يفعل ذلك ـ هو دراسة وضع الأجانب في مصر. كان هناك استعمار. لكن مصر كانت تتميز بوضع خاص في إطار الاستعمار. كانت هناك الجاليات الأجنبية الموجودة. وكانت مسيطرة على جزء كبير من الاقتصاد المصري فمثلا بورصة الأوراق المالية كانت كلها من الأجانب. لكن لم يكن هناك إنجليزي في البورصة المالية، أنا عملت في البورصة المالية. كان فيها مصري واحد. كان مستخدماً عند سمسار. وكان لا يلعب أي دور في البورصة.

من هؤلاء الأجانب خرج الشباب الذين أصبحوا شيوعيين، ويقال إن من كانوا يسيطرون على المنظمات كانوا بورجوازية صغيرة. لكن لا يمكن اعتبار هنري كورييل بورجوازية صغيرة، ووالد شفارتز كان طبيب الملكة نازلي.

وأنا أتيت بتصريح لهنري كورييل. نشره عندما أصدر رفعت السعيد كتاب تاريخ الحركة الشيوعية في جزأين. هنري كورييل قال حرفياً في صفحة (٧٣) من تاريخ الحركة لرفعت: " أتصل بي مارسيل كانت معه مجموعة من عشرة أشخاص، كانوا مجرد بورجوازيين صغار، وكنت أنا بورجوازيا .. والبورجوازية لها عيوب كثيرة، لكن

لها ميزة هامة، اتساع الأفق، وشعرت أنهم مجموعة من ضيقي الأفق. مجرد موظفين صغار يعيشون على هامش المجتمع ولا يشعرون بما يدور فيه " هذا كله كلام في منتهى الغرابة ". أي في نظر كورييل البورجوازية الكبيرة، هي القادرة على القيادة، هذا شيء غريب قاله كورييل.

في هذه الأثناء درست وضع الأجانب. كيف هذه المجموعة التي كان عددهم تقريباً خمسمائة إلى ألف شخص. وكان هناك يونانيون في قسم الأجانب ثم الإيطاليون، ثم الفرنسيون، ثم الألمان، ثم كان هناك عدد كبير من اليهود بدون جنسية كانوا يسمونهم رعية ـ تحت رعاية الدولة العثمانية ـ كانوا في القاهرة وشكلوا مدينة في داخل المدينة. كنت لا تجد في المنطقة من شارع فؤاد ـ ٢٦ يوليو ـ حتى ميدان الإسماعيلية ـ التحرير ـ حاليا مصريين تقريبا. مرة قابلت في الخارج شخصا من الأجانب. وسألته كيف الحال في مصر فقال لي: الحالة زفت. قلت له: لماذا؟ قال لي: تصور.. تسير في شوارع القاهرة لا تجد غير مصريين.

سوف أضرب لكم مثلاً، معذرة، جانيت لم تكن تعرف الفول أو القلقاس. ولم تكن تعرف السيدة زينب.

فأنا درست حالة هؤلاء الأجانب ـ خمسمائة إلى ألف لست متأكداً بالضبط من العدد كيف تكونت هذه الجاليات الأجنبية؟ اليونانيون كانوا في الأرياف أيضاً لم تكن هناك قرية في الأرياف ليس فيها بقال يوناني وكانوا يعملون في المصانع كمراقبين. هم كانوا الأقرب للمصريين، وكذلك الأرمن عملوا في الأحذية و.. هذه الجاليات الأجنبية كلها تكونت مع الاستعمار البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

لكن بصفة عامة يمكن القول بأن الجاليات الأجنبية تكونت كحلفاء للاستعمار البريطاني. وفي تقرير قدمته للجنة المركزية (لحدتو) قلت إن دور الشيوعيين الأجانب أن يحولوا الأجانب الموجودين في هذه الجاليات من حلفاء للاستعمار إلى حلفاء للشعب المصري.

جيل بيرو يقول في كتابه عن هنري كورييل عن هذه الظاهرة بأن عدداً كبيراً من أولاد البورجوازية الكبيرة والبورجوازية المتوسطة من الجاليات الأجنبية أصبح شيوعياً، أي تضامنت فعلا مع الشعب المصري. لا أحد ينكر هذا. ما أسباب ذلك؟

كانت الأسباب عديدة. كان لما حدث في فرنسا تأثير كبير، كان هناك الجبهة الشعبية، وجاء مدرسون كثيرون قادمون من فرنسا لليسيه فرنسيه مثل جرانييه وبارون وآخرين.. وقتها كنا نقرأ صحفا فرنسية. وكان هناك تقدم الاتحاد السوفييتي. شيئاً كبيراً جداً. هو بلد زراعي. ووضع خطة خمس سنوات وبدأ في الثانية، كان شيئاً هائلاً.

تكونت الجبهة الشعبية في فرنسا وفي إسبانيا، هذه الجبهة الشعبية كانت تغييرا كاملا لخط الكومنترن، قبل ذلك كانت سياسة الكومنترن تقول بأنه لا تعاون مع الاشتراكيين الديمقراطيين، كانوا يسمونهم اشتراكيين خونة.

في سنة ١٩٣٤ عندما تأسست الجبهة الشعبية، الكومنترن في المؤتمر السابع سنة ١٩٣٥، غير الخط وأصبح هناك خط الجبهة الشعبية.. أي التحالف مع الاشتراكيين الديموقراطيين. التحالف مع كل الديموقراطيين ضد الفاشية والنازية .. فهذا تأثير وجود النازية. فبدون شك وجود هتلر أدى إلى أن يتخذ عدد كبير من اليهود الموجودين في مصر موقفا ضد هتلر لسياسته المعادية للسامية، لسياسته المعادية لأية ديموقراطية. فهذا أثر أيضاً.

الشيء الذي أثر أيضاً. أن عدداً من أولاد البورجوازية تحت تأثير هذا الكلام، أصبحوا شيوعيين، وبما أنهم شيوعيون فقد أصبحوا حلفاء الشعب المصري بصفة عامة.

تكونت منظمة عصبة أنصار السلام التي كونها جاكو دي كومب، السويسري، وكان له أخطاؤه وخوفه. لأنه كان متأثراً تماماً بالذي حدث للحزب الشيوعي الذي تكسر سنة ١٩٢٤. لكن أثر عليه أكثر من هذا خيانة محمد محمود عبد العزيز .. كان سكرتيراً للحزب الشيوعي المصري، وأصبح مرشداً وطبعاً قضى على الحزب. وليس فقط البوليس من الخارج. هذا شيء خطير جداً. أن يصبح سكرتير الحزب الشيوعي بوليساً لدرجة أن الكومنترن اتخذ قراراً بوقف الحزب الشيوعي المصري فلا يكون عضواً في الكومنترن، لأن الكومنترن لا يمكن أن يبقى في عضويته حزب سكرتيره أصبح بوليساً ويسلم الناس، بل أكثر من هذا أنه لم يسلم المصريين فقط، بل سلم مندوبين من الكومنترن، وصلوا هنا وقبض عليهم.

جاكو دي كومب أعتبره أول أجنبي قام بتأسيس جمعية ديموقراطية معادية للفاشية من أجل السلام التي هي عصبة أنصار السلام. وهي أول مجموعة ضمت أجانب وذلك سنة ١٩٣٦/٣٥ وأهميتها في أنه كان هناك خطر حرب.

لماذا حركة السلام؟ لأنه كان قد تكون في باريس (الاتحاد العالمي للسلام)، المركز كان في باريس، وهذا المركز في باريس جمع شخصيات منها نهرو ومن الكتاب رومان رولان – إلى آخره.

أول مجموعة هي مجموعة جاكو دي كومب .. وكان أي شخص يقول ماركس والشيوعية، يقول: لا نحن هناك حركة للدفاع عن السلام فقط، كان يرفض شيئاً اسمه كلام عن ماركس، وقتها اتصلت " بريمون دويك " وهو في باريس الآن وصادق سعد عن طريق ريمون دويك وكان تقريباً أصبح ماركسيا، وكنت أجتمع معه، وأنا لدي خطاب جميل جداً أرسله لي صادق سعد قبل شهرين أو ثلاثة من وفاته. رغم انتقادي له كثيرا.

كانت هذه أول مجموعة تكونت من الأجانب. جاكو دي كومب. ويونانيين " بيريديتس خاصة "، شاعر وكان قبرصياً، إلا أن اليونانيين الذين

كانوا في حركة أنصار السلام كانوا يعتبرون أنفسهم قسماً للحزب الشيوعي اليوناني. لم يكونوا يعتبرون أنفسهم قسماً من الحركة الشيوعية المصري.

كذلك الإيطاليون ـ أنا كايطالي كنت متصلاً بهم ـ أيضاً كانوا يعتبرون أنفسهم قسماً من الحزب الشيوعي الإيطالي ـ والذي حدث أنه بمجرد أن انتهت الحرب معظم اليونانيين ذهبوا لليونان. والإيطاليون ذهبوا لإيطاليا.

كوريل عندما ذهب إلى الاتحاد السوفييتي استقبله إيطاليون معادون للفاشية من بينهم سيدة أصبحت من كبار الكتاب في إيطاليا (فاويستا فيرني شالنيت) لها بعض الكتب عن مصر لم يترجمها أحد. منها عدة كتابات عن الإسكندرية. عن الأوساط الأجنبية في الإسكندرية واتصالاتها مع المصريين. وهذه نقطة هامة.

وبما أنها كانت متصلة بحركة أنصار السلام، فقد كتبت عن أفراد من حركة السلام، لكن كتاباتها ليست سياسية، لكنها طبعا شيوعية، لذلك كتابتها جميلة جداً. أخذت أول جائزة في كتابة القصص وأول جائزة (بيانتو) في إيطاليا فهي ليست سيدة ثانوية.

أواخر الحرب سنة ١٩٤٤، ١٩٤٥، ١٩٤٦ أصدرت تلك السيدة صحيفة، أكبر صحيفة معادية للفاشية في الخارج اسمها (فرون دي يونيتو) وهذه كانت توزع بين كل الأسر الإيطالية التي كانت موجودة. ليس فقط هنا، بل في الهند أيضاً، هي كانت سكرتيرة الصحيفة، كانت تصدرها لاورادينى شانيت ومعها لورا ليفي التي تزوجت راؤول مكاريوس وفيها اثنان اسمهما جوبانتينو وليوبانتينو، أصبح جوبانتينو فيما بعد رئيس تحرير (البروجريه إجيبسيان). وأنا كنت أكتب فيها، والعام الماضي مر خمسون سنة على تأسيسها، وقالوا إن من بين كتابها، مارسيل الذي هو أنا لكن لم أكن أكتب أشياء سياسية، لكن أشياء عامة شعبية .. كتبت مقالة طويلة عن سطوح القاهرة، وحياة سطوح القاهرة، والغسالة .. وعن الحلاقين في الشوارع.

وهذه سببت لي أزمة حيث وقعت مرة مقالة من هذه المقالات في يد قنصل مصر في ميلانو سنة ١٩٥٦، فاستدعاني لأنني كنت متصلاً بالقنصلية المصرية عن طريق يوسف حلمي، كان هرب من فرنسا وعاش عندي ثلاثة شهور في ميلانو. فقال لي القنصل: يا مارسيل أنت رجل صديق لمصر، ما حكاية هذا الحلاق الذي يجلس في الأرض، ويحلق على الحصيرة، هذه إهانة لمصر؟

بالنسبة للوسط الأجنبي، كان هناك شيء جديد يحدث في العالم؛ نمو الاتحاد السوفييتي والفاشية وخطر الفاشية من ناحية أخرى، نحن نعرف أن الفاشية لم تكن خطراً في نظر الجميع ونعرف التيار الذي قال إن أعداء أعدائنا هم أصدقاؤنا. وهذا لم يكن صحيحا وقتها، لأنه حدث، خاصة من ناحية العمال عندما هاجمت إيطاليا الحبشة. عمال بور سعيد والسويس قاطعوا المراكب. وفي بيروت، مؤيدة للحبشة ضد الاستعمار الإيطالي، فهذا لعب دوراً في الأوساط المصرية نفسها وليس فقط في الأوساط الأجنبية.

هذا الجو هو الذي كان موجوداً، لكن لسوء الحظ حركة أنصار السلام كانت مغلقة جداً. كان هناك شخص يوناني اسمه (باناكاكيس). كان في شارع سليمان باشا يبيع إسفنجاً. والكومنترن اعتبروه مسئولاً عن الذي حدث في الحزب الشيوعي، لأنه هو الذي قدم عبد العزيز هذا كسكرتير للحزب الشيوعي. وأرسله لموسكو. عبد العزيز كان متخرجاً في موسكو، أرسله هناك. فعندما حدث ما حدث أتخذ الكومنترن موقفا بوقف الحزب الشيوعي المصري وطرد باناكاكيس من الكومنترن ولذلك كان هو يرفض أي اتصال مع التنظيمات التي تكونت بعد ذلك ولكن أولاده انضموا لحدتو.

هذا كان الواقع ــ كان هذا الرجل في الكومنترن، والكومنترن بالنسبة لنا كان شيئاً في السماء وليس على الأرض.

حركة أنصار السلام كانت مغلقة. فأنا تعرفت على بوانتيه، وهو مدرس سويسري كان عضواً في الحزب الشيوعي السويسري، كان ضابطاً في

الجيش السويسري وتم طرده من الجيش لأنهم عرفوا أنه شيوعي، فعمل هنا مدرساً، وهو الذي جند أحمد يونس ومحمد نصر وآخرين وقد اتصل بي وأنا اتصلت بجاكو دي كومب، لأنه سويسري مثله. جاكو دي كومب كان كل كلمة يقولها لابد أن يحسبها، بوانتيه كان متحمساً. جاكو دي كومب قال: أنا أشك فيه ورفض أن يكون عضواً في حركة أنصار السلام.

بعد ذك وصل من باريس راؤول كوربيل وريمون أجيون. وهذا شخص يقللون من أهمية دوره فعلاً. أجيون لعب دوراً، كان يدرس في فرنسا سنة ١٩٣٨ أو ١٩٣٩.

اتصلا بي. أنا كنت وقتها أتصل بالفن والحرية وسيدة إيطالية لم يسمع عنها أحد اسمها مارسيل فياتجيني. كانت إيطالية فوضوية كانت مع جورج حنين في الفن والحرية. عرفت عن طريقها راؤول كوربيل وريمون أجيون، وقتها قدمتهما لجاكو دي كومب لينضما لحركة أنصار السلام. إلا أنهما كانا ينتقدان ستالين. فجاكو دي كومب اعتبرهما تروتسكيين. ويومها الذي كان تروتسكيا لو كان معك سكينة تفتح بطنه بدون أي تردد. وأنا قدمت الإيطاليين المعادين للفاشية. كان رئيسهم ساندرو روكا لم يسمع عنه أحد. كان ممثلا في أكبر فرقة إيطالية موجودة في إيطاليا قبل الحرب العالمية الأولى. كان معادياً للفاشية وحارب في الحرب العالمية الأولى، كان ضابطاً، وأثناء الحرب اتخذ موقفاً، لأن هناك جزءاً كان ضد النمساويين فرفض إلى حد ما أن يحارب. في إيطاليا حدثت مذابح. كانوا يعدون لعشرة ثم يضربون بالنار. هو رفض، جاء هنا سنة ١٩١٩ بالفرقة التي كان يمثل فيها بعد أن ترك الجيش. وبما أنه كان يعتبر معادياً للفاشية. فلم يعد لإيطاليا، ظل هنا، كان شخصية هائلة.

كان شاعراً، يزورني أحياناً في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساء، كنا نسير في شوارع القاهرة. وكنا نستمتع بالمدينة. لا تجد سوى المدينة بدون السكان. ساندرو روكا كان ممثلاً وشخصية كبيرة. عندما قابل جاكو دي كومب قال عنه باستفزاز إنه تروتسكي.

الذي حدث. روكا كان رئيس الحركة المعادية للفاشية، ورفض جاكو دي كومب أن ينضم لحركة أنصار السلام لأنه في نظره استفزازي.

عندما كنت في لبنان وقابلت خالد بكداش، كنت مرتبطا جداً بنيقولا شاوي وقد أرسل رفعت السعيد بخطاب يسأل نيقولا شاوي وكان سكرتير الحزب الشيوعي اللبناني قائلاً: مارسيل يقول كنتما أصدقاء، فرد ـ الخطاب نشره د. رفعت السعيد في كتابه تاريخ الحركة الشيوعية ـ لقد كنا مرتبطين تماما.

هذان هما اللذان جنداني. كنت ماركسيا عندهم. أدرس الماركسية وأفسو العالم. والشيوعي شخص يحاول أن يغير العالم، وهذه النقطة التي كانوا يؤكدون عليها.

الأرمن في لبنان ليسوا مثل الأرمن في مصر. الأرمن في لبنان جزء من اللبنانيين، لديهم نواب في البرلمان بينما هنا كانوا أجانب، الأرمن في لبنان لم يكونوا أجانب. نيقولا شاوي أوصلني له. وكان يقول لي: أين المصريون؟ أنت تقول لي جاكو دي كومب و.. وأنت إيطالي ـ وقد رسخ هذا في ذهني بأن الأجنبي لا يصح أن يقود في مصر حركة شيوعية وأكثر من هذا لا يصح لليهودي ـ لأن هناك مشكلة فلسطين وإسرائيل والصهيونية ـ أن يقود منظمة شيوعية. هذا كان الخط الذي اتبعته.. طوال حياتي لآخر وقت حتى الآن.

مرة كنت أتناقش مع نيقولا شاوي وأنا موجود بلبنان، وقال لي: هناك كتاب صدر مهم جداً كتبه (بالم دات) ـ نصف إنجليزي ونصف هندي ـ اسم الكتاب (الفاشية أو الثورة) إذا لم تقم ثورة ستأتي الفاشية وفعلاً جاءت الفاشية في أوروبا كلها، فهذا الكتاب هام جداً، فعندما عدت، وأحضرت هذا الكتاب معي، وأطلعت جاكو دي كومب عليه أخذه واعتبره كتاباً هاماً، وكانت مكتبة (هاشيت) تبيع كل الكتب الماركسية منذ عام ١٩٣٤، لا أريد أن أقلل من دور مكتبة الميدان. لكن كل الكتب الماركسية باللغة الإنجليزية

والفرنسية والإيطالية كانت تباع في مكتبة هاشيت. كنت أقرأ بانتظام (الرسالة الدولية) مجلة الكومنترن. كانت تباع عند هاشيت.

عندما ناقشت مع جاكو دي كومب وضع المصريين، قال: نحن متصلون بهم. لكن كان اتصال حركة أنصار السلام مع المصريين اتصالاً فوقياً، لذلك، هم أخذوا الجناح اليساري في حزب الوفد. كنا نقول لابد من تأسيس حزب شيوعي مصري، كانوا يقولون لا، تكفي الطليعة الوفدية أو الجناح اليساري في حزب الوفد، وفعلا كان متصلاً بالوفد. جاكو دي كومب مثلا لعب دوراً بأن جعل نهرو يتصل بالنحاس. نهرو عندما مر على مصر، اتصل بالنحاس، وكان هناك اتصال وثيق مع هدى شعرواي ــ حركة النساء ــ ومع سيزا نبراوي ومع سيدة أخرى هي فاطمة نعمت راشد كنت أتناول الغذاء عندها. قال لي: لا .. نريد تكوين كادر ماركسي، قال إنني بدأت الاستفزاز، رأينا أنا وراؤول كورييل أنه لا فائدة من العمل داخل اتحاد السلام، وأن علينا أن ننتقل إلى المصريين. ووقتها كنت متصلاً بالفن والحرية، وقابلت أسعد حليم وفتحي الرملي وأنور كامل. وحتى أتصل بالمصريين ذهبت لأعمل مخزنجيا في سيجوارت. وكنا نحضر عمال شركة سيجوارت لاجتماعات الخبز والحرية.

كنت أتصل بهم وأقول لهم هناك نادي يدافع عن العمال في القاهرة (الخبز والحرية) كان معنا يونانيون وإيطاليون وشخص اسمه (بالتيا) كان عظيماً جداً. لأنه لعب دوراً. كان متزوجاً من مصرية وكان ماسونيا.

الاتحاد الديمقراطي تكون براؤول كورييل، هو الذي أنفق على الاتحاد الديموقراطي عقد هو الذي وقع عليه وكان ينفق على الاتحاد الديموقراطي حتى محمد سيد أحمد قال هنري كورييل والحقيقة إنه راؤول كورييل.

تأسس الاتحاد الديموقراطي. وجاء حفني ناصف افتتحه. كان هناك (٤٠٠) شخص. ورروكا خطب خطبة سياسية. القنصل الإيطالي منعه من

الكلام. واكتفى هو بقراءة أشعار كبار الشعراء الإيطاليين عن الحرية بصفة عامة. وتكلم بالإيطالي وقد كان كما سبق أن قلت ممثلا كبيراً وشخصية.

أنشأنا الاتحاد الديموقراطي: الإيطاليون وراؤول كورييل، ريمون اجيون، أحمد فؤاد الاهواني، ومحمد نصرو..

بعد ذلك حدث الاتصال بالفن والحرية، وعن طريقها تم الاتصال بسلامة موسى، وبجمعية خريجي الجامعة، والاتصال باستديو مصر – صلاح أبو سيف. والاتصال بمصر الفتاة بفتحي الرملي. وربما أعتبره أقرب شيوعي مصري من الشعبية.

نحن كنا نتكلم في التنظيم. وكنت أدرس لهم الماركسية، فتحي الرملي قال لا. حكاية الخلايا لا تعجبني. الحزب لابد أن يقوم على أساس القاعدة، وهي المقاهي الشعبية لأن الناس تجتمع في المقاهي الشعبية. فهذا يكون أساس الحزب. فقلت له وهل مقر اللجنة المركزية يكون جروبي أم ماذا؟

تكون الاتحاد الديموقراطي وحدثت اتصالات.

استوديو مصر كان به مجموعة صلاح أبو سيف، ووفيق أبو جبل، وحلمي حليم، وسعد نديم، وخورشيد. كانوا مهتمين بفن السينما والمونتاج. اتصلنا، بكل هؤلاء، وكذلك فوزي جرجس، وعملنا كلنا سوياً، لذلك أنا أعترض على القول بأن منظمة تحرير الشعب هي مارسيل. لا .. تحرير الشعب، هي أسعد حليم، صلاح أبو سيف، حسين كاظم، محمد خضر. كنا كثيرين، لماذا هي مارسيل إسرائيل بالذات؟ لأنه قرأ بعض الكتب الماركسية قبلهم؟ ليس مضبوطاً .. بدأ قبلهم في القراءة ممكن.

كنا نتكلم عن كيفية تكوين الطليعة المتحدة، كورييل أقنع اللجنة المركزية. وحدثت وحدة (حدتو).

حدتو أكبر منظمة شيوعية تأسست في تاريخ مصر. كانت منظمة تضم أغلبية الطلبة الشيوعيين والعمال من شبرا الخيمة والمحلة والمطبعة هنا. كان

**أوراق مناضل إيطالي**
**في مصر**

تأليف :

**مارسيل شيريزي**

الطبعة الأولى
٢٠٠٢

الناشر :

**دار العالم الثالث**

٣٢ صبري أبو علم/ باب اللوق،

القاهرة

ت وفاكس : ٣٩٢٢٨٨٠



رقم الإيداع: ٢٠٠٢/١١٨٤٥

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-5222-31-1

للوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في مصر، وكنت مسئولا عن مدرسة الكادر وتركزت جهودي في إلقاء المحاضرات والدروس، وقد قمت بكتابة دراسة من جزئين:

أولا: تفسير الواقع (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخي)

ثانيا: تغيير الواقع (المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية)

وقد كان الجزء الأول يتكون من ٣٠٠ صفحة وكنت قد كتبته باللغة الفرنسية ثم تعاونت في ترجمته مع رفيقين مصريين إلى اللغة العربية (وقد ساعدتني هذه العملية على تعميق معرفتي باللغة العربية).

أما الجزء الثاني فقد كتبته في المعتقل سنة ١٩٤١ باللغة العربية مباشرة وبالرغم من أن قيادة " تحرير الشعوب " كانت مسئولة عن نشاط جماعة الخبز والحرية فقد حرصت على ألا أظهر ولو لمرة واحدة بمقر الجمعية حرصا مني على مصريتها.

كما قمت أثناء تلك الفترة بعمل دراسة تشتمل على المناقشات التي كنت أقوم بها مع عمال شركة المواسير في المعصرة حيث كنت أعمل بها كمسئول عن المخازن، وقد تمكنا من تجنيد بعض العمال من هذه الشركة ومن شركة السكر بالحوامدية، ونجحنا في تنظيم إضراب بالمصنع، وللآن لا أزال أتذكر أحد العمال المصريين، وظلت صورته باقية في ذهني رمزا لجوانب البطولة في الجماهير العمالية، فقد هجم هذا العامل هو ورفاقه على بوابة المصنع قائلا " اللي عايز يربي عياله يبعد عني ".

أخذنا نجتمع في بيوت العمال في المعصرة وكنت أحضر هذه الاجتماعات فقط لتقديم الرفاق المصريين، وكانوا يقومون هم بإدارة الندوات والمناقشات، ثم كشفتني إدارة المصنع وفصلتني من العمل.

هناك عمل وسط العمال. كانت لطيفة الزيات في الجامعة تصعد فوق شجرة وتخطب، ويأتي شخص من الإخوان المسلمين يقول لها: القرآن يقول المرأة نصف الرجل تقول: أنا موافقة المرأة هي نصف المحتمع، هي كانت خطيبة من الدرجة الأولى ثم ٢١ فبراير يوم كان الشيوعيون لازالوا منقسمين وهم الذين قادوا الحركة الوطنية. الوفد كان منتحيا جانباً.

الشيء الجميل، سنة ١٩٤٦ كنت أعمل مستخدماً في بورصة الأوراق المالية. طبعاً كنت متصلاً بحسين كاظم الذي كان معنا منذ البداية. والذي كان في قيادة اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وهنري كورييل مرة انتقدني وقال مارسيل في كل مكان يذهب إليه يخلق تنظيماً، وهذا الكلام صحيح، في البورصة المالية أسست جمعية أسمها جمعية مستخدمي البورصة. جمعنا اشتراكات من السماسرة، ونظمنا في كانتين البورصة جمعية هائلة. كنت ألقي محاضرات. لكن ليس محاضرات عن الشيوعية. فيها شيوعية. والذي حدث أن حسين كاظم قال لي: لا نعرف أين نجتمع؟ قلت له: تعال سوف أعطيك مفتاح الجمعية. وحدثت عدة اجتماعات للجنة الطلبة والعمال داخل بورصة الأوراق المالية. أي فوق الرأسمالية الأجنبية العفنة؟!، ومن تحت لجنة "الطلبة والعمال" كانت حدتو منظمة هائلة. والذي آخذه كأخطاء فظيعة ضد الحركة الشيوعية. أن سكرتير حدتو يكون أجنبيا ويهودياً في نفس الوقت. هذه مشكلة فظيعة.

مرة سئلت هل هناك فرق من ناحية الشيوعية بين مصري وأجنبي؟ رديت بأنه لا يوجد أي فرق من الناحية النظرية، لكن هناك فرق من الناحية العملية ومن الناحية الجماهيرية (فين ودنك يا جحا) السكرتير السياسي يكون أجنبيا ويهودياً هذا خطأ كبير.

أكثر من هذا عندما قروا أن يكون قسم النساء ممثلاً في اللجنة المركزية وكان به لطيفة الزيات وإنجي افلاطون وثريا أدهم. كان هناك عدد من الرفيقات. لكنهم اختاروا في اللجنة المركزية إيمي سيتون. دخلت اللجنة

المركزية. فهذه أشياء تدل على عدم التمسك بالواقع النضالي في مصر، هذا رأيي.

جعلوني مسئول الأجانب. فقلت كيف يمكن للشيوعيين في داخل التنظيم. داخل الحركة الشيوعية. أن يحولوا الأجانب من حلفاء أو كما كنا نقول احتياطي ــ لينين كان يستخدم كلمة احتياطي ــ للاستعمار إلى حلفاء للشعب المصري والحركة الوطنية المصرية.

أثناء وجودي كمسئول قسم الأجانب الذي كان به مئات ومئات ومئات، لم يتصل بي هنري كورييل أبداً، عندما كان سكرتيراً للحزب، ليس لأنه كان ضدي إنما يمكن أن نقول أنه كان لا يعطي أهمية لوجود الأجانب.

عندما درست الحالة، ورأيت أن الصهيونية تلعب دوراً خطيراً من ناحيتين ليس فقط في الأوساط اليهودية، ففي الأوساط اليهودية أقنعت الشباب اليهود، كل الشباب أولا البورجوازية المتوسطة ــ خاصة ــ ندع البورجوازية الكبيرة ــ وأولاد البورجوازية الصغيرة ــ انضموا إلى يهود شيوعيين ويهود صهيونيين. ووسطهم كان الذين يريدون ضجة فقط. ليس لهم اهتمام بأي مشكلة سياسية، لكن الصهيونية كانت تلعب دوراً كبيراً سنة ١٩٣٨/٣٧. لدرجة أن المركز الصهيوني كانت له لافتة على الشارع. فأنا فكرت في " الجمعية اليهودية لمكافحة الصهيونية ". وكتبت بيانها، هذا البيان موجود بدار الكتب وقد نشره رفعت السعيد.

تكونت لجنة من خمسة أشخاص كلهم فيما عداي كايطالي يهود مصريون، ماعدا عزرا هرار. هو مات أخيرا ولعب دوراً كبيراً في الحزب الشيوعي الفرنسي، وعندما مات .. كنت في ميلانو وأجريت مكالمة مع زوجته قلت لها هل تريدين جنازة؟ قالت لي: لا. هو وهب جسمه هدية للعلماء لدراسته، رفيق جميل جداً، هو مصري كان معنا. انتخبناه سكرتيراً للجنة اليهود لمكافحة الصهيونية. عادل ــ عبد المعبود الجبيلي ــ هو كان في السكرتارية، أنا كنت تحته مسئول الأجانب، أيامها اتصل بي وقال لي:

إن تكوين الجمعية شيء مهم جداً. ليس فقط لمكافحة الصهيونية داخل الأوساط اليهودية. بل إنها تساعدنا في الكفاح ضد الإخوان المسلمين، لأن الإخوان وقتها كانوا يقودون حركة شرسة معادية للسامية، لذلك كان من المفيد أن تتخذ الجمعية كأساس لتفرقة بين اليهود والصهيونيين طالما أن هناك يهود يكافحون الصهيونية. وأنا متذكر تماما كلام عبد المعبود الجبيلي.

الذي حدث مكتوب، ضربنا، أنا قبض عليّ، والإرهابيون ألقوا قنبلة على سينما مترو، ثم بعد ذلك على شيكوريل. الحكومة اتهمت الجمعية المعادية للصهيونية أنها التي فعلت ذلك. وأنا أعرف من الذي ألقى هذه القنابل لأنني عندما كنت في ميلانو. مرة قالت لي اللجنة المركزية الحزب الشيوعي الإيطالي: هناك أثنان من كبار مسئولي الشباب الإسلامي العالمي. قادمان من مؤتمر كان في نيودلهي. وموجودان في إيطاليا. أنت تتصل بهما وتأخذهما ليومين أو ثلاثة. لمناقشاتهما وكان أحدهما كمال يعقوب ــ الإرهابي ــ وكنا معا في السجن ــ فقال لي: نحن ألقينا القنبلة، هو كان مع السادات في التنظيم السري.

قال لي: ألقينا القنبلة على سينما مترو وعلى شركة الإعلانات المصرية، هؤلاء، الإخوان المسلمون كانوا ضدهم. كمال يعقوب هذا ذات مرة قال لي: أريد منك معروفاً. أريد أن أشترى مسدساً. لأنني مهدد من طرف الإخوان المسلمين. هذا التنظيم لم يكن مع الإخوان المسلمين. بل كان تنظيما إرهابياً مستقلاً.

كل أسبوع كانوا يقبضون على شخص من " اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية " وكان يدافع عنا عزيز فهمي. كنت أقابله باستمرار. مرة البوليس قبض على بعض البنات من اللجنة وضربهن ضربا فظيعاً فكتب عزيز فهمي عن ذلك في الصحف.

وفي أحد الأيام قال عادل .. (عبد المعبود الجبيلي) إن سكرتارية التنظيم وأقصد حدتو وكانت مكونة من هنري كورييل وشفارتز وعبد المعبود

الجبيلي وفي البداية شهدي عطية وكمال عبد الحليم وعبد المعبود الجبيلي قال أن السكرتارية ناقشت وقالت " إن مارسيل لا يكون مسئول الأجانب. وقررت أن تكون مسئول مكتب الدعاية. وقد رفضت أن أكون مسئول مكتب الدعاية في منظمة مصرية وقلت لعبد المعبود الجبيلي: أرجوك، أنت تعرف خطي. فضحك وقال أنت تكون نائب مسئول مكتب الدعاية، وأنا المسئول، فوافقت.

أريد أن أقول هنا. أنني ظللت تسعة أشهر حتى الحل – في الواقع – مسئولاً عن مكتب الدعاية، عادل – عبد المعبود الجبيلي – تقريباً لم أكن أقابله. ومكتب الدعاية – شيء غريب – أصبح كما لو كان مستقلاً لدرجة أن البعض كتب يقول إن حدتو والعمالية الثورية عبارة عن مكتب الدعاية الذي أصبح تنظيماً.

قال لي: تكون نائب مسئول مكتب الدعاية، فأعددنا برنامجاً، كان في المكتب. أسعد حليم وإبراهيم سعد الدين وراؤول مكاريوس واثنان إنجليز.

عملنا مدارس لتكوين الكادر، مثقفون وعمال كانوا يذهبون لشبرا وشبرا الخيمة وحدائق القبة. لم أكن أذهب كل يوم. كان هناك مدرسون مختصون يذهبون.

بعد ذلك أصدرنا مجلة (الوعي) وهي مجلة نظرية. وأصدرنا بالإنجليزية والفرنسية. صحيفة نوزعها على كل الأحزاب الشيوعية في العالم، وكان مسئولها راؤول مكاريوس والاثنان الإنجليز.

الشيء الآخر ترجمة الكتب، قمنا بترجمة كذا كتيب.

وفي وقتها اهتممت بترجمة كتب الاتحاد السوفييتي: أسعد ترجم كثيرا، ومصطفى كامل منيب، ترجم عدداً كبيراً من الكتيبات، وباستمرار، كنا نكتب للكتيبات مقدمات تربطها بالواقع المصري، هناك حدث شيء ولأول مرة أقوله، أنا قلت ذلك لثلاثة أو أربعة فقط.

طلب الكومنترن من حدتو مندوب اتصال فقدموا أسماء وبعد ذلك اختارني الكومنترن مندوباً بين حدتو والكومنترن، بينما أنا غير موجود لا في اللجنة المركزية ولا في السكرتارية. فكنت أتصل بالقائم بالأعمال اليوغسلافي، لأنه لم يكن يوجد وقتها سفير ليوغوسلافيا، وكان شخصاً قوياً، كما كان مسلماً من البوسنة.

كنت أتصل به بانتظام. وكنت أقدم له تقارير تقدم لي من السكرتارية. وكان يمول نشر كتب. مثلا عندما ترجم كتاب عن " تيتو " قدم تمويلاً. وهناك كتاب لكارديللي ترجمه أحمد الرفاعي.

أثناء وجودي كنائب مسئول مكتب الدعاية اعتبرت أن الخبرة الصينية مهمة جداً لمصر. لأن هذه بلد فلاحين. ومصر كذلك. فقلنا نترجم كتيبات ماوتسي تونج وليوتشاوتشي. أظن الذي ترجمها مصطفى كامل منيب، كان التوجيه أن الخبرة الصينية هذه مهمة بالنسبة لمصر لأن هناك مشكلة فلاحين، أتذكر وقتها زميل قال هناك يقوم شيء مثل حرب عصابات وليس لدينا طبيعة ملائمة لمثل هذه الحرب قلت له لدينا جبال والجبال هي الفلاحين، هذه جبال مصر.

ظللت تسعة شهور مسئول مكتب الدعاية ولم أقابل أبداً هنري كورييل، هذا أغرب شيء. لأن في كل حزب في العالم سكرتير الحزب يكون هو الذي يقوم بمهمة مسئولية الدعاية هذا شيء غريب، لا أريد أن أقول أنه وقتها كان ضدي لأنني أعرف عندما قدمت تقريراً عن الأجانب في مصر. عبد المعبود قال أن هنري أخذ هذا التقرير وقال، يجب على كل الأقسام أن تعد تقريراً كالذي أعده مارسيل لدراسة الواقع – أي لم يكن موقفاً مني – لكن كان شيئاً غريباً، تسعة شهور ولا يوجد اتصال بالمسئول السياسي.

عندما تم القبض على الشيوعيين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨، ليس صحيحاً أن حدتو لم تكن تعرف بأنه سيحدث قبض. لأن أحمد فؤاد وحمدي أبو العلا كانا

وكيلي نيابة، وعرفا تماما أنه سيتم قبض على الشيوعيين. وقد أبلغوني وهربت، في ١٤ مايو .. وظللت هارباً حتى ١٢ إبريل ١٩٤٩ .. تم القبض عليّ في الإسكندرية في إبريل ١٩٤٩ أي ظللت هارباً تقريباً سنة.

ربما قبض عليّ جميع الرفاق. هنري كورييل قال لجيل بيرو. لم نكن منتظرين هذا القبض. في حين أننا عرفنا بأنه سيتم القبض علينا، الوحيد الذي استطعت أن أبلغه هو محمد جمال الدين. قلت له هذا الخبر، فهرب. بل أكثر من هذا يوم ١٥ مايو توجهنا لنرى الرفاق الذين لم يقبض عليهم، لنأخذهم وأتذكر أنني ذهبت لعزرا هراري، فوجدته قد قبض عليه، لفينا أنا وبعض الرفاق على سبعة أو ثمانية أماكن لم نجد أحداً. كلهم قبض عليهم ماعدا سليم سيدني (لأنه هارب).

يوم ١٥ مايو اختفينا ومعنا محمد جمال، اختفينا في بيت مندوب الـ B.B.C في جاردن سيتي. كنا أربعة أو خمسة.

كان لديه بواب نوبي، قال هناك جيران يقولون أنه يوجد صهيونيون مختفون هنا. بعدها بخمسة دقائق كلنا هربنا كل نزل من مكان.

مكتب الدعاية قام بدوره. في التدريس، والمجلة الداخلية (الوعي). و(أخبار مصر) بالإنجليزية. وكانت الخطابات التي ترسل للكومنترن عن طريق شركة الطيران، وكان الذي يأخذها يسلمها لجمال غالي. لأن جمال غالي كان له في فترة معينة علاقة مع امرأة مضيفة على الطائرة T.W.A.

أنا كتبت في مواضيع كثيرة، في أثناء حياتي في مصر، كتبت (الكورس الماركسي) الذي ترجمه الرفيق أسعد ـ حوالي ثلثمائة صفحة ـ أعددته على أساس كلام كارل ماركس ولينين.

ما هي البنية التحتية ؟ ما هي البنية الفوقية ؟ .. كتبت في هذا الموضوع كتاباً كان اسمه " تفسير العالم " أي النظرية. عندما تم القبض علينا جميعاً. كتبت كتاباً آخر اسمه (تغيير العالم). وهو دراسة عن الحركة

العمالية، عن وضع الفلاحين، عن البورجوازية الصغيرة، وكيف يكون الكفاح وسطهم.

عندما قبض علينا جميعاً، وهربت وقتها، كتبت كثيراً جداً، كل الأشياء التي كتبتها، وأنا تناقشت مع رفعت السعيد بشأن هذه الكتابات. وكلها في مخازن وزارة الداخلية. رفعت قال لي مرة إنه حدثت إمكانية، حصلنا على بعض الأشياء ولم نستطع أن نحصل على الباقي. هناك ثروة عن تاريخ الحركة الشيوعية، أي الذي نقوم بعمله الآن موجود كله في وزارة الداخلية.

فكل الذي كتبته غير موجود الآن إلا الذي كتبته فيما بعد، مثلا ما كتبته في إيطاليا عندما وصلت سنة ١٩٥٣ رفعت السعيد قال بالضبط عنه " هو محاولة لتأريخ حركة اليسار المصري ".. لأنه كانت لدي نسخة ظلت عندي. رفعت السعيد نشر الجزء الأول ثم الجزء الثاني.

الشيء الثاني كل المقالات التي كتبتها سواء في "اليسار" أو في "الأهالي" أو في "أدب ونقد" معظمها عن مشاكل خارج مصر. كتبت مثلا "تأملات عائد من كوبا" "تأملات عائد من موسكو". "إعادة تكوين الحزب الشيوعي"، "حل الحزب الشيوعي القديم". كل هذا، ماعدا مرتين مرة كتبت "الحركة الشيوعية المصرية ونظرية المرحلتين. رداً على محمد سيد أحمد. وشيء آخر كتبته رداً على كتاب جيل بيرو، عندما كنت في مصر كانوا يسمونني المصري الإيطالي وفي إيطاليا يسمونني الإيطالي المصري..

أنتم لديكم في مصر شخصيات، شهدي عطية الشافعي، حقيقة صدر عنه كتاب "الجريمة" لكن هذا شيء خاص بالذي حدث له في السجن. شهدي عطية شخصية كبيرة من المهم أن يصدر كتاب عن حياة زعيم شيوعي مصري. أنا أقول الرفيق شهدي، أكيد هناك رفاق آخرون، أنا منذ قابلته أول مرة، كان في إيسكرا، هذا لاشخص قدرته لأنه فعلا كان يستطيع أن يقوم بدور سكرتير حزب شيوعي مصري.

أنا قابلته مرة أثناء حدتو ــ في شارع بين قصر النيل وسليمان باشا وقال لي ــ لم نكن متصلين ــ كان هو في مكان وأنا في مكان ــ شهدي قال لي: أريد أن أسألك سؤالاً يا مارسيل، هل معقول أن منظمة مثل حدتو سكرتيرها السياسي هنري كورييل وسكرتيرها التنظيمي شفاتز؟ وكان غاضباً..

أنا رأيي حكاية خط القوات الديموقراطية شيء ثانوي جداً في أزمة حدتو. وموقف شهدي عطية.

الأزمة الحقيقية أن رفاقاً كثيرين غضبوا من أن منظمة كبيرة قوية مثل حدتو تكون قيادتها، سكرتيرها السياسي أجنبي ويهودي وسكرتيرها التنظيمي أجنبي ويهودي. بعد ذلك عندما تم القبض على الجميع، وشهدي قبض عليه، ثم أفرج عنه. كل الشيوعيين الموجودين في كل المنظمات. قالوا شهدي هذا خائن. شهدي بوليس، وشهدي ظل في بيته لا يخرج تقريباً من البيت وأصيب بمرض من جراء ذلك.

تكونت منظمة حدتو "العمالية الثورية" هذه ليست انقساماً عن حدتو. لأنه عندما تكون هناك لجنة مركزية. أربعة يطردون أربعة آخرين، لا يكون فيها إنقسام.

تكونت حدتو "العمالية الثورية" فعرفت أن شهدي معزول. ظللت سنة هارباً واتصلت بشهدي وقلت له يا شهدي أنا لا أعتبرك خائناً فقال: أعطني أسبوعاً. وبعد أسبوع قال: أنا مستعد أن أعود للكفاح. وطبعاً ترك البيت وذهب للعمل. واختفى معي في حدائق القبة. وعشنا سوياً منذ أواخر ١٩٤٨ حتى آخر مارس ١٩٤٩.

عندما أنضم شهدي " للعمالية الثورية " طلبت منه كتابة مقال نشر في الوعي باسم " زعيم التكتلية يدين التكتلية " وشهدي قال إنني لم أكن أفهم

حكاية التكتلية هذه، الذي أتى بي في التكتلية أنــور عبـد الملـك. (التكتـل الثوري).

شهدي فعلاً كان رفيقاً ممتازاً. وكنا نعيش سوياً، أنا في سرير وهو فـي سرير. نظل نتناقش ثلاث ساعات مثلا وأنام، في الصباح، يكون قـد كتـب أربعين أو خمسين صفحة عن الحركة الوطنية، عن الاقتصاد .. هذا الشخص يستحق أن يبرز دوره، وينبغي أن تبرزوا أشخاصاً مصريين، أما أنا كـأجنبي فلا أريد إبراز نفسي في كتاب خاص.

**د. شريف حتاته :**

أنا استمعت أولا لكل الذي قاله مارسيل واستفدت منه جـداً، لأنـه بـدأ بـأن أعطانا خلفية عن وجود الأجانب في مصر والوضع. وهذا مفيد جـداً، لأنه لم يفصل بين الواقع الاجتماعي والاقتصادي للأجـانب وبيـن الحركـة الشيوعية وكيف بدأت في هذه الفترة.

أنا أريد أن أذكر الزملاء أنني كتبت سيرتي الذاتيـة. وكتبـت أربعيـن صفحة عن دور الأجانب في الحركة الشيوعية وعن تقييمي لدورهـم وعـن هنري كورييل، وأنا قدمت هذه السيرة الذاتية للجنة ولـم يـهتم بـها أحـد. موجودة في كتاب بعنوان " النوافذ المفتوحة ".

المفروض إذا كنا نهتم بكل الشهادات والكتابـات التـي كتبـت، ليـس ضرورياً أن أكون موجوداً جسدياً لأساهم. يمكن بالعكس الأصعب أن كتـب المرء ويعطي تحليلاً وأنا كنت حريصاً أو حاولت ـ لا أعرف نجحت إلـى أي درجة أم لا ـ ومحمد الجندي كتب أيضاً وآخرون، وهذه كلها تدخل فـي خزين المعلومات الموجودة.

كنت حريصاً في الذي كتبته بقدر الإمكان أن أعطي الأجانب الذين لعبوا دوراً في الحركة الماركسية حقهم، وفي نفس الوقت أقـول وجهـة نظـري بالنسبة لبعض السلبيات التي حدثت نتيجة لوجودهم في الحركة اليسارية.

أنا أشعر في كل الذي أسمعه أن هناك أشياء كثيرة جداً مفيدة، وهناك شيء ناقص. الشيء الناقص هو أننا نحن نتعامل مع (حيوانات سياسية) ولا نتعامل مع بشر. والجانب البشري في الحركات السياسية مهم جداً جداً. أي أنني لا أستطيع أن أناقش مارسيل أو يونس (هنري كورييل). أو عبد المعبود الجبيلي أو شهدي عطية الشافعي أو كل هؤلاء كأنهم مجرد ناس يتحركون في الساحة السياسية. لابد أن أناقشهم أيضاً في تكوينهم كأشخاص، في أصلهم العائلي والطبقي، في مغامراتهم في الحياة، في الأشياء التي حدثت لهم، في تكوينهم، في التأثيرات الثقافية. في كل الأشياء التي تلعب دوراً مهماً جداً، وتجعل الإنسان في النهاية هو حصيلة من الأشياء الإيجابية والأشياء السلبية وكما قلت بالنسبة لهنري كورييل أنه كان مزيجاً من الملاك والشيطان، ونحن كلنا كذلك بدرجات متفاوتة.

لذلك فأنا أقول أن الجانب البشري مهم جداً جداً في كتابة التاريخ.

حتى الآن كل الذي أقرأه في الشهادات أو ما يكتب عن الحركة وعن اليسار، لا شيء عن هؤلاء الشيوعيين كبشر. وأنا أقول أن هذه مسألة مهمة جداً. لأننا لا نستطيع أن نفس أشياء كثيرة جداً من التي حدثت، إلا إذا بدأنا نتعامل معهم كبشر، وأريد أن أضرب مثلا. مارسيل قال من بين الأشياء التي قالها، إن من ضمن الأشياء التي سببت إشكالاً كبيراً جداً في الحركة الشيوعية هو وجود اليهود في بعض المراكز المهمة.

أنا طبعاً رأيي أنهم ليسو هم الذين أسسوا الحركة. بمعنى أنهم أسسوها وحدهم، طبعا لا يوجد فرد أو أفراد يمكن أن يؤسسوا شيئاً، طبعا تعاونوا مع آخرين، لكن هم قطعاً لعبوا دوراً رئيسياً في تأسيس الحركة. وهذا لأسباب متعددة، وقد ذكر مارسيل جزءاً كبيراً جداً منها، ولكن من بينها أيضاً أنه بالنسبة للأجانب الذين كانوا موجودين في مصر في الفترة التي كانت مقبلة على الحرب العالمية الثانية. كانت توجد أيضاً الحركة الفاشية وهذه الأشياء كلها. كانوا يدافعون أيضاً عن وضع لهم داخل البلد. نحن لا نستطيع أن

وقد نجحت أثناء تلك الشهور في تجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين، وتثقيفهم بالماركسية ومن بينهم عدد من النوبيين والسودانيين.

كنت أعمل في ذلك الوقت بحرارة وحماس غامرين، وكنت أنصرف طيلة أيامي لخدمة الحركة ١٦ ساعة يوميا ومازلت أتذكر للآن اجتماعا دام أكثر من ٤٠ ساعة.

وفي شهر أكتوبر ١٩٤١ هجم البوليس علينا، وقبض على أكثر من ١٠ رفاق وتم اعتقالي بمعتقل الإيطاليين وفي يوليو ١٩٤٢ عند هجوم روميل على مصر تدخلت الحركة الإيطالية المعادية للفاشية (وقد لعب الرفيق بكر سيف النصر وكان ابن وزير الحربية ذلك الوقت دورا هاما من أجل الإفراج عني)، أخرجني البوليس السياسي ليلا من المعتقل وصاحبني إلى خارج الحدود المصرية، وهنا أحب أن ألفت النظر إلى أنني لم أغادر أبدا الأراضي المصرية بإرادتي وإنما كان خروجي دائما قهرا ونتيجة لأوامر رسمية بإبعادي عن البلاد، كما حدث سنة ١٩٥٣ بعد خروجي من السجن.

وفي سنة ١٩٤٤ عقب رجوعي إلى مصر اشتركت في إعادة تنظيم جمعية تحرير الشعب وكنت العضو الوحيد الغير مصري في هذا التنظيم، وكنت أعمل في قاعدة التنظيم في مدرسة الكادر وفي تحضير وإعداد الأبحاث التي تكلفني بها قيادة التنظيم وأستمر ذلك حتى سنة ١٩٤٧. وقد رفضت طوال تلك الفترة ولعدة مرات اقتراحات (الحركة المصرية للتحرر الوطني وايسكرا) للدخول في العمل معهم على المستوى القيادي.

وفي سنة ١٩٤٥/ ١٩٤٦ قمت بدور مهم بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وإنجليز في الجهود المبذولة لتوحيد الحركة وقد أدت هذه الجهود إلى الوحدة بين (تحرير الشعب) و(ايسكرا) أولا في (الطليعة

نفصل الناس عن مصالحهم أبداً. فمصالح الأجانب، سواء كانوا في اليسار أو كانوا في اليمين. الذين اتخذوا موقفاً ضد الفاشية ومع الحلفاء وضد الألمان وضد الإيطاليين وكان مرتبطاً بأن الأجانب، كجاليات ــ كما قلت ــ في مصر، كان لهم دور مهم جداً في الاقتصاد المصري، وكان لهم دور مهم جداً كوسطاء بين هذا الاستعمار وبين المصريين هناك وأيا كانت النيات، ففي النهاية هناك مصالح تلعب دوراً ــ بالنسبة لي وبالنسبة لكل الناس ــ كان من مصلحتهم أن يقفوا ضد الفاشية وضد الألمان وأن يستمر الوضع الموجود في مصر كما هو، وهو وضع به امتيازات، والوضع الذي شرحه مارسيل في كلامه.

بالنسبة أيضاً للحركة الشيوعية، عندما تتصور نفسك لعبت دوراً أساسياً في تأسيس حركة يسارية، زعيم أو زعماء، يونس كان زعيماً. هليل شوارتز كان زعيماً إلى حد ما مارسيل ــ رغم إدعائه بعدم الزعامة ــ كان زعيماً، كل زعيم يكون زعيماً بطريقته. هناك شخص يكون زعيماً عن طريق أن يكون له تأثير كبير جداً، لكن لا يظهره. هناك ناس تحب ذلك، أو تحب أن تقول إنها ليست زعيمة، لكنها تلعب دور الزعامة. لأننا لدينا مشكلة في بلدنا ــ ولازالت هذه المشكلة موجودة حتى الآن ــ أن الأجانب لهم وضع خاص سواء وددنا أم لم نود، وحتى اليوم من الممكن أن تسمع شيئاً من مصري والناس لا تقتنع به، وتسمعه من أجنبي والناس تقتنع به. وكان هذا طبيعياً جداً في ذلك الوقت، لأن الأجانب كانوا في وضع متميز، اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وقانونياً، كانوا يسافرون ويأتون. مطلعين على الذين يحدث في العالم. يرون، يقرأون باللغات. من بين الأشياء التي أعتبرها ميزة بالنسبة لي أن أمي كانت إنجليزية، فكنت أقرأ بالإنجليزية منذ وقت مبكر، وهذا أعطاني إمكانية لقراءة أشياء كثيرة جداً، لم يكن الناس الذين يعرفون اللغة العربية وحدها يستطيعون قراءتها.

فالأجانب كان لهم وضع متميز فكرياً، وليس صدفة أنهم هم الذين أتوا بالفكر الماركسي أو لعبوا دوراً أساسياً في أن يأتوا بالفكر الماركسي لمصر،

وليس صدفة أنهم لعبوا دوراً قيادياً، لأنه كان لديهم أفق لم يكن موجوداً لغيرهم.

كان طبيعياً أن يلعبوا هذا الدور، ولحسن حظ الحركة اليسارية أنهم لعبوا هذا الدور، وهذا الجانب الإيجابي يجب أن نفكر فيه ونقدر التضحيات المختلفة التي قدموها في هذه الفترة. وكان طبيعياً أنهم عندما يأتي أناس يريدون أن يبعدوهم، لا يكون سهلاً أن يبعدوا، لأنك أنت صاحب المشروع، أنت الذي بدأت به، الملائكة الذين يقولون استلموا أنتم عند نقطة معينة لم نرهم، ولا في الحزب السوفييتي ولا في الحزب الإيطالي ولا في أحسن الأحزاب الموجودة في العالم، وهنا العنصر البشري المهم جداً.

أنا علاقتي بيونس ليست علاقة وثيقة إلى حد كبير جداً، عرفته بعض الشيء عندما كنت في فرنسا، وحتى علاقتي به لم تكن وثيقة. إنما عندما كنت أتكلم معه، في المرات القليلة التي كنت أقابله فيها كنت أشعر بأفق، وهذا الإفق له ثمن وله مدلول وله مرجوع ولذلك الناس الذين تمسكوا بيونس في تلك الفترة، تمسكوا به رغم أن هناك مشكلة أنه يهودي، لأنه بالفعل في الحركة المصرية وبعدها في الحركة الديموقراطية لم يكن هناك في مستواه الفكري وقدراته شخص آخر مثله بالضبط، كانت هناك قدرات، وقدرات عظيمة جداً، إنما هو كان في نفس الوقت، وهذا واضح، وليس صدفة أنه مات مقتولاً، بكل عيوبه وثغراته ورغبته في الزعامة.

من ليست لديه رغبة في الزعامة ؟ .. من ؟.

العنصر البشري كان موجوداً عند كل واحد منا، عند الناس الذين في القاعدة كان هذا العنصر مكبوتاً. عند الذين كانوا في القيادة كان هذا العنصر لديهم، وكان لديهم ولهم حرية في التعبير عنه، وكانوا يعملون فينا كما يريدون في أشياء كثيرة جداً.

شهدي عطية الشافعي والناس الذين قاموا بانقسامات بحجج مختلفة.. مثل خط القوات الديموقراطية، وكان هناك عنصر آخر يلعب دوراً. هذا

العنصر الآخر كان المنافسة حول المراكز القيادية. والمنافسة كانت ولازالت موجودة حتى اليوم، وكلما تأزمت المسائل أكثر كلما احتدمت المعركة حول المراكز القيادية. عندما تكون لديك حركة قوية وتقود الناس وهناك أمل ونظر للأمام وهناك شعب وهناك جماهير يمكن أن تذوب بدرجات متفاوتة.

هذا العنصر الذاتي موجود، هذا العنصر الذاتي كان موجوداً فيَّ، لكنني كنت صغيراً وليست لدي خبرة و.. فشهدي عطية يوم أن انقسم، انقسم قولاً أو حسب تحليل مارسيل – لأن يونس يهودي. لكن قد لا يكون هذا فقط هو السبب، ومن يواجه نفسه؟ من الناس الذين يواجهون أنفسهم ويأتون بعد هذه السنوات الطويلة ويقولون أنا مثل غيري كانت هناك عوامل مختلفة تلعب دوراً بالنسبة لي، لذلك أقول طالما لم نناقش العنصر البشري للبشر تكون التسجيلات التي نقوم بعملها والتأريخ الذي نقوم به ناقصاً.

هذا العنصر البشري الذي جعلني أكتب السيرة الذاتية. لأنني أردت أن أقول تجربة يساري في حياته كلها ومن بينها الحركة اليسارية، هذا أولاً.

ثانياً: الانقسامات التي حدثت، مارسيل في عرضه قال أشياء كثيرة جداً مفيدة لكنه قال شيئاً واحداً لفت انتباهي؛ قال لماذا البلاد العربية الأخرى والأماكن الأخرى لم تحدث فيها انقسامات وأشياء كهذه، أو ما معناه إن المسائل سارت هناك بطريقة أسلس من التي سارت بها في مصر. أنا رأيي أنه بسبب النشأة الخاصة للحركة اليسارية في مصر. عندما تنظر للكبير وهو يكبر، انظر لطفولته، تريد أن تعرف لماذا كبرت الشجرة معوجة ؟ هناك ظروف خارجية. إنما الطفولة هذه الجذور مسألة أساسية. تريد أن تفهم الحركة الشيوعية، انظر لطفولتها، انظر لنشأتها وهي صغيرة. لأن هذه النشأة الصغيرة ستظل معك طوال العمر. يقولون إن تكون الإنسان في السبع سنوات الأولى من حياته. يمكن تكوين الحركة اليسارية كان في السبع أو العشر سنوات الأولى من حياتها. لأن ظاهرة الانقسام كانت موجودة في أماكن كثيرة جداً، إنما لم تظهر بنفس الدرجة كما ظهرت هنا في مصر.

لماذا؟ أنا رأيي وهذا رأي شخصي، تقييم شخصي، أنه عندما تنظر للحركة اليسارية، وتجد أن هناك كان يوجد جاكودي كومب وهنا كان يوجد هليل شفارتز وهنا كان يوجد يونس وهنا كان يوجد مارسيل أيضاً، وقاموا كمجموعات منفصلة عن بعضها، وقاموا كمجموعات أيضاً فيها عدد كبيرا جداً من الأجانب. بالنسبة لتجربتي. كنت في إيسكرا ــ ودخلت إيسكرا قبل الوحدة بستة شهور أو سنة ــ عندما تمت الوحدة إنضممت لـ (ح. م) لسبب بسيط جداً، لأنني قادم من أسرة بورجوازية، وكانت مشكلتي دائما وبحكم أن أمي إنجليزية كنت أشعر أن لا علاقة لي وثيقة بالمجتمع المصري. فعندما تمت الوحدة وأصبحت هناك الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني وسيراً وراء هذا المنطق كان لابد أن أذهب للمصريين. المصريين أساساً الذين كانوا مرتبطين بالفقراء أكثر بعض الشيء والذين كان فيهم عمال أكثر بعض الشيء وكان فيهم مصرية أكثر بعض الشيء كانوا (ح. م) الذين كانوا في إيسكرا، الكلام الذي كان يقال عنهم صحيح، نحن كنا نجند في الحفلات. في الزمالك وجاردن سيتي والأماكن المختلفة مثل هذه. وبالتالي لم يكن من الممكن أن أقتنع داخلياً. هي حدثت بالصدفة إلى حد كبير جداً. ليس تفكيراً واعياً، إنما هو تفكير غريزي. أنه إذا كانت المسألة مسألة حركة عدالة ومصريين وكذا، إذن هؤلاء هم الأقرب.

ثم كنت أشعر في نفس الوقت أن هناك نظرة مرنة أكثر.

فعندما ننظر للوضع الذي كان موجوداً في هذه الفترة، نشعر أن نشأة الحركة، وهذا العدد الكبير جداً من الأجانب، الذين كانوا مسيطرين بدرجة كبيرة. هم الذين كانوا يمولون. كنا عندنا نجمع أموالاً في الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني ونجمع مثلاً خمسة آلاف جنيه، يكون منها ثلاثة آلاف وخمسمائة أو أربعة آلاف من القسم الأجنبي، المكون من أربعمائة أو خمسمائة أجنبي، وأغلبية الأجانب كانوا يهوداً. صحيح كان هناك يونانيون وإيطاليون وآخرون من البلاد الأخرى. إنما أغلبهم كانوا يهوداً فالمال والثقافة والخبرة، والسفراء والاتصالات الدولية. كل هذا كان عندهم.

الانقسامات كان وراءها هذا، لأن هذه المجموعات التي بدأت منفصلة، عندما حدثت مسألة الاندماج أصبحت هناك مشكلة. سيكون هناك أكثر من زعيم، صعب جداً أن يكون هناك أكثر من زعيم، وأجنبي. يكفي واحد أجنبي.

سيكونون ثلاثة أو أربعة أو خمسة. وأنا رأيي بالنسبة لشهدي عطية الشافعي، هليل شفارتز لعب دوراً مهماً جداً في تلك الفترة. شهدي في سنواته الأخيرة ليس شهدي تلك الأيام. ولا شريف حتاتة في هذه الفترة ولا أسعد حليم ولا أي واحد هو نفس الشخص في تلك الأيام.

ومثلما للانقسامات، مثلما كان للأجانب الفضل في أنهم بذلوا جهداً كبيراً إلى أن وصلت لنا الماركسية وأصبحت هناك حركة يسارية في فترة من الفترات أصبحوا مشكلة بالنسبة للحركة، مشكلة من ناحية كيف أن الأجنبي هو الذي يقود، لكن هو من الناحية العملية لديه كفاءة القيادة. ماذا ستفعل له؟ وخصوصا إذا قال لك إنني مصري ويرفض أن يحصل على جنسية أخرى، ويقوم بعمل أشياء كهذه، لا تستطيع أن تفصل الناس عن هذا، عن مشاعرهم.

أريد أن أقول، إلى جانب هذه الحكاية، إن نشأة الحركة اليسارية في وسط الأجانب، أثرت حتى على المصريين الذين اختلطوا بهم، وأصبحت هذه مشكلة، وهي كيف تخرج من المدينة التي قال عنها مارسيل لتبدأ في الدخول للشعب المصري؟ كيف تكسر هذا السياج؟

أنا في رأيي (ح. م) فعلت ذلك لدرجة كبيرة، ورأيي أن الطليعة (جاكو دي كومب) لعبت هذا الدور وسط المثقفين المصريين .. رشدي صالح والحركة التي تمت، هذه كان لها دور وسط المثقفين المصريين في تلك الفترة. فكيف تكسر هذا السياج؟ عندما تكسره تذهب لناس مثلك، هذا طبيعي. تذهب للمثقفين من نوع معين، لا تذهب، لأي مثقفين. عندما تنظر للمثقفين في (ح. م) والمثقين في (إيسكرا) هناك فرق كبير بينهم، أو هناك فرق بينهم على أقل تقدير، إنهم في (ح. م) لم يكونوا مثقفين بدرجة كافية. أنا رأيي أنهم

مثقفون أكثر، لكن بمعني خاص، مثلا سيد سليمان الرفاعي وآخرون أنت لا تعتبره مثقفاً لكن أنا أعتبره مثقفاً، ورغم تحفظاتي على كمال عبد الحليم هو مثقف.

هذه أيضاً أوجدت إشكالاً، أي أن الحركة اليسارية منذ نشأتها في مصر قابلت مشاكل خاصة بها. وهذا هو الذي يفسر تاريخها، وهذا الذي يفسر الانقسام والمشاكل التي حدثت. هناك نقطة أخرى أريد أن أقولها، وهي خاصة بما أغضب مارسيل حول البورجوازي الكبير والبورجوازي الصغير أنا أوافق هنري كورييل على هذه الحكاية. ستقولون لأنني بورجوازي. لكن انظروا لمجتمعنا. عندما تتاح للمرء فرص في الحياة لا تتاح للآخرين بأن يتعلم ويسافر ويأتي ويكون معه مال لا يكون مقيداً أنه لابد أن يذهب للعمل اليوم وغداً ويعمل طوال النهار لمدة عشرين ساعة، ولديه حرية، لديه انطلاق. لديه مقدرة عندما يريد شيئاً يحققه، يريد أن يحصل على كمبيوتر يشتريه. يريد أن يسافر فرنسا لحضور مؤتمر فيسافر، يريد أن يشتري كتبا فيشتري كتباً، يريد أن يسمع موسيقى فيسمع، يريد أن يركب سيارة ليذهب من المطرية لحلوان يركب. هذه الإمكانيات تعطي أفقاً، عندما يتحول هذا الشخص من رجعي مع الاستعمار إلى يساري أو اشتراكي أو رجل متقدم أو ديموقراطي سيكون جيداً، سيكون أفضل من البورجوازي الصغير المقيد الذي لا يستطيع أن يتحرك .. لا أقول هذا كقاعدة عامة.

ومن بين المشاكل التي كنا نعاني منها في إيسكرا كما أتذكر ــ أن القسم الأجنبي الذي أتت به إيسكرا لــ (ح. م) الذي كان به أربعمائة أو خمسمائة أجنبي. كان أغلبهم من الموظفين في بنوك أو بورجوازية صغيرة أو بورجوازية متوسطة. أي أن مشكلتهم ليست فقط أنهم أجانب، لكن مشكلتهم أيضاً أنهم أتوا من طبعة متعبة، الطبقة المتوسطة هذه متعبة جداً. من الذي يرتدي الحجاب اليوم، ويذهب للخليج؟ الطبقة المتوسطة. في وسط الفلاحين ووسط العمال لا تجد هذه المسائل إنهم أناس عاديون. حتى في وسط الفلاحين الذين نقول عنهم انهم متخلفون.

أ. جانيت تشيريزي[١]:

أنا موافقة لدرجة كبيرة جداً على الكلام الذي قاله شريف.

أريد أن أتكلم عن فترة لم يتكلم عنها أحد وهي الفترة من سنة ١٩٢٤ إلى تكوين المجموعات الأولى في تاريخ الحركة اليسارية.

بعد سنة ١٩٢٤ كان هناك صمت مطبق حول الذي حدث في الحركة اليسارية، بينما لم تكن هناك تحركات ولم تكن هناك مجموعات.

عندما حدثت بداية النازية سنة ١٩٣٣ بدأت موجة العداء لليهودية. حقيقة لم تكن هناك معسكرات اعتقال أو شيء كهذا، إنما كانت هناك أشكال مختلفة من الاضطهاد. طرد الأساتذة من الجامعات. مصادرة كتب، تحركات من أنواع مختلفة.

طبعاً هذا كان له تأثير على اليهود في مصر، أنا لا أتكلم عن الصهاينة ولا عن اليمين اليهودي، إنما أتكلم عن اليهود الآخرين.

كنت في مدرسة الليسيه كان عمري أربعة عشر عاما، وبدأت أكون مجموعة هناك، وبدأ يحدث انتقال بعض الأشخاص من المثالية الكاملة للمادية المتشددة. تكونت مجموعة صغيرة في مدرسة الليسيه، وبدأنا ندعو لمقاطعة البضائع والأشياء التي تأتي من ألمانيا، وفي هذه الفترة، جاء شيوعي يهودي من فرنسا وتقابل مع هذه المجموعة الصغيرة، هذا الرجل الفرنسي الشيوعي اليهودي أتصل بنا، وبدأ يناقشنا ويكلمنا عن الماركسية والاتحاد السوفييتي، وأصبح الاتحاد السوفييتي بالنسبة لنا النموذج، لكننا كنا أجانب تماما. لا نعرف العربية ولا علاقة لنا بالمصريين. نتكلم لغات أجنبية ونعيش حياتنا الخاصة. ليس مثل مارسيل.

---

[١] ـ زوجة مارسيل تشيريزي، ارتبطت بالحركة الشيوعية المصرية في نهاية الثلاثينيات، وطردت من مصر مع مارسيل عام ١٩٥٣.

لم نكن حتى نبحث عن المصريين، لأننا كنا نعيش في مربع محدود، لا نخرج منه أبداً، الذي يمتد من شارع ٢٦ يوليو حتى ميدان الإسماعيلية (التحرير اليوم) ولا نتصل بالمصريين أبداً. وعندما كبرنا بعض الشيء، كانوا يسمحون لنا أن نذهب لمكتبة دار الكتب لنبحث عن كتب فيها.

كتبت مقالاً بالفرنسية عن الاتحاد السوفييتي. قرأنا مقالا عن الاتحاد السوفييتي في (جورنال ديجبت) بتوقيع (مارسيل ليون) قلنا لابد أنه رجل جيد. فقابلناه، وجدناه شخصاً قادماً من لبنان ولديه أفكار كثيرة عن اليسار، وليس منظماً، ومعه واحد أو اثنان.

بالنسبة للأجانب هم لعبوا دوراً مهماً جداً في توصيل الأفكار وفي اختراق السياج الذي كان موجوداً وذلك بحكم ظروفهم المتميزة وإمكانياتهم، وهذا مهم جداً، ومفروض أن نعتز بذلك. لكن في نفس الوقت، الشيء الذي ارتكبه الأجانب أنه كان لهم دور تاريخي معين يستطيعون أن يقوموا به، إنما بعد مرحلة معينة كان لابد أن أناساً آخرين يحلون محلهم، وهم بحكم إمكانياتهم لم يكن لديهم استعداد أن يتخلوا عن هذا الدور بسهولة.

ناس كثيرون ادعوا أنهم هم الذين بدءوا، لكن الحقيقة الذي بدأ فعلا في التفكير الماركسي، هذه المجموعة الصغيرة التي تكونت في مدرسة الليسيه، وبعد ذلك يونس. (هنري كورييل).

**أ. محمد الجندي**

بالنسبة للكلام الذي قيل، كله مهم جداً.. أنا أتفق مع بعضه وغير متفق مع بعضه الآخر.

بالنسبة لدور الأجانب في مصر الزملاء الذين تكلموا أوضحوا الوضع الذي كانت عليه مصر في هذه الفترة الذي كان بالضرورة يؤدى إلى أن

الأجانب يكون لهم دور في الحركة الشيوعية المصرية. دور قيادي ودور رئيسي. لأن وضع الأجانب وقتها في مصر كان له دور قيادي في كل شيء.

يوجد كتاب اسمه (الأقليات الأجنبية في مصر) يتعرض لهذا الموضوع مثلا بالنسبة للحركة النقابية المصرية، كنا نجد أشياء غريبة جداً. مثلا أو نقابة عمالية في مصر، نقابة عمال السجائر، كانت العناصر الأجنبية تلعب فيها دوراً قيادياً، كانوا هم القيادة، كانت تتألف من سبعمائة شخص. مائتي يوناني. والباقين مصريين وسوريين ويهود وغيرهم.

كان هناك مهرجان لعمال القاهرة سنة ١٩٠١ من الخياطين وعمال التبغ وغيرهم. كانت الكلمات في الاجتماع تقال بالإيطالية واليونانية والعربية والعبرية وحتى بالألمانية. أي كانت هناك لغات مختلفة.

أول تنظيم اشتراكي في مصر أسسه اليونانيون، والحزب الاشتراكي الإيطالي عمل في مصر وقتها على تنظيم الاشتراكيين الإيطاليين في مصر، منذ أوائل القرن، حتى بالنسبة لحزب ١٩٢٢ كان به يوسف روزنتال الذي كان له دور أساسي أيضاً في تنظيم النقابات، واعتقل، وكان له نفوذ كبير ليس فقط على الحركة النقابية والشيوعية، كانت له علاقة وثيقة بزعماء حزب الوفد الذي كانوا يستشيرونه في بعض المسائل، طبعاً غير نفوذهم في الاقتصاد. سنة ١٩٦٣ عند تأميم الشركات كل المحلات التي تم تأميمها كانت محلات أجنبية.

هذا كان الوضع الموجود. وبالإضافة للكلام الذي قيل قبل ذلك. كانت هناك الامتيازات الأجنبية، كان الأجانب يحاكمون أمام المحاكم القنصلية، أو المحاكم المختلطة بعد ذلك. لم تلغ المحاكم القنصلية إلا سنة ١٩٣٧. لكن استمر نفوذهم لفترة. ربما توقف بعد الحرب في فلسطين سنة ١٩٤٨، ثم سنة ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي وطرد عدد كبير من الأجانب.

حتى هذه الفترة كان الأجانب هم المسيطرون.

أسباب مجيئ الأجانب حتى من قبل الإنجليز، في أيام محمد علي وبعده وأيام العثمانيين وأيام المماليك، دائما كان يتم الاستعانة بالأجانب.

في هذه الظروف كان شيئاً طبيعياً أن أول تنظيمات شيوعية وقتها تتكون بين الأجانب، ربما لأنه كانت لديهم إمكانية الثقافة ــ كما قال مارسيل ــ كانت هناك مكتبة هاشيت التي كانت موجودة وقتها، بها كل الكتب الماركسية، ومن الذي كان يشتري من هاشيت؟ الذين يعرفون الفرنسية أو لغات أجنبية، لذلك فطبيعي أن يكون للأجانب هذا الوضع.

أنا رديت أيضاً على محمد سيد أحمد في الأهالي وعرضت هذا الموضوع. كان محمد سيد أحمد يقول إنه يستغرب النشأة اليهودية للحركة الشيوعية المصرية، وقلت هذا ليس غريباً.

هناك عدة مسائل مارسيل وشريف وفروا عليّ جزءاً كبيراً من الكلام الذي كنت سأقوله، لكننا أصدرنا كتابا ليس عن هنري كورييل ــ دار الثقافة الجديدة ــ كتاب تضمن أشياء كتبها هنري كورييل، الذي أصدر كتاباً عن هنري كورييل جيل بيرو ــ وهذا صدر في فرنسا.

بالنسبة لكورييل ودوره وبالنسبة لوجود الأجانب أريد أن أوضح بعض الأشياء، طبعا هو كان يعتقد أن له دوراً استمر لمدة طويلة حتى بعد أن سافر لفرنسا، كان يعتبر أن هناك قضايا كثيرة ممكن يعرفها ويقيمها أفضل من زملائه المصريين الذين كانوا موجودين في مصر موضوعيا عندما نناقش هذا الموضوع نرى أنه برغم أنه استمر لفترة طويلة هو الرئيس سواء في الحركة المصرية أو الحركة الديموقراطية. لكن عندما نفحص في الحركة المصرية للتحرر الوطني عن الأجانب الذين كانوا موجودين كان هو وشخص آخر إسمه جوماتالون كانوا في القيادة، وكان باقي القيادة مصريين. لذلك هم في الحركة المصرية منذ البداية أخذوا خط التمصير الذي يقول بانه من الضروري أن يكون وجود الأجانب في القيادة مؤقتاً. أي مفروض أن

المتحدة) ثم الوحدة مع (الحركة المصرية للتحرر الوطني) وتكونت بذلك الاتحاد (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني) حدتو.

وقد انتخبت رغم معارضتي لذلك في قيادة الطليعة المتحدة (والواقع أن هذه القيادة كانت قيادة مؤقتة مهمتها الأساسية كانت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطني). وعند تكوين حدتو عارضت اتجاه قيادة الطليعة المتحدة لإدخالي في قيادة (حدتو) وقد وضحت للرفاق خطورة وجود الأجانب في قيادة تنظيم أصبح على درجة كبيرة من الارتباط بالجماهير.

عينتني قيادة (حدتو) مسئولا عن القسم الأجنبي حيث عملت فيه لعدة شهور، ثم بناء على أوامر القيادة تم نقلي إلى مكتب الدعاية المركزي تحت إشراف الرفيق (شهدي عطية) وعندما أخذ شهدي يبتعد عن قيادة حدتو، طلبت مني القيادة أن أصبح المسئول عن مكتب الدعاية المركزي، ولكنني رفضت هذه المسئولية لأنني اعتبرت أن مهمة أساسية للحركة كالدعاية المركزية لابد أن يتحملها ويقوم بها رفيق مصري، وبعد مناقشات بيني وبين القيادة تقرر أن أصبح نائب مسئول مكتب الدعاية إلا أنني في الواقع كنت المسئول عن النشاط الدعائي وحتى تم القبض علي سنة ١٩٤٩ أولا في حدتو ثم بعد ذلك في العمالية الثورية.

وقبل القبض علي ببضعة شهور قرر مؤتمر (العمالية الثورية) انتخابي في القيادة وهذه المرة أيضا كانت ترجع إلى اعتبار دور القيادة الأساسي في تلك المرحلة كان يتلخص في تحضير مؤتمر الوحدة وتأسيس الحزب، (مع العلم بان مؤتمر تأسيس المنظمة كان قد قرر بناء على اقتراح لي عدم وجود أي أجنبي في قيادة المنظمة).

دوري في الحركة المصرية كان عمليا خارج القيادة، وكان جهدي يتركز في مجال العمل النظري والدعاية.

يجندوا مصريين، وبعد التمصير كانوا يقولوا التعميل، وبدأوا يلجأون للعمال ويجندون من العمال.

عندما حدثت وحدة بين الحركة المصرين وإيسكرا كانت كل قيادة إيسكرا قبل الوحدة أجانب باستثناء اثنين أو ثلاثة. كان شهدي عطية الشافعي، عبد المعبود الجبيلي وجمال غالي، كانت هذه قيادة إيسكرا. عندما حدثت الوحدة بين إيسكرا و(ح. م) ظل بالقيادة من الأجانب اثنان، شفارتز وكورييل، كورييل كان المسئول السياسي وشفارتز كان المسئول التنظيمي.

فحكاية التهمة التي تقال باستمرار إن الأجانب واليهود هم الذين أسسوا الحركة الشيوعية، أو القول إن الحركة الشيوعية أسسها الصهاينة، طبعا هذه التهمة كانت تصدر أساساً عن الرجعية، نذكر انه قبل الثورة كانت أخبار اليوم والجرائد الرجعية كلها تحاول أن تستغل وجود يهود في بداية الحركة. لكن عندما كان يتم القبض على الناس كان يتم بالنسبة للمصريين واليهود.

وطبعا كانوا يهتمون جداً، عندما حدثت حملة ضد الشيوعية في ١٩٤٦. كانوا يبرزون صورة كورييل ويقولون هذا هو قائد الحركة الشيوعية، يقولون هذا يهودي أي صهيوني.

ثم كما قال زميلنا مارسيل هم أسسوا " الجمعية اليهودية لمكافحة الصهيونية" والذي كان يساعد الصهيونية عمليا وقتها كانت الحكومة، وكان للجمعية اليهودية لمكافحة الصهيونية نشاط واسع ونشاط علني، كانوا يصدرون كتباً، وأنا أذكر أنني قرأت كتباً لهم، وكانت تتداول بشكل حر وعلني. والنقراشي هو الذي حل الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية. طبعا غالبية اليهود وقتها كانوا مرتبطين بالصهيونية. وكانت كل الشركات الموجودة، شيكوريل وصيدناوي يهودية، كانوا يحكمون، وكانت علاقتهم وثيقة جداً بالحكومة، وكان لهم تأثير على الحكم وعلى السلطة .. لكن اليهود الآخرين الذين وقفوا ضد الفاشية وضد الصهيونية أصبح جزء كبير منهم

ماركسيا بعد ذلك، هؤلاء لم يكونوا صهاينة أو شيئاً من هذا القبيل، بالعكس كانوا يهود ديموقراطيين وماركسيين ولعبوا دوراً إيجابياً في الحركة الوطنية المصرية.

طبعاً بالنسبة لهنري كورييل، الزميل مارسيل هاجم هنري كورييل، وليس دوري أن أدافع عن هنري كورييل، إننا نناقش موضوعيا، عندما يوجه الزميل مارسيل بعض انتقادات لهنري كورييل، منها أنه كان يريد أن يكون زعيماً وأنا ناقشت الزميل مارسيل في شهادته التي ذكر فيها إن كورييل نصف صهيوني، وكتب ورقة أنا أعتبرها جيدة، ونقداً ذاتياً.

والزملاء القدامى مثل مارسيل ومثلنا جميعاً، عندما نتكلم ونقول شهادات، تكون شيئاً مهماً للتاريخ، لذا يجب تحري الدقة الموضوعية لهذه الشهادات. عندما نقول أي كلام. هذا يستغل حتى اليوم من القوى الرجعية.

بالطبع كنت مع كورييل واختلفت معه في أشياء كثيرة، لكن لا نستطيع أن ننكر أنه لعب دوراً، كان يدرك إن القضية الأساسية بالنسبة للحركة في الأربعينيات كانت الحركة الوطنية، وحتى تسمية المنظمة التي أسسها (الحركة المصرية للتحرر الوطني) ثم بعد ذلك (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني) هذا يعبر عن بعد نظر، وعن أفق واسع، وكان يحاول منذ البداية أن يعمل مع المصريين. طبعاً برغم أنه في بداية حياته ــ وهذا في كتاب جيل بيرو ، كان يعيش أغلب وقته في الكباريهات.

لعب دوراً بالتأكيد كما قال مارسيل، ولكن في هذه الفترة كان للشيوعيين حتى من قبل أن تتكون الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني دوراً رائداً في الحركة الوطنية ــ في الوقت الذي كان هناك العديد من الأحزاب التي تعمل بشكل علني، وهم الذين قادوا الحركة الوطنية في الأربعينيات. عندما حدثت الانتخابات في الطلبة كانت الأغلبية من الشيوعيين وعندما حدثت انتخابات في العمال الغالبية كانوا يساريين أو متحالفين معهم.

عندما تكونت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وإضراب ٢١ فبراير. كل البلد أضربت يوم ٤ مارس. كانت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال هي الهيئة الوحيدة في مصر التي كانت تلقى استجابة شبه إجماعية لنداءاتها. واستمر دور اليسار حتى بعد حل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال، وبعد ذلك عن طريق المجلات التي صدرت بالأساليب المختلفة، وكان لكفاح الشيوعيين في هذه الفترة تأثير على الضباط الأحرار وعلى التوجهات لثورة يوليو بعد ذلك.

هذا الدور الذي كان يلعبه الشيوعيون كان الدور الأساسي والتنظيمي فيه للحركة الديموقراطية للتحرر الوطني.

فطبعاً كورييل له دور فهو، فقد كان المسئول السياسي لهذه الحركة. أكيد له إيجابيات لا نستطيع إنكارها وله سلبيات.

الشيء الثاني موضوع الانقسامية، أنا رأيي أن من السلبيات الأساسية للحركة الشيوعية في تلك الفترة في الأربعينيات كانت الانقسامية. ليس معنى ذلك أن المسئول عن هذه الانقسامية فلان أو فلان أو فلان. لكن هذه كانت لها أسباب معينة. كورييل يقول إن التكوين البورجوازي الصغير كان له تأثير، هذا رأي.

أنا رأيي انه من أسباب الانقسامية أننا كنا بخلاف كل الأحزاب التي كانت موجودة في العالم لم يكن لنا مرجع. أي كما كان الحال مثلا بالنسبة للحزب الشيوعي السوري، والحزب الشيوعي اللبناني. نحن كانت لنا اجتهاداتنا وكان هذا ميزة لنا، لكن في الوقت نفسه كانت تؤدي إلى أن أي واحد يؤسس تنظيما ولا أحد يقول له لا تؤسس. يكون انقساماً ولا أحد يقول له لا تفعل، هذا لم يكن السبب الوحيد، لكن كان أحد الأسباب. الآن بعد أن وقع الكبير نرى الانقسامات في كل الأحزاب في العالم، كل الانقسامات التي لم نكن نراها من قبل هناك حزب إعادة تأسيس الحزب

الشيوعي الإيطالي، هذا انقسام على انقسام، لا يوجد حزب شيوعي في العالم الآن ليست فيه هذه الانقسامات، والميزة التي كانت لنا هي شيء إيجابي وسلبي في نفس الوقت.

نحن اليوم ننتقد السيطرة التي كانت موجودة للكومنترن أو الاتحاد السوفييتي أو غيره على الأحزاب الشيوعية الموجودة في العالم، لكن هذا الوضع الذي كان ينقصنا هنا في مصر، كان يجعلنا نحاول أن نعتمد على أنفسنا، وكان من الممكن أن نختلف مع الأحزاب الشيوعية في العالم، كانوا جميعا يقولون أن ثورة يوليو انقلاب أمريكي، وكنا نقول إنها جزء من الحركة الوطنية. بالنسبة لقضايا كثيرة كنا نأخذ الموقف المستقل، ليس معنى ذلك إنه لم يكن لدينا احترام شديد للأممية والاتحاد السوفييتي والكومنترن.

كنا نريد أن تكون لنا علاقتنا بالأممية ولم يكن لدينا المرجع الذي نرجع إليه، لكن حتى هذا المرجع كان عندما يصطدم مع قناعتنا الشخصية كنا نأخذ بقناعاتنا الشخصية ومواقفنا السياسية المستقلة بالنسبة للدولية.

نقطة أخيرة، رأيي أنه عندما ندرس التاريخ ونسجل التاريخ، وهذه عملية هامة جداً، لأننا نسجله للمستقبل، لأن التاريخ يعطي دروساً للمستقبل، المفروض اليوم عندما نناقش الماضي، ألا نناقشه بالأشياء الصغيرة والأشياء الذاتية، لابد أن نناقشه مناقشة موضوعية. نحن نعرف أن هذا الماضي كانت به أخطاء، لكن كانت به إنجازات كبيرة، ونستطيع أن نرى الفرق بين الإنجازات وبين الأخطاء.

ويمكن اليوم. إذا كان في السابق كان هناك خلاف ــ بمعنى كان هناك لفترة طويلة خلاف على خط القوات الوطنية الديموقراطية ــ اليوم عندما نناقش خلافات الماضي لابد أن يكون نقاشنا موضوعياً.

حدث خلاف في السابق حول العمل ١٠٠% بين العمال، وهذا كان اتجاه تنظيم كبير وانتشاره كبير (م. ش. م) ــ وكان آخرون يقولون ليس ١٠٠% عمال، يكون (٧٠%) وكانت تحدث انقسامات.

طبعاً الدرس الذي نستفيده اليوم بالنسبة للمستقبل. اننا يمكن أن نختلف، وهذا الخلاف ممكن أن يكون مصدر خصوبة وأن يكون مفيداً لنا الخلاف والحوار الموجود يتمثل في الوحدة مع التعدد.

لذلك يجب عندما نناقش التاريخ، إلا نناقشه من منطلق الانقسام، ولكن من منطلق الوحدة.

**أ. مارسيل تشيريزي:**

كلام كثير، لكن سوف أختصر.

الشيء الأول: سمعت كلاماً كثيراً، تعليقاً على الكلام الذي قلته.

لا أريد أن أقلل من دور الأجانب، أن من بين هؤلاء الأجانب من لعبوا دوراً لأنه كانت لديهم إمكانيات، كل الإمكانيات التي قلتها .. لأن يصبحوا ماركسيين، لكن أنا أريد أن أفرق بين مرحلتين.

هناك مرحلة تمهيدية، هي مرحلة دراسة الماركسية، لتكوين كادر ماركسي مصري، هذه مرحلة لابد أن الأجانب الشيوعيين لعبوا دوراً فيها، لكني أقول إنه بمجرد تكون الكادر المصري. كان لابد أن يبدأ هو بالقيام بالكفاح الجماهيري حتى إذا كان محدوداً، كان يجب على الأجانب أن ينزلوا من على رأس الحركة ــ لديهم خبرة أو ليست لديهم ــ هذا أكبر خطأ ارتكب في مصر، إن الأجانب تمسكوا بدور الزعامة في الحركة الشيوعية. عندما كانت حدتو منظمة قوية وسط الطلبة، وسط العمال، وحتى وسط الفلاحين والمثقفين، كان يجب ألا يكون سكرتير التنظيم شخصاً أجنبياً يهودياً ــ السكرتير السياسي والسكرتير التنظيمي شخص أجنبي يهودي، في أول اجتماع لي مع الرفاق اللبنانيين ــ خالد بكداش، فؤاد خزان، وكل الرفاق الذين قابلتهم ــ ولم أقابلهم مرة واحدة، قابلتهم ثلاث سنوات لانني كنت هنلك أعالج من الربو. كانوا باستمرار يقولون إن الحركة الشيوعية لابد أن تكون

مصرية، حتى أنهم كانوا يقولون لي: أين المصريين؟ كنا لازلنا في البداية سنة، ١٩٣٦، ١٩٣٧ كان يدب على الأجانب أن يتركوا الزعامة.

أنت تقول كانت لديهم خبرة. كان يمكن أن يعطوا الخبرة. أنا أقول كان يجب ألا يكونوا في القيادة، كان الرفاق اللبنانيون الذين كونوني كشيوعي يتساءلون، أين المصريين؟ أين القيادة المصرية؟ كانوا يقولون أنتم الأجانب لكم دور ــ تكوين ــ تدريس الماركسية. لكن لا يمكن أن تذهبوا أنتم للجماهير.

وأنا باستمرار اتبعت هذه السياسة.

الشيء الثاني أن هنري كورييل ــ في الكتاب الذي كتبه جيل بيرو ــ خرج إله من هذا الكتاب. حقيقة تكلم عني كثيرا. وأعطاني دوراً، هذا أيضاً لعب دوراً لأن يظهر في العالم كله إن الحركة الشيوعية المصرية كان زعيمها التاريخي هو هنري كورييل.

أنا الذي جندت هنري كورييل وشفارتز. عندما قابلتهما في البداية، كنت أقول لهما باستمرار: نحن دورنا تكوين كادر ماركسي والتمصير، أي تكوين كادر ماركسي مصري. شفارتز أخذ نقطة من هذه. وهي تكوين كادر ماركسي. وأنت كنت في ايسكرا. أعطوا أكبر اهتمام لتكوين كادر ماركسي، وهنري كورييل أخذ النقطة الثانية التي هي التمصير.

أنا أعتبر أهم شيء كانت الوحدة. لماذا؟ لأن القاعدة كانت قد اتحدت في الجامعة، والعمال هم أنفسهم كانوا يريدون الوحدة، لم يريدوا يكونوا في ايسكرا أو هنا أو هناك.

بالنسبة للحركة الوطنية. هنري كورييل كان يشعر بأهمية الحركة الوطنية. في كل بلد مستعمرة أي شيوعي يبدأ لابد أن يأتي من طريق الحركة الوطنية.

كل الشيوعيين الذين وجدوا في مصر، كان باستمرار الحركة الوطنية أهم شيء بالنسبة لهم.

الشيء الأخير. حكاية الانقسامات. هناك شيء مهم جداً بالنسبة لأسباب الانقسامات. الحركة الشيوعية عندما تكونت في مصر لم يكن هناك كونترن والأحزاب الشيوعية كلها، كانت تتكون ليس كأحزاب شيوعية مستقلة، لم يكن هناك ما يُسمى الحزب الشيوعي الإيطالي أو الفرنسي، كان الاسم هو القسم الفرنسي للدولية. القسم الإيطالي للدولية الشيوعية. لم يكن أحزاب شيوعية مستقلة.

عندما تكونت أول المنظمات، وهي تحرير الشعب التي تكونت ١٩٣٨/ ١٩٣٩ وكان فيها فتحي الرملي كان هناك الكومنترن، لكن لم يكن ممكناً أن نكون حزباً شيوعياً لأن الحزب الشيوعي المصري القديم كان قد تم حله بقرار من الكومنترن. كان الكل يسعون لتأسيس منظمات وليس حزباً شيوعياً، وبالنسبة لشيء آخر، البورجوازية الصغيرة والبورجوازية الكبيرة التي تكلمتم عنها، إذا نظرنا للعالم. لينين لم يكن عاملاً، ولا ماركس أو إنجلز كانوا عمالا، في إيطاليا تولياتي كان محامياً، جرامشي كان صحفياً ومتخرجاً من الجامعة. براتشيني نفس الشيء، لكن الحركة الشيوعية كما قال لها لينين هي اندماج حركة المثقفين الماركسيين في الحركة العمالية.

***

## خواطر سياسية ونظرية لعائد من كوبا

**البحث عن الحقيقة انطلاقا من الواقع .. هو جوهر الماركسية**

أتيحت لي الفرصة في شهر يناير الماضي لأن أذهب إلى كوبا ضمن بعثة للتضامن بين إيطاليا وكوبا نظمها الحزب الإيطالي لإعادة التكوين الشيوعي. وفي المقر الرسمي للحزب الكوبي اجتمع أكثر من ٥٠٠ عضو من الحزبين الإيطالي والكوبي تحت منصة فوقها لافتة عريضة عليها عبارة " اجتماع للتضامن بين إيطاليا وكوبا ضد العولمة" لكني انتقدت هذا الشعار لضعفه لأنه لم يتضمن إشارة مباشرة إلى الحصار الأمريكي.

ونظراً لأني كنت قد زرت كوبا قبل ما يقرب من عشرين عاماً، وذلك أيضاً بهدف التضامن بين الشيوعيين الإيطاليين والشعب الكوبي، فقد ركزت اهتمامي أثناء وجودي في كوبا هذه المرة على دراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وأجريت لهذا الغرض مناقشات طويلة مع عدد كبير من الكوبيين من شتى الفئات ـ وكان من بينهم حتى مساعد كبير أساقفة كوبا ـ علاوة على عدد من الشيوعيين من فرنسا وأورغواي والهند وكندا.

وقد التزمت بمجرد وصولي إلى هافانا بالتمييز الواضح بين كوبا السياحية وكوبا الحقيقية. فكوبا السياحية خاضعة بوضوح لسيطرة الدولار، وتكشف عن وجه سيئ يتمثل في البغاء، والتهريب، والفساد.

في حين أن كوبا الحقيقية تتعامل بالبيزو، العملة المحلية ـ التي لا يراها السائح الأجنبي إلا إذا اشتراها على سبيل (السوفينير).

وبعد توقف المساعدات التي كانت تبلغ المليارات من جانب الاتحاد السوفييتي وبلاد أوروبا الشرقية. تعيش كوبا الآن في حالة فقر شديد شبيه ببلاد العالم الثالث. ولتجسيد الصورة أذكر أنني كنت في اجتماع مع اليندا بنت شي جيفارا فحكت لنا القصة التالية: إنها كانت في أحد الأيام في مطعم وذهبت ابنتها الصغيرة إلى الحمام، ولكنها عادت إليها مسرعة تقول:

ـ إذهبي يا أمي بسرعة إلى الحمام لأنك ستجدين به ورق التواليت!.

وقد تحدث معها الحاضرون عن البغاء المنتشر حول الفنادق وكافة الأماكن السياحية. فقالت أن هذا البغاء سببه الفقر، والدافع إليه في كثير من الأحيان السعي لمساعدة الأسرة، ويجب ملاحظة أنه ليس تابعا لجماعات إجرامية مثل ألمافيا. ولأنه " قطاع خاص وسببه اجتماعي فان مقاومته ليست سهلة".

ولكن للأنصاف ينبغي القول بأنه بالرغم من هذا المستوى المنخفض للحياة فان الحكومة الكوبية ظلت تدافع عن كل ما يتصل بالتعليم والصحة والطفولة. ونحن نجد في الطرق والشوارع لافتات بالحجم الكبير تذكر أن بلاد العالم الثالث تشهد كل يوم موت ٥٠ ألف طفل بسبب الفقر. ليس بينهم طفل كوبي واحد. وهذا صحيح. ومن ناحية أخرى حرصت الحكومة الكوبية على توفير أساسيات الغذاء لأفراد الشعب عن طريق البطاقات. إلا أن مستوى المعيشة منخفض لدرجة أن مرتب الطبيب أو المدرس لا يتجاوز ٣٠ دولار في الشهر. وهذا يخلق بغير شك بين هذه الفئات نوعا من عدم الارتياح. ومن

المؤكد أن الحصار الأمريكي هو من أسباب تفاقم الحالة الاقتصادية في كوبا.

غير أنه بالرغم من ضيق الحياة فان الشعب الكوبي يرتبط ارتباطا وثيقا بزعمائه. ولاسيما بفيدل كاسترو وشي جيفارا. وقد تأكد ذلك في الانتخابات التي أجريت في يناير الماضي. وأثناء الاجتماع الذي عقدناه مع الكوبيين أشارت أليندا جيفارا إلى أن أباها له شعبية واسعة لا في كوبا وحدها بل وفي كل أنحاء العالم ولا سيما في العالم الثالث. وعند ذلك أبلغتها بالمقالة الطويلة التي نشرتها " الأهالي" عنه مؤخراً. كما ذكرت أن أحد مؤلفي الأغاني من المصريين(*) كتب قصيدة بعنوان "ليلة موت جيفارا" فطلبت مني أن أبعث إليها بالجريدة والقصيدة.

وتجدر الإشارة إلى أنه عند زيارة البابا لكوبا مؤخرا. ذكر حرفيا أنه بصرف النظر عن موقف كاسترو وجيفارا من الدين، فلاشك في أنهما كرسا حياتهما لخدمة الشعب. وينبغي أن نذكر في هذا الصدد أنه قد حذفت من الدستور الكوبي وكذلك من لائحة الحزب الشيوعي الكوبي كل إشارة إلى الدين. على عكس ما كان عليه الحال في الماضي.

في البيان الشيوعي الذي يحتفل كل التقدميين في العالم بمرور ١٥٠ سنة على صدوره. (على الرغم مما شهده الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي من مآسي) ابرز كارس ماركس وفريدريك انجلز النقطتين الهامتين التاليتين وهما جوهر المادية التاريخية: الأولى أن القوى المنتجة تظل تتقدم في داخل المجتمع حتى تصل إلى درجة تتناقض فيها مع العلاقات الإنتاجية (أو علاقات الملكية) القائمة، ثم تصطدم بها. وانه عندئذ يصبح ـ ثانيا ـ من الضروري تغيير العلاقات الإنتاجية (أو علاقات الملكية) القائمة واستبدالها بعلاقات جديدة تتمشى مع درجة تقدم القوى المنتجة.

---

(*) شاعر الشعب: أحمد فؤاد نجم.

أما بخصوص دوري السياسي في الحركة فقد كان استجابة لمنطلقين أساسيين:

الأول ــ السعي لتوحيد المنظمات الشيوعية على أسس ثورية

الثاني ــ ربط عملية توحيد الحركة بعملية تأسيس الحزب

وأنني اعتبر ان الدور الذي لعبته في تنظيم مؤتمر ١٩٤٨ السري (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) والتقرير الطويل الذي قدمته في هذا المؤتمر ثم الدور الذي قمت به في اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب سنة ١٩٤٩ هما أهم ما قمت به أثناء فترة كفاحي في مصر. وأخيرا أضيف إلى ذلك الجهود التي كنت أبذلها داخل السجون في فترات الاعتقال مع الرفاق من سائر التنظيمات لتنظيم وإعداد المحاضرات والدروس الماركسية.

## الكتب والأبحاث

١ــ كتيب باللغة الفرنسية عن حركة السلام العالمية، وحركة السلام بمصر سنة ١٩٣٨.

٢ــ كتاب يشمل مناقشاتي مع العمال وتحليلاتي واستنتاجاتي المستخلصة من فترة وجودي بمصنع المعصرة، وقد أفادني هذا الكتاب كثيرا في معرفة الواقع المصري من زاوية العمال وإلى حد ما من زاوية الفلاحين (إذ ان معظم عمال المعصرة كانوا فلاحين أو من أصول فلاحية وفي كل الأحوال كانت هناك روابط وثيقة بينهم وبين الفلاحين).

٣ــ كتاب لشرح النظرية الماركسية عنوانه كما جاء سابقا (تفسير العالم) وكان يشتمل على دراسات عن الجدلية وعن تطور المجتمعات وعن العلاقات الإنتاجية كأساس تحتي للمجتمع وعن

وهذا التوفيق بين علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج لا يتم بطريقة أتوماتيكية وإنما عن طريق عمل ثوري بدرجة أو أخرى، ضد الطبقة المسيطرة تقوم به الطبقة المتضررة من العلاقات الإنتاجية القائمة إلا أن المجتمع لا يقوم فقط على العامل الاقتصادي (وإن كان يظل في التحليل الأخير هو العامل الأساسي) المجتمع البشري في شموله يضم إلى جانب العامل الاقتصادي (البنية التحتية) بنية فوقية تتألف من العوامل السياسية والقانونية والأيديولوجية وما إليها. وهذا ما يفسر قيام أول ثورة تنشئ علاقات إنتاجية (أي علاقات ملكية) اشتراكية، في روسيا المتأخرة اقتصاديا.

وقد أبدى عدد من الماركسيين مثل كاوتسكي شكوكهم بشأن إمكانية استمرار ثورة أكتوبر، غير أن لينين رد عليهم بأن قيام الثورة في هذا البلد بالذات يرجع إلى أن البورجوازية الروسية كانت أضعف حلقة في البورجوازية العالمية. لكن لينين كان مدركا تماما للتناقض القائم بين درجة تأخر القوى المنتجة في روسيا والعلاقات الاشتراكية. ومن هنا لجأ إلى ما سماه " بالسياسة الاقتصادية الجديدة " (NEP) أي أنه لجأ إلى أشكال من الملكية ليست اشتراكية.

ثم جاء ستالين، وقد لعب بدون شك دورا هاما في تقدم القوى المنتجة في الاتحاد السوفييتي لاسيما في مرحلة الخطط الخمسية الأولى، إلا أنه حقق ذلك عن طريق استعمال أساليب العنف والإكراه التي تتعارض مع مبادئ الاشتراكية وما كان يمكن أن تستمر لفترة طويلة.

وتزايد تدريجيا التناقض بين درجة تقدم (أو عدم تقدم) القوى المنتجة والعلاقات الاشتراكية، وترتب على ذلك انتشار عدم الاهتمام بالعمل، ونقص المبادرة، واختفاء المنافسة، وظهور بيروقراطية جامدة ـ ومستفيدة ـ وترتب على هذا كله الركود الاقتصادي وبالتالي انهيار النظام الاشتراكي.

ومن الملاحظ ان عددا كبيرا من المؤرخين ـ ومن بينهم ماركسيون ـ لم يعطوا اهتماما كافيا للعنصر الاقتصادي فيما حدث في الاتحاد السوفييتي، وركزوا اهتمامهم على الجانب السياسي (وجود الديموقراطية أو عدم وجودها) أو على الجانب الشخصي (كفاءة جورباتشوف أو عدم كفاءته).

ولاشك في أن كوبا تواجه تناقضا بين درجة تقدم (أو عدم تقدم) القوى المنتجة والعلاقات الاشتراكية فأحد أمرين إما التخلي عن العلاقات الاشتراكية كما حدث في الاتحاد السوفييتي وإما التركيز على نمو القوى المنتجة بكافة الوسائل الممكنة واسمحوا لي أن أتحدث عن كوبا بشيء من الإفاضة ولكن عن طريق الصين.

في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي الصيني قال السكرتير جيانج زي مين حرفيا ما يأتي توضيحا لسياسة الحزب: "لقد اعتنق حزبنا منذ يوم تأسيسه الماركسية اللينينية أيديولوجية يهتدي بها. ويسير حزبنا على مبادئ: البقاء على طريق الاشتراكية، والتمسك بالديكتاتورية الديموقراطية الشعبية، وقيادة الحزب الشيوعي. والماركسية، وأفكار ماوتسي تونج .. أما نظرية دينج شياوبينج فهي استمرار وتنمية لأفكار ماوتسي تونج.

** العمل على تنمية القوى المنتجة الخاصة بمجتمع اشتراكي، وتوسيع القدرة الشاملة للدولة الاشتراكية ورفع مستوى الشعب.

** والطريقة المتبعة هي تحرير الأذهان والبحث عن الحقيقة ابتداء من الواقع .. فبحث الحقيقة ابتداء من الواقع هو جوهر الماركسية.. ويجب إجراء تحليل دقيق وتقدير علمي جديد لكافة خصائص وسمات الأوضاع الدولية. كما أن علينا أن ندرس بدقة أسباب نجاح أو فشل البلاد الاشتراكية الأخرى..

إن نظرية دينج هي نظرية بناء اشتراكية خاصة بالصين.

وقد حدد دينج شياوبينج لأول مرة أن المرحلة التي تمر بها الصين الآن هي المرحلة الأولى للاشتراكية أي أننا مازلنا في مرحلة التخلف الاقتصادي UNDER DEVELOPMENT فليس هناك أي معنى للكلام عن الماركسية خارج الواقع القائم في أي بلد معين وفي إطار الزمن الذي يمر به .. ولأول مرة في تاريخ الماركسية ينص حرفيا في برنامج حزب شيوعي على هذا المبدأ العلمي ألا وهو " المرحلة الأولى من الاشتراكية ".. فهي مرحلة تاريخية لمجتمع يقوم أساسا على الانتاج الاقتصادي الطبيعي ونصف الطبيعي.

ففي هذه المرحلة سينتقل المجتمع تدريجيا إلى وضع اقتصادي متقدم إلى حد ما وقائم على مستوى علمي وفني وتعليمي وثقافي مرتفع إلى حد ما .. والمهمة الأساسية في هذه المرحلة الأولى للاشتراكية هي تنمية القوى المنتجة.

وعندما قال دينج شياوينج جملته الشهيرة انه لا أهمية للون القط وإنما المهم أن يفترس الفيران. كان يعني أن كل الوسائل والطرق الاقتصادية الممكنة يجب استعمالها للقضاء على التأخر الاقتصادي. وإزالة التناقض بين تأخر القوى الإنتاجية (أي فقر الجماهير الشعبية) والعلاقات الإنتاجية الاشتراكية.

يجب علينا أن نعيد تنظيم هيكل الملكية وأن نطوره ويجب الاحتفاظ بمكان رئيسي للملكية العامة. والعمل في الوقت نفسه على تنمية أشكال عديدة للملكية .. ففي المرحلة الأولى للاشتراكية يجب أن توضع كل أشكال الملكية في خدمة الاشتراكية بشرط أن تستمر مشروعات الدولة أساساً للاقتصاد الصيني.

" إن المرحلة الأولى للاشتراكية مرحلة تاريخية، علينا أثناءها أن نقضي تدريجيا على التخلف الاقتصادي. وأن نسعى لتحديث نظامنا الاشتراكي بصورة جوهرية .. وسوف تستمر هذه العملية التاريخية قرنا من الزمان على الأقل. إذ أن استقرار النظام الاشتراكي وتنميته يحتاجان لزمن طويل ولكفاح مستمر تخوضه أجيالا متعاقبة .. وأثناء هذه المرحلة الأولى للاشتراكية لابد أن يظل المجتمع في حالة ثبات ونظام تام.

وتحدث جيانج زيمن عن النظام الدولي فقال: " إننا يجب أن نناضل من أجل نظام سياسي واقتصادي دولي جديد، يقوم على مبادئ التعايش السلمي الخمسة وعلى ميثاق الأمم المتحدة، لأن من حق كل بلد أن يختار نظامه الاجتماعي ووسائل تنميته وطريقة حياته المطابقة لواقعه.. ومن واجبنا أن تعزز الصين تضامنها وتعاونها مع بلاد العالم الثالث.. ولن يكون تقدم الصين أبدا مصدر تهديد لأي بلد آخر.. والشعب الصيني مستعد لأن يساعد كافة شعوب العالم في خدمة السلام ومن أجل مستقبل أفضل".

وربما تبدو هذه الأقوال بعيدة عن التفاؤل، ولكن يجب ألا ننسى أنها تخص بلدا يزيد سكانه على مليار و٣٠٠ مليون نسمة. فإذا تصورناها بعيدة عن التفاؤل فيجب ألا ننسى أننا سمعنا منذ أمد غير بعيد التقديرات المتفائلة لخروتشوف وهو يهدد الرئيس الأمريكي نيكسون بانه سيدفن الرأسمالية خلال عشر سنوات. ونحن نعرف كيف انتهى الأمر.

ولكن من المعترف به الآن من جميع الأطراف أن القوى المنتجة في الصين تحقق تقدما مستمرا، وبأعلى معدل في العالم، بالرغم من كل ما تواجهه من صعوبات ومنغصات، وبل ومن الأخطاء في بعض الأحيان.

وعند اجتماعنا مع آليدا جيفارا سألتها عن موقف الصين من كوبا، فأجابت بان الصين تقدم لكوبا مساعدات، وترسل إليها منتجات بدون مقابل أحيانا وبأسعار سياسية في أحيان أخرى.

وقد صرح لنا مسئول قيادي في الحزب الكوبي بان تجربة الصين محل دراسة في اللجنة المركزية. وأضاف: أننا حريصون على تجنب الوقوع في خطأ التطبيق الآلي للتجربة الصينية كما وقعنا من قبل في التطبيق الآلي للتجربة السوفيتية.

والواقع ان كوبا بدأت في السماح بالملكية الخاصة في مجالات الزراعة العائلية، والإنتاج الحرفي، ولاسيما في كل ما يتعلق بالسياحة التي تنمو بصورة مضطردة. ففي المطاعم والفنادق الصغيرة. وسيارات الأجرة، والمقاهي ومحلات البيع الصغيرة تزداد باستمرار. وقد تكون السياحة اليوم من المصادر الأساسية لدخل الدولة، ولكن ينبغي الانتباه إلى أنه مصدر مهدد دائما بالاستفزازات المعادية كما حدث في مصر.

وعندما وصل البابا إلى هافنا ألقى كاسترو خطبة تعتبر " الكتاب الأسود" لما قامت به الرأسمالية في تلك الأنحاء من العالم. فقد تحدث كاسترو عن الغزو الأوروبي لأمريكا (وهو الغزو الذي تصفه الكتب التاريخية بأنه اكتشاف أمريكا) وما نتج عنه من إبادة للملايين من السكان الأصليين. وجزيرة كوبا نفسها لم يبق على ظهرها فرد واحد من السكان الأصليين. وقام الغزاه بعد ذلك باستيراد عشرات الملايين من العبيد الأفريقيين الذين مات أغلبهم أثناء النقل. ثم مات الكثيرون منهم نتيجة للاستغلال الفاحش في المزارع.

وذكر كاسترو أيضا أنه تلقى تعليمه في المدارس الكاثوليكية وقال أنه لم ير أثناء دراسته زنجيا واحدا في تلك المدرسة. أو تلميذ من أبناء العائلات الفقيرة.

وقد كتب بعض المعلقين يقولون إن زيارة البابا لكوبا سيكون لها نفس الأثر الذي كان لزيارته لبولندا. وهم في ذلك مخطئون، فكوبا بالرغم من كل الصعوبات متمسكة بالنظام الاشتراكي. وفي نفس "ميدان الثورة" الذي اجتمع فيه مئات الآلاف من سكان هافانا للاستماع لخطاب البابا، اجتمع قبل هذه الزيارة بأسبوعين ضعف هذا العدد من المواطنين تحت صورة ضخمة لشي جيفارا، وتحت شعارات الحزبين الشيوعيين الكوبي والإيطالي، لتهتف بالاشتراكية ولترقص على أنغام إيطالية وكوبية.

ان شعب كوبا يبني بلده تحت الشعار العظيم الاشتراكية أو الموت!.

***

# خواطر عائد من موسكو

في أوائل عام ١٩٩١ قال لي رفيق قيادي في الحزب الشيوعي الإيطالي: إن عيوننا لن تجد دموعا تكفي لنسكبها على ما يجري وسيجري في الاتحاد السوفييتي.

وعندما نويت السفر إلى الاتحاد السوفييتي في نوفمبر الماضي، قررت أن أهتدي بما قاله الفيلسوف الهولندي الكبير "سيبنوزا".. {إننا إزاء الأحداث يجب ألا نضحك أو نبكي، وإنما أن نفهم}.

وفي يوم نوفمبر، يوم ذكرى ثورة أكتوبر العظيمة ذهبت مبكرا إلى الميدان الأحمر. فوجدته محاصرا بالدبابات والمصفحات، وبعدد هائل من رجال الشرطة. وكان الميدان خاليا من الناس. تقدمت إلى أحد رجال الشرطة قائلا إنني صحفي إيطالي، وكدليل إثبات قدمت لهم رخصة القيادة الإيطالية، أخذ الجندي يتفحصها. ثم راح يستشير أحد الضباط، وبعد دراسة عميقة اقتنعا بأنها بطاقة صحفية. وسمحوا لي بالدخول!

لمدة نصف ساعة تقريبا كنت وحدي في هذا الميدان الواسع، وتذكرت بحزن عميق كيف كان يمر به في كل سنة مئات الآلاف من السوفييتيين بالأعلام والموسيقى والأناشيد. توجهت إلى ضريح لينين، إلا أن أحد الحراس أبلغني أن الزيارة ممنوعة في هذا اليوم. وبعد ساعة تقريباً دخلت إلى الميدان مجموعة بين ٢٠، ٣٠ شخصا تحمل صورا

لشخصيات دينية وابقونات. تقدمت إلى أحد المتظاهرين قائلا إني صحفي إيطالي وأريد أن أعرف هدف هذه المظاهرة. أجابني حرفيا: إننا نتظاهر من أجل شخص معروف لكم جيدا في بلادكم، وهو "المسيح".

بعد فترة دخلت إلى الميدان مجموعة أخرى، ٣٠-٤٠ شخصا، كانت تهتف باسم كروبوتكين ـ زعيم الفوضويين من أيام لينين! وحوالي الساعة العاشرة والنصف سمحوا لمجموعات أخرى بالدخول: مجموعة كانت من التروتسكيين، تهتف للدولية الرابعة! ومجموعة من ضباط الجيش وعلى صدورهم النياشين، وعلى وجوههم غضب جارف، يوجهون السباب إلى جورباتشوف الذي حطم وحدة الجيش السوفييتي! وعلى بعد ١٠٠ متر تقريبا رأيت سيدة تخطب بحماس في الميكروفون، في مجموعة من ٥٠ إلى ٦٠ شخصا، توجه اللعنات إلى جورباتشوف ويلتسين معا، وتهتف باسم لينين، ففهمت أنهم شيوعيون، وتأثرت بقلة عددهم.

وبعد أن تركت الخطيبة الميكروفون دار بيني وبينها حديث طويل، خلاصته أن المسئول الأول عن تفكك الاتحاد السوفييتي هو جورباتشوف، لأنه عندما تولى السلطة كان المفروض أن يقضي على عيوب النظام، ولكن الذي حدث أنه "جه يكحلها عماها" (قالتها بالإنجليزية طبعا، اللغة المشتركة بيننا) أما يلتسين الذي يدعي أنه يحتاج إلى ٥٠٠ يوم لإنهاء الأزمة الاقتصادية، فلن يعمل شيئا خلال هذه المدة غير أن يفتح ٥٠٠ بيت للدعارة! وأن السوق الذي ينادي به هو في الواقع السوق السوداء. ثم سمعنا من بعيد أصداء أناشيد وهتافات: لينين، لينين. قالت لي: إن الشرطة ستضطر إلى السماح بالمظاهرة رغم منعها. وفعلا لم يكد يمضي ربع ساعة حتى امتلأ الميدان الأحمر بما يزيد عن ٥٠ ألف شخص (قدرتهم الصحف الإيطالية بما بين ٥٠

و ١٠٠ ألف شخص). وازدحم الميدان بمتظاهرين من كل الأعمار، ومن كل قوميات الاتحاد السوفييتي، يحملون الآلاف من صور لينين وبينهم أيضاً عدد قليل يحمل صور ستالين (لا يزيد عددهم عن أصابع اليد) ولكن تلفزيونات العالم ركزت في عرضها لهذا المشهد بالذات على صور ستالين. ومع ذلك رأيت إحدى المتظاهرات تهجم على أخرى وتجذب منها صورة ستالين وتلقيها على الأرض وتهتف: لينين، لينين!

وسط هذا الجمهور كان هناك رفاق منظمين، استعدوا بالميكورفونات يعطونها لخطيب بعد الآخر. وكانت الهتافات تكثر من استخدام كلمة " المافيا "، تسقط مافيا جورباتشوف المجرم! تسقط مافيا يلتسين الجاسوس الأمريكي! إلى المحاكمة لمن باع الوطن للأمريكان! وبين الهتافات بيسقط ويسقط هتاف باسم لينين، وترديد لنشيد الدولية، وهتافات كارل ماركس! فاشتركتٍ بحماس مع المتظاهرين، وبأعلى صوتي هتفت لماركس ولينين.

كان معظم المتظاهرين من العمال. ولكن كان بينهم أيضا مثقفون، بل وأساتذة جامعات. أحدهم، عندما عرف أني أجنبي، تطوع بأن يقوم بالترجمة بيني وبين الآخرين، وطلب من أحد حاملي الميكروفونات أن يعطيني الميكرفون لألقي كلمة، ولكن الرجل رفض خوفا من الاستفزاز! ويا للويل فالشيوعيون يخشون اليوم، في الميدان الأحمر، في قلب موسكو، الاستفزاز من جانب الرجعية. وقام المتطوع بالترجمة يندد به، ويصفه بأنه بيروقراطي! إلا أني اقنعته بأن الظروف تتطلب الحذر.

اتجهنا إلى منظم آخر وافق على إعطائي الميكروفون وألقيت كلمة موجزة تعبيرا عن التضامن بين الشيوعيين الإيطاليين والشيوعيين السوفييت، نقلها المترجم إلى الروسية وقوبلت بالتصفيق، وأهدوني أعلاما سوفييتية صغيرة وشارات تحمل صورة لينين، وعدة جرائد غير رسمية. وتقدمت مني إحدى المتظاهرات وقالت: أيها الرفيق الإيطالي،

نحن نحتاج الآن إلى التضامن الدولي، فحزبنا لم يتأخر أبدا عن مساعدة الشيوعيين في العالم، وآن الأوان لكي يساعدنا الشيوعيون من البلـــدان الأخرى ــ طبقا لأجمل شعار صاغه الإنسان: يا عمال العالم اتحـــدوا! وانتهت المظاهرة بنظام.

ولاشك في أن الاتحاد السوفييتي (ومازلت استخدم هـــذه التســمية) يمر بمرحلة من التفكك والفوضى. وبدأ يظهر فيه الانحلال الخلقي، كما تفشت التوترات العرقية، بل والنزاع المسلح بين القوميات بما يقرب من الحرب الأهلية. والأزمة عميقة، فالإنتاج الصنـــاعي والزراعـــي فـــي تدهور سريع، بينما تنمو النزعة الفردية بدلا من روح التضامن، غـــير أن أغلبية الأهالي مازالوا يعتبرون أنفسهم مواطنين سوفييت، خاصـــة بين العمال والفلاحين، كذلك الأمر بالنسبة للجيش.

كيف يمكن تفسير هذه الأزمة الاقتصادية، والاجتماعية، والقوميـة، والمعنوية؟

في أساس هذه الأزمة هناك ظروف موضوعية وأخرى ذاتية. فقـد قامت أول ثورة اشتراكية كبيرة (بعد كومونة باريس القصـــيرة وغـــير المكتملة) في بلد متخلف، حيث كانت الرأسمالية لم تستكمل بعد دورهـــا التاريخي في تنمية قوى الإنتاج، حتى إن بعض الماركسيين الدوجماتيين ممن عاصروا ثورة أكتوبر، اعتبروا أن تلك الثورة لم تكن موجهةً ضد الرأسمالية وإنما هي ضد "رأس المال" لكارل ماركس.

ومع اعتراف لينين بحالة روسيا من حيث التخلف الاقتصادي، فإنه دافع عن خيار الثورة، إذ رأى أن روسيا تشـــكل ــ لأسـباب داخليـــة ودولية ــ أضعف الحلقات في سلسلة البورجوازية العالمية.

وكانت المهام المطروحة أمام سلطة السوفييت صعبة ومعقدة للغاية بناء المجتمع الاشتراكي، وفي نفس الوقت تنمية القوى المنتجة (وهـــي

الدولة وكافة الأبنية الفوقية القانون والعلوم والفن والديـــن.. الـــخ.
كتب سنة ١٩٤١.

٤ـ كتاب عنوانه (تغيير العالم) أو " المسائل العملية والنظرية للثـــورة المصرية " وكان الكتاب يتكون من أربعة أجزاء:

(أ) تكوين الكادر الماركسي المصري.

(ب) تحليل الواقع المصري الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

(ج) الاندماج بالحركة العمالية.

(د) الاندماج مع الفلاحين.

كتب سنة ١٩٤١

٥ـ بحث عن مشكلة الفلاحين في مصر (١٩٤٤)

٦ـ بحث عن الصناعة في مصر (١٩٤٤)

٧ـ تقرير تفصيلي عن مشاكل الوحدة بين المنظمات (١٩٤٥)

٨ـ دراسة عن تاريخ اليهود في مصر ودورهـــم السياســـي ووســـائل تحويلهم من حليف احتياطي للاستعمار إلى حليف للشعب المصري في كفاحه الوطني والاجتماعي (١٩٤٧)

٩ـ " بيان اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية " باللغة العربية واللغـــة الفرنسية، وهذه اللجنة كنت قد كونتها أثناء مسئوليتي عـــن قســـم الأجانب بمنظمة (حدتو) (١٩٤٧)

١٠ـ وقد كتبت مقدمات للعديد من الكتب وأتذكر من بينـــها لأهميتـــه التقرير الذي قدمه ازدانوف إلى الكومنفورم عن تقسيم العالم إلـــى معسكرين (١٩٤٨)

١١ـ بحث تاريخي عن أسباب الانقسامات التنظيمية في مصر وعـــدم القيام بتأسيس حزب شيوعي وعنوان البحث " تصفية الحزب قبـــل

أصلا من مهام الرأسمالية) كما توجب إنجاز هذه المهمة المزدوجة في ظل حصار العالم الرأسمالي المعادي، وبعد حرب أهلية وتدخل مسلح شاركت فيه أربع عشرة دولة أجنبية.

وكان الأمر يتطلب وجود مجموعة قائدة في منتهى الصفاء الأخلاقي والصدق والتفاني، تتمتع بالروح الديموقراطية وبعيدة عن أي طموح للسلطة أو التمسك بها، وقادرة على إشراك الجماهير في السلطة (كان لينين يريد أن يجعل ربات البيوت قادرات على إدارة الدولة)، وتهدف إلى بناء الإنسان الاشتراكي الجديد ــ أي مجموعة من القادة الشيوعيين من طراز لينين.

وكن للأسف الشديد، واعتبارا من ستالين، وعلى الرغم من أن القاعدة الاقتصادية (البنية التحتية) أصبحت اشتراكية، أو بالأحرى غير رأسمالية، فإن السلطة (البنية الفوقية) جاءت تكرارا لما كانت عليه في المجتمعات الطبقية السابقة (رأسمالية أو حتى إقطاعية في بعض جوانبها). وهكذا أصبح الاتحاد السوفييتي، رغم بعض الجوانب الإيجابية (التصنيع، القضاء على الأمية، دعم حركات التحرر الوطني والاجتماعي، تحقيق النصر في الحرب ضد النازية والفاشية)، بلدا شموليا، مستبدا، تسوده المركزية البيروقراطية، فتحول تدريجيا إلى بلد يشله الركود وعدم الكفاءة والفساد (باستثناء القطاع الصناعي العسكري، ركيزة الدفاع عن الوطن).

وكان من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها قادة الاتحاد السوفييتي عدم تقديرهم لقوة الرأسمالية على حقيقتها. فالنظام الرأسمالي تكون خلال خمسة قرون كاملة. وتعتبر بداية الرأسمالية عادة، متوافقة مع ما يسمى بوقاحة "باكتشاف" أمريكا. (كانت أمريكا وشعوبها الأصلية موجودة دائما، إلى أن دهمها الغزو الأوربي في ١٤٩٢ ــ أي منذ خمسة قرون بالضبط). كتب كارل ماركس في "رأس المال": "إن اكتشاف أراضي

الذهب والفضة في أمريكا، واستعباد السكان الأصليين ودفنهم في المناجم والقضاء على أغلبيتهم، وكذلك تحويل أفريقيا إلى منطقة (صيد تجاري) للعبيد من ذوي البشرة السوداء، كانا هما بداية مرحلة الإنتاج الرأسمالي". لقد عبر الأوروبيون المحيط لتصدير المسيحية في مقابل استيراد الذهب. وكل الثروات التي استولى عليها الأوروبيون كانت نتيجة لاستغلال ١٨ مليونا من العبيد، ونهب وقتل ٧٠ مليونا من سكان أمريكا الأصليين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكان من أثر ذلك أيضاً تنحية المدنية الإسلامية العظيمة عن الانتشار العالمي وولادة الرأسمالية الصناعية الأوروبية.

إن النظام الرأسمالي الذي أستجمع قوته خلال خمسة قرون سيطر فيها على الاقتصاد العالمي، والذي اتجه مؤخرا إلى طرق جديدة لاستغلال بلدان العالم الثالث في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ونجح في فرض احتكار البلدان السبع الصناعية الكبرى للأرباح الفاحشة، كان هو الخصم العنيد الذي واجهه الاتحاد السوفييتي وهو يبني أول نظام اشتراكي في التاريخ.

فلما جاء جورباتشوف وطرح سياسة البيروسترويكا والجلاسنوست (الإصلاح الاقتصادي والديموقراطية). رحب به معظم الشيوعيين في العالم ــ لقد كان الاتحاد السوفييتي بحاجة فعلا إلى سياسة اقتصادية جديدة " NFP" شبيعة بما نفذه لينين في حينه، متمشية مع مستوى التطور الاقتصادي الجديد الذي بلغه البلد، كما كان محتاجا إلى الديموقراطية، أي إلى مشاركة " الجماهير الحرة في إدارة السلطة، بعدما انفصلت قيادة الدولة (التي كانت قد ابتلعت الحزب تدريجيا) تماما عن الشعب، على أن يتم كل هذا في إطار الاشتراكية كما كان يقول جورباتشوف، ذلك أن سياسة السوق المستندة إلى اللامركزية في الإطار العام للتخطيط، وإلى استقلالية نسبية لوحدات إنتاجية مسئولة تحركها المنافسة

فيما بينها، تتمشى تماما مع النظام الاشتراكي (تشهد على ذلك التجربة الصينية حيث يقترب معدل النمو السنوي من ٨%). وقد كان السوق موجودا بأشكال مختلفة قبل النظام الرأسمالي. ولكن للأسف، سرعان ما خرجت عملية الإصلاح الاقتصادي عن إطارها الاشتراكي منزلقة تدريجيا نحو رأسمالية من نوع متوحش، عمادها الكومبرادور والمضاربون والمافيا.

أما بالنسبة للديموقراطية فقد أدى استلهام النموذج البرجوازي إلى الديماجوجية (أنظر يلتسين) والبلبة والفوضى، ونشأت حالة من التشويش بين الجماهير وبينما تستند الديموقراطية الاشتراكية إلى مجالس الجماهير العاملة المنتخبة بحرية، ينحدر مختلف القياديين الذين احتلوا ومازالوا يحتلون الساحة السياسية في الاتحاد السوفييتي من نفس المجموعة الموجودة في قمة السلطة منذ سنوات. منهم على سبيل المثال جورباتشوف وشيفرنادزه ويلتسين وكرافشيوك وكامابيف ونزاربلييف.. الذين تحولوا مثلهم مثل أي انتهازي من قيادة اشتراكية إلى قيادة رأسمالية. أما الشعب فيحاول القيصر الجديد يلتسين تدجينه بالديماجوجية وباستعمال العصى الغليظة والتلويح بالجزرة (أو الأحرى الوعد بالجزرة). وينطبق على جورباتشوف ما سماه الماركسيون الفرنسيون " منطق الخيانة ". في البداية يكون الأمر مجرد انحراف بسيط، أو تنازل بسيط أمام الخصم الطبقي والاستعمار. غير أن الاستمرار في هذا الطريق الخاطئ يجر خطوة بعد أخرى إلى معسكر العدو الطبقي ومعسكر الاستعمار. في البداية وضعت البيروسترويكا أمامها هدف العودة إلى الفهم اللينيني للاشتراكية. ألم يكن جورباتشوف يردد "علينا أن نعود إلى الطريق الذي رسمه لينين". غير أنه عوضا عن مواجهة ومحاربة القوى التي بهرتها الرأسمالية (في الواقع بهرتها الفترينات المتسعة في كبريات المدن الغربية بينما أغلقت النظر إلى

بلدان العالم الثالث الجائعة). فقد بدأ سياسة المساومة والتنازل، بل المشاركة أمام ممثلي هذه القوى، وبنوع خاص مع يلتسين، رأس الحرية للرأسمالية الأمريكية (كافة كبار مستشاريه هم من الأمريكيين: (سلخس وشركاه)، وكذلك أمام الاستعمار (حرب الخليج) لقد أظهر جورباتشوف خلال السنوات التي تبوأ فيها السلطة انه سياسي انتهازي وانه مناور صغير إنه رجل يتأثر بدجل البورجوازية العالمية التي كانت ـ عن حق من وجهة نظرها ـ تكن له كل الإعجاب.

لقد ولج جورباتشوف مع شيفرنادزه طريق خيانة الاشتراكية عندما صرح بأنه ينبغي التخلي عن المفهوم الطبقي ومفهوم الصراع الطبقي في السياسة الخارجية. وبدأ جورباتشوف يتصرف دون أية بوصلة، مبدلا موقفه يوميا. على سبيل المثال: ـ قبل أيام قليلة من قراره بحل الحزب الشيوعي نهائيا صرح بأن الحزب المذكرو يضم في صفوفه ملايين الشيوعيين الشرفاء والمناضلين المخلصين الذين لهم كل الحق في أن يحافظوا على حزبهم. لكن سرعان ما تحالف بشكل انتهازي مع يلتسين متخليا عن هؤلاء الشرفاء والمخلصين. ونراه اليوم يستقبل في مؤسسته الجديدة بوجه مشرق وباعتزاز الممثل الرمز والشرس للإمبريالية، هنري كيسنجر.

وأمام التصفية الفاشية للحزب الشيوعي الذي أسسه لينين، وأمام تفسخ الدولة الاشتراكية الموحدة التي أسسها هي الأخرى لينين، بإمكاننا إذا قيمنا الشجرة من ثمارها القول بأن جورباتشوف آخر أمين عام للحزب الشيوعي السوفييتي وآخر رئيس للدولة السوفييتية التي كانت حليفة العالم الثالث ـ المهجور الآن وحده في مواجهة الإمبريالية الأمريكية وغطرستها ـ ومثله في ذلك مثل يلتسين، هو واحد من كبار رجال الثورة المضادة في التاريخ.

وفي رأيي أن الكلمة الأخيرة في الاتحاد السوفييتي لم تنطق بعـد. فلقد عادت الطبقات تتبلور إحداهما مقابل الأخرى، بينما يتزايد الصراع الطبقي. فمن جهة يلتسين الذي يمثل البورجوازية الجديدة التي ما تـزال ضعيفة، والتي ما تزال تنظر بشغف إلى دعم رأس المال المالي الدولي، بالإضافة إلى الكومبرادور، والمضاربين، ومافيـا السـوق السـوداء، والمثقفين الانتهازيين وصولا إلى الداعرات والجماعات الإجرامية، ومن جهة أخرى العمال والموظفين والفلاحين وجمـهور الشـعب العـامل، وربات البيوت والمحالون إلى المعاش الذين يشكلون القسم الأكبر مـن الطوابير التي تقف أمام المخازن والمتاجر، بالإضافة إلى قسم كبير من العسكريين.

ومن المؤسف حقا أن كافة هذه الجماهير الشعبية التي بدأت تتعلـم من تجربتها الخاصة، على حد قول لينين، والتي بدأت تتحرك وتتظاهر كل يوم بشكل أكثر وأوسع من اليوم السابق، على الرغم من محـاولات البرجوازية الجديدة الرامية إلى شرذمتها وحرفها عن مسـار النضـال باللجوء إلى الشوفينينية والشعارات القومية المتشددة .. من المؤسف حقا أن هذه الجماهير لم تجد بعد زعيما يقود نضالها. من هنا يكون خطـر الانفجارات العنيفة، بل خطر الأعمال الإرهابية.

ومما لاشك فيه أن الأشهر القادمة سوف تشـهد اتسـاع النضـال الطبقي انطلاقا من المصانع والسوفخوزات والكولخوزات، مما قد يغير مجرى الأحداث. والحزب الشيوعي من جهته يقوم بإعادة تنظيم نفسـه من القاعدة على أسس نصف أو شبه سرية، ويزداد كـل يـوم تـأثيره التعبوي بين الجماهير على الرغم من الصعاب التي يواجهها، وعلينا أن نعبر عن تضامننا الأممي مع الرفاق السوفييت الشجعان في معركتـهم القاسية لإعادة اعتماد الاشتراكية بعد تجديدها وتنقيتها من الشوائب فـي بلدهم الكبير. وهذا ما طلبه مني العديد ممن تظـاهروا فـي السـاحة

الحمراء في السابع من نوفمبر الماضي. لقد قال لينين: "بالرغم من كل شيء، تبقى الشيوعية أعلى وأرقى شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي الممكن والمستحب للإنسانية جمعاء".

لقد أعلن بيرلينجوير، السكرتير السابق للحزب الشيوعي الإيطالي، اضمحلال وزوال قوة ثورة أكتوبر الدافعة. وأمام تطور الأحداث في الاتحاد السوفييتي يميل العديد من الرفاق، حتى بين القادة، إلى الاعتقاد بأن بيرلينجوير كان على حق. إلا أنه قد أخطأ فيما قاله عن ثورة أكتوبر من اضمحلال وزوال قوتها الدافعة، فقوة ثورة أكتوبر الدافعة لم تضمحل أبدا. وهي ما تزال حية وفاعلة لكن للأسف الشديد اعترضتها صعاب كثيرة وكبيرة، وشل حركتها قادة الدولة والحزب المستبدون والبيروقراطيون والفاسدون في البلد الذي ولدت فيه هذه الثورة المجيدة. مازالت هذه القوة الدافعة تفعل فعلها في العديد من الدول الاشتراكية كالصين مثلا على الرغم من أحداث "تيان آن مين" السلبية وكوبا، كذلك بالنسبة للعديد من حركات التحرر الوطني والاجتماعي في بلدان العالم الثالث، والعديد من الأحزاب الشيوعية، بما فيها الحزب الذي انتمي إليه (الحزب الشيوعي "الجديد" الإيطالي). وأملنا أن تجتاز هذه القوة الدافعة كافة العقبات التي اعترضتها. والتي شلتها في بلد المنشأ، وأن تشرق من جديد شمس الاشتراكية، التي حلم بها ومارسها لينين، في اتحاد سوفييتي جديد، إذ لم يشهد التاريخ نظاما إنتاجيا جديدا حقق النجاح من أول محاولة ومن غير أن تعترضه سلسلة من حالات الفشل والأخطاء والنكسات.

***







Caro Marcello, questa medaglia sia per
te un ricordo del tuo grande
contributo di comunista
e di democratico alla causa
della libertà e del socialismo
con affetto fraterno

25/8/99 Nori e Giovanni

نيشان فضة للأممي
ضد الفاشي فرانكو
١٩٣٦ - ١٩٣٩

## هذا الكتاب

يضم ذكريات إيطالي يهودي ولد وعاش في مصر في ميت غمر والقاهرة وعمل في صفوف اليسار المصري.

ورغم أنه إيطالي الجنسية، كان همه ودوره أن يكسب نضال الأجانب واليهود الذين كانوا يتواجدون بكثرة في مصر قبل الثورة إلى جانب نضال الشعب المصري ضد الاستعمار البريطاني وضد الصهيونية. وقد لعب الأجانب واليهود في هذه الفترة دوراً كبيراً في الاقتصاد المصري وفي الحركة الشعبية ـ النقابات والصحافة والحركة السياسية.

وكان في مصر قبل الثورة عدد كبير من اليونانيين ثم الإيطاليين واليهود سواء المتجنسين بالجنسية المصرية أو بلا جنسية. وقد كان لمارسيل دور كبير في تكوين الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية. وقد حلتها الحكومة المصرية برئاسة النقراشي تحت ضغط القوى الصهيونية التي كانت في تلك الوقت ذات نفوذ كبير ويسمح لها بالنشاط في مصر.

وكان اسمه مارسيل إسرائيل وما أن طرد من مصر سنة ١٩٥٣ وذهب إلى إيطاليا حتى عاد إلى اسم عائلته الأصلي وأصبح مارسيل شيرازي ورفض أن يرتبط اسمه بإسرائيل لسياستها العدوانية.

وهو الآن وقد أشرف على التسعين عاما، عضو في الحزب الشيوعي الإيطالي ويعمل على تعبئة الإيطاليين لمساندة نضال الشعب الفلسطيني ضد العدوان الإسرائيلي المستمر.





دار العالم الثالث

٣٢ ش صبري أبو علم، باب اللوق، القاهرة
ت وفاكس ٣٩٢٢٨٨٠
e-mail: elguindimohamed@hotmail.com
الموقع على الإنترنت: www.top25books.net/thakafagadeda.asp



تأسيسه " وقد اعتبره (شهدي عطية) مثالا للتطبيق الصحيح للجدلية على الواقع المصري. (١٩٤٨)

١٢ــ بحث عن واقع وضع الحركة المصرية وطريقة توحيدها، وقد أصبح ذلك البحث الأساس الذي اعتمدت عليه في التقرير الذي قدمته إلى مؤتمر (١٩٤٨) (مؤتمر الثلاثة وثلاثين).

وكان البحث يشير إلى أخطاء الفصل بين عملية توحيد الحركة وبين عملية تأسيس الحزب وكان يضم اقتراحا بتكوين لجنة تحضيرية بين كافة التنظيمات للدعوة لعقد مؤتمر تأسيس الحزب على أساس مناقشة البرامج واللوائح والخطط السياسية.

١٣ــ بحث تفصيلي عن خطورة نظرية التكتل (١٩٤٨)

١٤ــ اشتركت مع رفيق في كتابة بحث مطول عنوانه (مهمات الحركة الشيوعية المصرية وكان البحث يحدد هذه المهمات وفق تحليل لطبيعة المرحلة القادمة للثورة المصرية (١٩٤٩)

١٥ــ الاشتراك في تحضير لمشروع برنامج الحزب الشيوعي المصري (١٩٤٩)

وقد كتبت العديد من المقالات السياسية والنظرية نشرت في المجلات والنشرات السرية والعلنية، كما اشتركت مع رفاق آخرين في كتابة عدة كتب وأبحاث، ولسوء الحظ لا أملك الآن نسخة واحدة مما كتبته فقد صادرها البوليس أما قبل أو بعد نشرها كما صادر البوليس أيضا مكتبتي الماركسية التي كانت تضم مئات الكتب.

## طريقتي في تجنيد وتكوين الكادر

أولا ــ الاتصال بالعديد من العمال والمثقفين المصريين، ثم اختيار العناصر المخلصة والذكية بصرف النظر عن آرائهم السياسية (فقد استطعت تجنيد عدد كبير من أعضاء حزب مصر الفتاة).

ثانيا ــ معاملتهم على أساس المساواة والصراحة والاحترام وليس على أسس أبوية أو (طبطبة) وبدون أي تنازل عن المبادئ.

ومثال على هذا المنهج في التعامل يتضح من الموقف التالي في أواخر عام ١٩٤٨ أتصل بي الرفيق شهدي عطية وطلب مني الانضمام إلى تنظيم العمالية الثورية، وكانت هذه مرحلة كفاح عنيف بين المنظمات المختلفة، وخاصة في مجال التجنيد وكانت كل منظمة تسعى إلى جذب الرفاق الآخرين إليها من المنظمات الأخرى.

وكنت أكن لشهدي تقديرا كبيرا منذ اللحظة الأولى التي عرفته فيها وقد كان الفقيد شهدي في رأيي نظرا لإخلاصه وذكائه ولشخصيته الشعبية هو الرفيق الذي كان يستطيع أن يصبح في يوم من الأيام سكرتيرا للحزب، من الواضح أن انضمام شهدي إلى العمالية الثورية كان يمثل مكسبا كبيرا لهذه المنظمة إلا أنني أجبت على طلبه على النحو التالي:

(بما أنك قد قمت بتكوين أول تكتل في مصر، وبما أن التكتلية خطر يهدد التنظيم الشيوعي في أساسه، فلابد قبل الموافقة على انضمامك أن تعترف بخطأ النظرية التكتلية وأن تستنكرها).

وكان شهدي قد اقتنع بعد قراءة البحث الذي كتبته عن خطر نظرية التكتل على وحدة الحركة بأنها نظرية معادية لإقامة تنظيم شيوعي قوي، فوافق على ذلك الشرط الذي قدمته، وكتب مقالة يستنكر فيها نظرية التكتلات ونشر المقال في جريدة (الكادر العمالي) وكان له أثر

كبير بين كافة الرفاق، وفي نفس العدد أعلن عن انضمام شهدي إلى المنظمة.

ثالثا ــ كنت أتبع طريقة في الإقناع تتلخص في ربط قضية التحرر الوطني وهي القضية السائدة ذلك الوقت بقضية التحرر الاجتماعي، وهذا عن طريق تحليل للحركة الوطنية وإبراز مضمونها الطبقي، وكذلك عن طريق شرح الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفييتي في مكافحة الاستعمار، كما ان المبادئ الماركسية كانت ترد في الحوار دون إقحام وفي ارتباط متين بظواهر وأمثلة مستخرجة من الواقع المصري الحي المتطور.

رابعا ــ وعند تدريس الماركسية كنت استخدم لغة شعبية (وهي اللغة التي أتحدث بها طبيعيا) وكنت أتكلم بحماس، وكنت أجعل الحاضرين يدركون أننا بالرغم من ضعفنا جزء من الحركة الشيوعية العمالية التي تكافح في كل مكان من أجل تحرير البشر وفي نفس الوقت كنت اجعلهم يشعرون بان حركتنا بالرغم من الصعوبات وبالرغم مما تتلقاه من ضربات الرجعية والاستعمار ليست حركة موسمية أو مؤقتة بل هي حركة تاريخية لابد من انتصارها في تطور المجتمع الإنساني. ولقد قمت بتجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين والسودانيين.

## خبرتي التنظيمية

بما انني لم ألعب دورا قياديا في المنظمات المختلفة (باستثناء فترة قصيرة) فانني لم أقم بدور تنظيمي هام.

وبما أن التنظيم يخضع للخط السياسي فقد عملت على ان أطبق في المرحلة الأولى من نشاطي الأسس التالية:

– تكوين تنظيم سري يقوم على أساس المركزية الديمقراطية في حدود السرية وتكوين قيادة مصرية.

– تنظيم الرفاق المصريين والرفاق الأجانب كل على حدة.

– إصدار جريدة سرية للكادر.

– تكوين منظمات علنية ونشر دوريات ومجلات مختلفة تستفيد من كافة الإمكانيات القانونية والشرعية.

وكنت أحاول طبعا الاستفادة من خبرات الأحزاب الأخرى وكنت أسعى إلى تطبيقات توافق الواقع المصري وتبتعد عن الجمود النظري مثال ذلك الاقتراح الذي قدمته سنة ١٩٤٠ بصدد تطوير الاتصال بالجماهير عن طريق خلق نوعين من الخلايا:

الأولى على أساس المصانع ومواقع العمل.

الثانية على أساس – القهاوي البلدية – التي تنتشر في كافة الأحياء الشعبية وقد أدى ذلك الاقتراح إلى ان أحد الرفاق قد قال ان هذه ليست ماركسية بل مارسيلية.

وفيما يختص بسرية العمل واحترام احتياطات الأمان وقواعده فانني كنت أنادي دائما بذلك من الناحية النظرية إلا انني كنت لا أبالغ في تطبيق هذه القواعد حتى لا تصبح قيودا تمنعني عن النشاط والحركة، ولكي لا يتهمني أحد بالخوف كما حدث بعد رجوعي من فلسطين عام ١٩٤٤.

وفي شهر يوليو ١٩٤٨ وبينما كنت أعيش مختفيا، كلفت بتحضير مؤتمر الثلاثة وثلاثين في حلوان، وقد نجحت في هذه المهمة واجتمعنا لمدة يومين في منزل قائد عسكري وقد تناقشنا بدون انقطاع وبجدية كاملة حول كل المسائل ورجعنا إلى القاهرة دون إصابة أي من

المشتركين في المؤتمر بالرغم من الجو الإرهابي الذي أشاعه النقراشي باشا.

وقبل ذلك في عام ١٩٤٧ عندما أصبحت نائب مسئول مكتب الدعاية في (حدتو) قمت بتنظيم المكتب على أساس لجان طبعا للمهمات المختلفة.

واشتركت بعد ذلك في تنظيم العمالية الثورية.

أما آخر مهمة تنظيمية قمت بها قبل القبض عليَّ وإبعادي عن مصر فكانت تنظيم اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وقد اشتركت في هذه اللجنة كافة التنظيمات عدا تكتل صغير.

## أسباب انقسام الحركة في مصر

ليست الحركة المصرية هي الحركة الوحيدة التي تميزت بالانقسامات فحركات عديدة ولا سيما في البلاد التي كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطاني عانت أيضا من تاريخ حافل بالانقسامات.

أما فيما يختص بالحركة الشيوعية في مصر فان السبب الأساسي في انقسامها هو أن أول منظمة شيوعية تكونت سنة ٣٥/٣٤ بعد انهيار الحزب الشيوعي المصري الأول لم تتبع خطة إعادة تنظيم الحزب بحجة ان الظروف الموضوعية في مصر لم تكن ناضجة لإعادة تأسيس الحزب، مما منع هذه المنظمة من أن تصبح مركزا يبلور كافة الاتجاهات والتيارات التقدمية التي كانت الظروف الموضوعية المناسبة في ذلك الوقت تخلقها تلقائيا. وبذلك تكونت على حده بمرور الوقت العديد من المنظمات. فنظرية المنظمات ساعدت على استمرار حالة الانقسام فحتى سنة ١٩٤٨ لم يفكر أي تنظيم في تكوين الحزب مما كان

مارسيل شيريزي

" أوراق "

# مناضل إيطالي في مصر

دار العالم الثالث

يعني عمليا النشاط بدون برنامج وبدون لوائح وبدون خطة استراتيجية وتكتيكية.

ولاشك في ان وجود عدد كبير من الأجانب في قيادة الحركة الشيوعية المصرية لعب دورا في تعميق وترسيخ الانقسام، فإذا كان هؤلاء الأجانب قد استطاعوا دراسة النظرية الماركسية إلا انهم بصفة عامة كانوا يجهلون الكثير من خصائص الواقع المصري المعاش (وقد استغل بعض من هؤلاء الأجانب معرفتهم بالنصوص الماركسية للسيطرة بدون أي حق على قيادة الحركة).

ان الابتعاد عن المشاكل التي يطرحها الواقع المصري الملموس وعن مشاكل الجماهير الحية وبالتالي ضعف الارتباط بهذه الجماهير جعل الحركة تتخبط مدة طويلة في مشاكل نظرية منقولة في بعض الأحيان صفحة بصفحة عن تاريخ الحزب البلشفي والأحزاب الثورية الأخرى وقد كان هؤلاء الأجانب بلا استثناء من أصول برجوازية (لا يعني هذا انهم من الناحية السياسية كانوا برجوازيين) ليس هذا فقط بل كانوا ينتمون إلى برجوازية أجنبية في بلد مستعمر ولاشك ان هذا الأصل الطبقي قد ساعد على إدخال اتجاهات وتأثيرات سلبية وميول زعامية لعبت دورا كبيرا في استمرار انقسام الحركة.

## محاولات التوحيد بين ١٩٣٩ و١٩٤٩

١) ـ أول محاولة لتوحيد الشيوعيين في مصر (ولم أقل الشيوعيين المصريين، إذ ان الشيوعيين في هذه الفترة كانوا في الغالب من الأجانب) تمت في باريس في عام ١٩٣٩ بواسطة المكتب الخاص بالمستعمرات للحزب الشيوعي الفرنسي وكان من بين أعضاء هذا المكتب رفيق لبناني فبدأت المناقشات بين أعضاء (جمعية السلام)

وأعضاء نواة الاتحاد الديموقراطي وكنت أمثل الاتحاد الديمقراطي في هذه المحاورات. إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار هذه المحاولة واكتمالها

٢) ـ وبدأت ثاني محاولة للوحدة في نفس اليوم الذي بدأ فيه هجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفييتي فوجهت منظمة (تحرير الشعب) عن طريق جماعة الخبز والحرية التي كانت تخضع للتنظيم السري الدعوة لكافة المنظمات لتنسيق النشاط من أجل الدفاع عن وطن الاشتراكية ووافقت على تلبية الدعوة جماعة الثقافة والفراغ (كانت تخضع للتنظيم السري) كما وافقت جماعة الفن والحرية وجمعية الاتحاد الديموقراطي (بقيادتها الجديدة) ورفضت جمعية السلام الدعوة.

٣) ـ المحاولة الثالثة قام بها الحزب الشيوعي الفلسطيني بين تحرير الشعب وجمعية السلام وجمعية " حرية الشعوب " وقد فشلت أيضا هذه المحاولة نظرا لمعارضة جمعية السلام (جمعية الدراسات).

٤) ـ المحاولة الرابعة تمت سنة ١٩٤٦ بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وإنجليز بين كافة المنظمات وفي عدة شهور تم توحيد كافة المنظمات الموجودة باستثناء منظمة الفجر الجديد (لجنة السلام سابقا) فتكونت في البداية (الطليعة المتحدة) نتيجة لاتحاد تحرير الشعب مع (ايسكر) ثم (حدتو) بعد الوحدة مع (الحركة المصرية للتحرر الوطني).

٥) ـ المحاولة الخامسة وهي في اعتقادي أهم وأصح محاولة لتوحيد الحركة وقد جرت ما بين ١٩٤٨ و١٩٤٩ عقب مؤتمر الثلاثة والثلاثين.

فلأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يحدث ذلك الارتباط بين عملية توحيد الحركة الشيوعية وعملية تأسيس الحزب الشيوعي.

تكونت لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب شاركت فيها كافة التنظيمات بما فيها منظمة الفجر الجديد (باستثناء تكتل صغير) ولأول مرة يجتمع الشيوعيون المصريون بصرف النظر عن انتماءهم لمنظمات كفاحية مختلفة لمناقشة وتحضير برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة.

وفي مارس ١٩٤٩ أعلن صدور أول عدد للجريدة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وكان معدا ليشمل المشروعات المختلفة لبرنامج الحزب للمناقشة بين كافة أعضاء المنظمات لقد أجهضت الضربات البوليسية الشرسة الجهود الشريفة التي بذلت في هذه المحاولة التوحيدية التي كان لها فيما بعد أثر كبير في تطوير الحركة وتوجيهها نحو هدف تأسيس الحزب.

## التيار التروتسكي في جماعة الفن والحرية

ظهر هذا التيار في ١٩٣٥/١٩٣٤ على يد مجموعة من المثقفين استوردوه من فرنسا بدون أي ارتباط أو إمكانية للارتباط بالواقع المصري. وكان زعيم هذا التيار مثقفا مصريا أرستقراطيا متفرنجا، وكانت لديه اتصالات بالدولية الرابعة، وكانت لديه خبرات واسعة في المجال الفني وفي تنظيم المعارض .. الخ. ولذلك تمكن من التأثير على الكثير من الفنانين والمثقفين.

وقد تجمع هؤلاء الفنانون في جمعية (الفن والحرية) وقد كان معظمهم يميل إلى الفوضوية والتصورات الخيالية باستثناء البعض القليل الذي لم تكن لديهم أي علاقة بالتروتيسكية على المستويين التنظيمي والنظري، وكان هؤلاء يفضلون العمل داخل تيار ثوري لا يطلب منهم

أي انتظام أو التزام في بذل الجهود بشكل مستمر. لم تكن التروتيسكية أبدا تيارا سياسيا في مصر.

كانت جماعة الفن والحرية تضم عددا كبيرا نسبيا من المصريين ولذلك فقد دخلت الجمعية لاحتك بقواعدها بغرض التجنيد، وكان من الطبيعي ان يقع الصدام بيني وبين رئيس الجمعية إذ انني كنت أنادي دائما بتمصير الحركة بينما كان هو يعمل على تغريب المصريين.

## الخبز والحرية

في أثناء أحد المحاضرات، أخذ زعيم (الفن والحرية) ينادي بتكوين لجان لتلبي احتياجات الشعب المصري إلى الفن (الفن السريالي) وتدفعه إلى الحرية (الحرية الفوضوية)، وقد ثارت ثائرتي عندما سمعت هذا النداء الغريب وقلت بان الشعب المصري يحتاج بشكل أساسي إلى " الخبز والحرية " وبدأنا منذ ذلك الصدام في خلق نواة داخل جماعة الفن والحرية ذات اتجاه شعبي واقعي.

ولقد شعرت منذ بداية اتصالي بجماعة الفن والحرية بمدى خطورة التيار التروتيسكي أو بالأحرى الاتجاه الفوضوي الذي كان يسودها والذي كان يتخذ خطا معاديا للاتحاد السوفييتي، لاسيما وأن هذه الجمعية كانت أول جمعية مصرية ذات تأثير كبير على جمهور المثقفين والفنانين.

كان من واجبي ان أواجه هذا الخطر، وقد نجحت في تجنيد عدد كبير من أعضاء الفن والحرية الذين اشتركوا بعد ذلك في " الخبز

والحرية " وعملت على توجيههم نحو النشاط السياسي بين الجماهير الشعبية، وكان برنامج الخبز والحرية يهدف إلى الاتصال بالعمال المصريين والعمل على تثقيفهم.

وهنا يجب القول بان عددا من الأعضاء السابقين بجماعة الفن والحرية استمروا لفترات تحت تأثيرها الفوضوي، بل وقد انسحب جزء منهم من التنظيم السري لمعارضتهم للعمل المنظم على أساس مركزي.

## القضايا الأيديولوجية

سأذكر هنا بسرعة بعض النقاط الخلافية التي سادت بين الشيوعيين المصريين في الفترة ما بين ١٩٣٥ و١٩٥٢.

١) ـ القيام بنشاط ماركسي بقيادة ماركسيين أجانب أو التركيز على تكوين كادر ماركسي مصري.

٢) ـ تكوين جناح يساري داخل حزب الوفد أو السعي لتكوين تنظيم شيوعي مستقل.

٣) ـ القيام بنشاط بواسطة الجمعيات والجماعات العلنية القانونية وإهمال التنظيم السري، أم العمل بشكل أساسي على تقوية التنظيم السري كأساس لتنمية النشاط العلني.

٤) ـ العمل بين جماهير العمال فحسب، أم بين كافة الجماهير الكادحة بالتركيز على العمال.

٥) ـ التركيز على الكفاح الوطني بغض النظر عن مضمونه الطبقي أو ربط الكفاح الوطني بالكفاح الطبقي.

٦) ـ تأييد أو رفض النظرية البرودرية (الخاصة بحل الحزب).

٧) ـ الاعتراف أو عدم الاعتراف للسودان بحق تقرير المصير.

٨) ــ الدفاع عن التكتلية أو محاربتها.

٩) ــ تحديد طبيعة الثورة المصرية المقبلة كثورة اشتراكية أم ثورة وطنية شعبية من نوع جديد.

١٠) ــ تأييد حزب الوفد بدون تحفظات ام اتباع خطة (التعاون والكشف) نقدية.

١١) ــ التعاون أو عدم التعاون مع الإخوان المسلمين.

١٢) ــ التركيز على تكوين الجبهة الشعبية أم التركيز على الحزب كقائد للجبهة.

١٣) ــ اتباع الاشتراكية العلمية (بدون تعرض للدين) ام اتباع اشتراكية قائمة على الدين.

١٤) ــ إقامة التنظيم على أساس المركزية المطلقة أم على أسس المركزية الديموقراطية " في ظروف النشاط السري ".

١٥) ــ الوصول إلى الحزب عن طريق نمو منظمة واحدة بتحطيم المنظمات الأخرى أو تأسيس الحزب عن طريق توحيد المنظمات الثورية أو معظمها على أساس برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة.

١٦) ــ تأييد حركة الجيش في ١٩٥٢ أو معارضتها.

## الحكم على التنظيمات والقادة

بما انني انقطعت منذ عشرين عاما عن الكفاح في صفوف الحركة المصرية، فانني أفضل عدم إبداء أي رأي شخصي في هذا الموضوع.

وقد كتبت سنة ١٩٥٣ ملخصا تاريخيا عقب وصولي إلى إيطاليا يتناول بإيجاز تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، ربما يفيد في كتابة تاريخ هذه الحركة.

ولم أقم بنشاط خاص بمصر منذ وصولي إلى إيطاليا ما عدا الفترة ١٩٥٥/١٩٥٦ حيث قمت بنشاط دعائي مع الرفيق يوسف حلمي لقضية تأميم قناة السويس ولفضح وإدانة العدوان الثلاثي على مصر وأيضا في سنة ١٩٦٧ عندما احتلت إسرائيل جزءا من الأراضي العربية، وقد كان نشاطي هذا بموافقة الحزب الشيوعي الإيطالي.

## نشاطي في الحزب الشيوعي الفلسطيني

اتصلت بالحزب الشيوعي الفلسطيني لأول مرة في شهر يوليو ١٩٤٢ بمجرد وصولي إلى فلسطين بعد إخراجي من المعتقل وإبعادي عن مصر فاستقبلني سكرتير الحزب وكان عربيا وطلب مني إعداد تقرير عن وضع الحركة في مصر فقمت بكتابة التقرير وأشرت فيه إلى النقاط التالية:

ـ انقسام الحركة إلى ثلاثة أقسام: " جمعية تحرير الشعب " و " لجنة السلام " و " جمعية حرية الشعوب ".

ـ ضرورة النشاط على أساس تنظيم ومنبر مستقل للطبقة العاملة وهذه كانت سياسة تحرير الشعب التي كانت تعتبر نفسها نواة لتكوين الحزب بالاعتماد على الكادر المصري ومن خلال اتصالاتها ونشاطها النامي وسط الجماهير بينما كانت لجنة السلام تدعو للعمل كجناح يساري داخل حزب الوفد.

اجتمعت سكرتارية الحزب الفلسطيني ودعتني كما دعت مندوبين لجمعية حرية الشعوب وللجنة السلام.

دافع ممثلو لجنة السلام عن وجهة نظرهم القائلة بأن الظروف الموضوعية في مصر لا تسمح بتكوين حزب شيوعي، وقد هاجمت هذا الرأي موضحا ان الظروف الموضوعية في سنة ١٩٤٢ أكثر ملائمة

وتطورا مما كانت عليه في ١٩٢٢ التي شهدت تكوين حزب شيوعي مصري وافق لينين نفسه على انضمامه إلى الدولية الثالثة إلا انني كنت اعتبر ان الظروف الذاتية هي التي لم تسمح بعد بتأسيس الحزب ولا بوضع مهمة هذا التأسيس في جدول أعمال الشيوعيين المصريين، وقد أيدت سكرتارية الحزب الفلسطيني وجهة نظري ودعتني للعمل مع الحزب الفلسطيني.

كنت أعيش في تلك الفترة داخل معسكر اللاجئين المعادين للفاشية في بيت لحم بالقرب من مدينة القدس، وبعد عدة مناقشات أجراها معي مسئولون بالحزب كلفت بتدريس الماركسية للعمال العرب فقمت بكتابة (كورس) ماركسي ملخص شبيه بالكورس الذي كنت قد كتبته في مصر وصادر البوليس نسخته الوحيدة.

وظللت لمدة عام ونصف أدرس الماركسية بانتظام بين العمال والمثقفين العرب، وقد تعاونت أثناء هذه الفترة مع الكثير من الرفاق الذين أصبحوا فيما بعد من قيادات الحركة الشيوعية في كل من إسرائيل والأردن.

كنت أتجول ما بين القرى والمدن العربية لإلقاء المحاضرات النظرية، ثم وقعت أزمة عنيفة داخل الحزب الشيوعي الفلسطيني فانقسم عمليا إلى جزأين أحدهما مكون أساسا من الرفاق العرب والآخر مكون من رفاق يهود، ولقد رفضت الدخول في مناقشة نقاط الخلاف على أساس انتمائي الأساسي للحركة الشيوعية المصرية، ولكنني استمريت في نشاط التكوين النظري.

عشت في فلسطين ما يقرب من سنة ونصف وكان كافة اللاجئين الإيطاليين قد عادوا إلى مصر إلا أنا فلم تسمح السلطات المصرية برجوعي، وأخيرا في شهر ديسمبر ١٩٤٣ استطعت العودة إلى مصر

وكان والدي قد توفى منذ ساعات قليلة سبقت وصولي إلى البيت ولم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات.

ولقد طلب مني الحزب الشيوعي الفلسطيني (اللجنة المركزية) بعد اتحاده من جديد ان انضم إلى الحزب كمسئول محترف ولكنني رفضت بعد استشارة الرفاق المصريين.

وقبل سفري نظم الحزب الشيوعي الفلسطيني حفل وداع في القدس جمعت عددا كبيرا من الرفاق العرب واليهود ومازلت أذكر هذه الحفلة بتأثر بالغ على الرغم من وصفي لها في الخطبة القصيرة التي ألقيتها في الحفل بأنها مظهر " برجوازي صغير " ولمدة طويلة لم ينقطع اتصالي بعد ذلك بالرفاق الفلسطينيين.

## الاعتقال والسجن

قبض البوليس عليَّ لأول مرة في شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ مع عدد من الرفاق المصريين وبعد مرور شهرين أفرج عن كافة الرفاق بينما استمر اعتقالي ونقلني البوليس إلى معتقل الإيطاليين الفاشيين باعتباري إيطالي خطر على الأمن العام.

وأثناء فترة الاعتقال قمت بتأليف كتاب " المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية " كما أرسلت عدة مقالات لمجلة " المجلة الجديدة "، كنت أخرج مرة أسبوعيا تحت الحراسة بتوسط من الرفيق بكر سيف النصر بحجة الذهاب إلى المستشفى فكنت أجتمع عادة مع الرفاق وأتناقش معهم.

وداخل المعتقل قمت بعمل دعاية مضادة للفاشية بين المعتقلين الإيطاليين، وقد أدى ذلك إبان انتصار روميل في هجومه على مصر إلى عزلي داخل المعتقل بل وأيضا تهديدي بالإعدام، وقد احتجت جمعية

الإيطاليين المعادين للفاشية على اعتقالي وسط الفاشيين كما ناضلت أيضا من أجل الإفراج عني مما أدى إلى الإفراج عني وإبعادي عن مصر. وبين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٨ قبض عليَّ عدة مرات ولكن كنت احتجز لأيام قليلة في الأقسام وفي شهر مايو ١٩٤٨ استطعت الهروب قبل القبض عليَّ وواصلت الكفاح السري حتى أوائل شهر إبريل ١٩٤٩.

كانت هذه الفترة أنشط وأجمل فترة في حياتي الكفاحية، كنت أعيش متنكرا لدرجة ان والدتي لم تتعرف عليَّ، غيرت مسكني ٢٨ مرة وكنت غالبا أسكن الأحياء الشعبية وكنت أعيش مع رفاق آخرين عادة، وقد هاجم البوليس مرتين مقر اختفائي إلا انني استطعت الهروب، وقد حدث ذات مرة عند ذهابي إلى منزل أحد الرفاق ان فوجئت بان البوليس قد هاجم المنزل قبل وصولي بقليل وعند دخولي إلى باب المنزل واجهني بعض رجال البوليس فوجهت إليهم التحية بكل جدية ووقار رسمي كما يفعل كبار الضباط فردوا التحية بمنتهى الاحترام واستعطت ان أفلت بصعوبة من القبض عليَّ وهنا أحب أن أذكر انني قد اختفيت مع الرفيق شهدي عطية، ولم يكن شهدي يغادر المنزل فكنت أقوم أنا عمليا بدور عضو الاتصال (رغم حملة البحث عني) كنا نتناقش كل يوم ساعات عديدة في كافة المسائل، وحدث ذات يوم ان طال النقاش بيني وبينه أكثر من عشر ساعات حول نقاط خاصة بتحليل مصر الاقتصادي، وذهبت للنوم مجهدا وفي الصباح جاء شهدي وطلب مني ان استمع إلى قراءة كتاب من ١٠٠ صفحة تقريبا كان قد تمكن من كتابته أثناء الليل.

كان هناك مصنع صغير بجوار مسكننا وكانت ضجة المصنع تساعدنا على تغطية ضجة آلات الكتابة والطبع مما كان مفيدا جدا لنا من زاوية الأمان، وقد نجح عمال المصنع ذات يوم في تنظيم إضراب

وانقطعوا عن العمل، فكانت المرة الوحيدة التي تأسفنا فيها على نجاح عمالي لاننا اضطررنا لوقف عملية الكتابة والطبع.

وقد أخفيت لعدة أسابيع المطبعة في المقر الذي كنت مختفيا به فكنت أقوم بكتابة مقالات نشرة " الكادر العمالي " ثم أقوم بطبعها ثم أخرج بعد ذلك لتوزيعها على المسئولين.

وفي إبريل ١٩٤٩ قبض عليَّ مع مجموعة من الرفاق في الإسكندرية وقدمنا للمحاكمة العسكرية وسميت قضيتنا " قضية اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب ".

وعقب القبض عليَّ حضر إلى قسم البوليس أربعة من كبار المسئولين في البوليس السياسي (ومن بينهم ممدوح سالم الذي أصبح وزيرا للداخلية بعد ذلك) وطلبوا مني إفادتهم ببعض المعلومات البسيطة مقابل الإفراج عني كما وعدوني بان الحديث سيظل سرا بيننا وانهم سيخرجونني من القضية ويبعدونني فورا من مصر. ومن السهل استنتاج إجابتي على هذا الطلب فقد قدمت بعد ذلك مباشرة للمحاكمة العسكرية بالرغم من عدم وجود أي دليل قانوني ضدي صدر الحكم عليَّ بالسجن لمدة خمس سنوات.

وفي السجن تم عزلي عن الرفاق المصريين لكوني إيطالي الجنسية وعوملت معاملة السجناء الأجانب طبقا للامتيازات الأجنبية السارية ذلك الوقت، وقد قمت بنضال عنيف داخل السجن احتجاجا على هذه المعاملة الخاصة مطالبا بمعاملتي بنفس الأسلوب الذي يعامل به الرفاق المصريون بدون تمييز، وفي النهاية قمت بعمل إضراب عن الطعام ونشرت الجرائد مقالا بعنوان " إيطالي يضرب عن الطعام احتجاجا على الامتيازات الأجنبية " وقد نجح الإضراب وجمعتني إدارة السجن مع رفاقي المصريين وعوملت نفس معاملتهم. وطوال مدة السجن قمت

من جديد بإعداد الدروس الماركسية وتدريسها لأعضاء كافة المنظمات وانتخبني الرفاق المصريون مسئولا للصحة داخل السجن، وقد انتهزت فرصة سجني لتعميق دراستي للغة العربية ولقراءة العديد من المؤلفات، بعد انتهاء فترة السجن حولني البوليس إلى سجن الأجانب حيث بقيت ثلاثة شهور ثم تم نقلي بناء على قرار بإبعادي عن مصر على ظهر باخرة إيطالية ومن سطح هذه الباخرة ألقيت لآخر مرة نظرة وداع على الأرض المصرية التي شاهدتها تبتعد عني شيئا فشيء.

عند وصولي إلى إيطاليا استقبلني البوليس السياسي الإيطالي وقد حاول وفقا لمادة في القانون الفاشي كانت مازالت مستخدمة ان يجبرني على الحياة في مدينة صغيرة إلا ان ذلك لم يقع نتيجة لتدخل قائد شيوعي كان عضوا في البرلمان الإيطالي وألغي القرار.

ولأول في حياتي أصبحت أكافح علنا في بلد استطاعت فيه الطبقة العاملة بفضل وعيها ووحدتها وتنظيمها وكفاحها المستمر على ان تجبر البرجوازية على احترام قواعد الديموقراطية (إلى حد ما).

***

# يهودي من " ميت غمر (•) " !!

## تعظيم سلام لما يفعله أطفال الانتفاضة !

***ـــ يهودي مصري من ميت غمر .. مرح، ضاحك، يحمل روحا شابة حتى بعد أن تجاوز السبعين واقترب من الثمانين ومثل كل المصريين يقول النكتة ثم يستغرق مع محدثه في الضحك عليها .. متفائل يقول بأن الانتفاضة هي أهم تطور في تاريخ القضية الفلسطينية.. وإنني أركع بالذات لما يفعله هؤلاء الأطفال!.. وقال: أن الصهيونية أكبر كارثة حلت بتاريخ اليهود، وانها قد شوهت الوعي اليهودي.***

وقال مارسيل إسرائيل، المصري من أصل إيطالي أيضا أنه بقيام إسرائيل لم ينتقل اليهود من الشتات إلى وطن بل انتقلوا من أوطانهم إلى الشتات و.. بقية حوار أجرته "أسرتي" معه على امتداد يوم كامل من أيام القاهرة التي عاد إليها بعد غيبة.

---

• حديث مع مجلة " أسرتي الكويتية " نشر عام ١٩٨٩ ونشر في جريدة البلاغ في نفس السنة.

**• ولد مارسيل إسرائيل في القاهرة عام ١٩١٣، وعاش فيها حتى عام ١٩٥٣ حيث خرج إلى " إيطاليا " وكان قد أسس أول رابطة يهودية في العالم لمعاداة الصهيونية في عام ١٩٤٧ حيث تعرض مع زوجته لاضطهاد البوليس السياسي بإيعاز من الإنجليز أصحاب وعد بلفور.. ولأن مارسيل شرب من مياه نهر النيل، فقد عرف طريقه إلى القاهرة من جديد حيث جرى هذا الحوار معه:**

.............................

**ـ أولا، هل تسمح لنا ـ وللقراء ـ ببطاقة تعارف ؟**

ولدت في القاهرة عام ١٩١٣ لأب يهودي من أصل إيطالي وأم عجمية إيرانية وعشت في شارع طور سيناء بحي السكاكيني بالقاهرة حيث نمت لي صداقات عديدة مع المصريين وتعلمت بمدرسة الفرير بالظاهر وكان التعليم فيها بالفرنسية، ومن تضبطه إدارة المدرسة يتحدث بالعربية يكون نصيبه علقة ساخنة " بالخرازانة "، وسافرت مع أبي وأسرتي إلى ميت غمر وعشنا فترة هناك لأن أبي كان يملك أكبر مصنع فيها لحلج القطن.

**ـ هل تأذن لنا بالتعرف على ظروف هجرة أسرتك إلى مصر وعلى بعض شخصياتها ؟**

جد جدي حضر إلى القاهرة في القرن الماضي بفرمان من السلطان عبد الحميد في أجواء نمت فيها العلاقات المصرية الإيطالية، وأصبح لإيطاليا شيء من النفوذ في مصر وللجاليات الأجنبية امتيازات لا حصر لها .. وسرعان ما أصبح جدي رئيسا الجمالية الإيطالية في مصر، ثم رئيسا ليهود مصر وأنضم كعضو في المجلس النيابي المصري: مجلس شورى القوانين.

أما جدتي التي عاصرتها فكانت امرأة فولانية الإرادة حتى أنها عاشت ٢٥ عاما كاملة بعد أن أصيبت بالعمى في سن السبعين وهي

تصر على تناول الجزر في وجباتها الغذائية، لأن الجزر ـ كما كانت تقول لي ـ يقوي النظر.

والمربية التي تولت تربيتي كان أسمها دانتي نصرة، وكنت أهيم بها حبا، وقد طردتها جدتي لسبب غريب للغاية، فمرة سألتها جارتنا عن الساعة فقالت لها أن الساعة غير مضبوطة، الأمر الذي اعتبرته جدتي إساءة لسمعة الساعة، وبالتالي سمعة العائلة وكانت هذه المربية جارية غير أنها أثرت البقاء معنا بعد تحرير العبيد عام ١٨٨٢، ولم أكن قد ولدت بعد ..

أما أمي فكانت إنسانة طيبة وحنونة من إيران، وكان أسمها منى العجمية وعن طريق عائلة أمي كان لنا أقارب كثيرون من المسلمين..

وتبقى الشخصية الأخيرة في هذا الألبوم، أي أبي، وكان رجلا ثريا يملك مصنعا، كما كان واحدا من كبار المضاربين في البورصة،

**ـ وكيف كانت الأسر المصرية تعاملك كأجنبي وكيهودي؟**

أننا غرباء، ولم نشعر أبدا بأي تمييز في المعاملة بسبب الجنس أو الدين، والشعب المصري يتميز بروح تسامح نادرة وبقدرة فائقة على التواصل الاجتماعي، وهو شعب عشري وودود، وفي حي السكاكيني أرتبطت أسرتي بباقي الأسر المصرية بعلاقات صداقة، وكذلك كان الحال في ميت غمر، ومن ناحيتي فلم أشعر بأي امتياز لكوني من أصل أجنبي على العكس فعندما قبض عليّ في قضية سياسية وميزوا بيني وبين المصريين في المعاملة عن طريق تقديم طعام مخصوص لي أضربت عن الطعام وكتبت الصحف وقتها " أجنبي يضرب عن الطعام رفضا للامتيازات الأجنبية، وكانت هذه الامتيازات ثقيلة بالفعل على المصريين، حتى أن الأجنبي كان يمكنه أن يهدد بدعوة القنصل، إذا ما أختلف مع البائع على سعر الطماطم..

ـ وهل كانت الجاليات الأجنبية كبيرة في هذا الوقت؟

نعم، بالتأكيد حتى إنك لم تكن لترى سوى أجانب إذا سـرت فـي شوارع سليمان وقصر النيل وأحياء القاهرة الراقية، وتحضرنـي هنـا نكتة فمنذ سنوات قابلت صديقا كان عائدا لتوه من مصر بعـد سـنوات فراق طويلة غادر خلالها البلاد، وكانت المقابلة فـي مدينـة ميلانـو بإيطاليا فسألته عن الأحوال في مصر فقال لي "زفـت" وسـألته لمـاذا "زفت"؟ فقال تمشي في الشوارع ما تلاقيش غير مصريين!

ـ ويهوديتك هل قطعت جسور التواصل بينك وبين المصريين؟

لا .. على الإطلاق أنا لم أشعر بأني أجنبي لأنـي كنـت أعـتز بمصريتي وكنت أناضل مع الحركة الوطنية المصرية ضد الاسـتعمار وطرحت شعار تحويل الجاليات الأجنبية من احتياطي للاستعمار إلـى احتياطي للحركة الوطنية، كما لم أشعر بأني يـهودي بسـبب أجـواء التسامح وبسبب شعوري أولا انني انسان، وكنت مشدودا بكل وجدانـي إلى مصر وشعبها فمنذ الطفولة وفي مصانع أبي في ميت غمر هـالني أن المشرفين في المصنع، وكان معظمهم يونـانيين، يرتـدون كمامـة لحماية صدورهم من الغبار بينما الأطفال الذين يجمعهم المقـاول فـي شهور جني القطن لا يرتدون مثل هذه الكمامة ويعملون ١٦ ساعة فـي اليوم ثم ينامون في حجرات ضيقة، ونصف هـؤلاء الأطفـال كـانوا يموتون من السل، ولما سألت أحد المشرفين عن سر هذا التميـيز فـي المعاملة قال لي أنهم عرب .. انهم مسلمون فثرت على هذا المنطـق، ومن هنـا جـاء عشـقي لأدب تولسـتوي الـذي وصـف فيـه آلام الفقـــراء..

**– ولكن الدعاية الصهيونية تركز على فكرة تواصل التراث اليهودي والثقافة اليهودية والأدب اليهودي والحضارة اليهودية عبر التاريخ ؟**

لا يوجد تراث يهودي أو حضارة يهودية بالمعنى الدقيقة للكلمة، كما لا يوجد أدب يهودي، أو فلسفة يهودية أو علم يهودي .. اليهود توزعوا في العالم وأصبحوا جزءا من أدب وثقافات الشعوب التي انتموا إليها .. هل لاكتشافات اينشتين العلمية أي صلة باليهودية؟ هل نفكر في اينشتين كعالم أم كيهودي؟! هل لنظريات فرويد في علم النفس صلة باليهودية؟ هل للروائع الموسيقية للموسيقيين اليهود صلة باليهودية أم بالمكونات الاجتماعية والحضارية للعصر الذي عاشوا فيه؟

إذا كان لنا أن نتحدث عن تراث يهودي وحضارة يهودية، شرط وضع هذه الكلمات بين أقواس، فإن أفضل ما في التراث اليهودي والحضارة اليهودية ارتبط بالتراث العربي والحضارة العربية ..

ابن ميمون العالم والفيلسوف والطبيب اليهودي وكان يكتب بالعربية كان صديقا حميما لابن رشد، وكانت هناك روافد فكرية مشتركة بينهما، لا تعرف التعصب الديني، فكلاهما تأثر بالفلسفة اليونانية، وكلاهما أثر في الحضارة الأوروبية، وحرثا معا ومع غيرهما من علماء العرب التربة أمام عصر النهضة في أوروبا .. اسبنيوزا الذي تقوم كل فلسفته على العقل قرأ لابن رشد وابن ميمون، ولكن اليهود الآن يذهبون إلى مقبرة ابن ميمون الذي دفن في سيبيريا ويتبولون عليها لأنه في رأيهم ملحد وكافر وكل جريرة الرجل أنه حاول أن يعطي تأصيلا عقلانيا للتوراة.

**– عندما استشعرت خطر الصهيونية على يهود مصر، ماذا كان موقفك ؟**

أنا أول يهودي في العالم كون رابطة يهودية لمكافحة الصهيونية، ولقد كونت هذه الرابطة في القاهرة عام ١٩٤٧، وبعدها بأسبوع تشكلت

رابطة مماثلة في العراق وكان هدف الرابطة هو الدعاية بين اليهود لفكرة أن مصالحهم ترتبط بمصالح الشعب المصري، وأن مصر لم تعرف أجواء العداء لليهود التي انتشرت في أوروبا مع صعود هتلر.. وأن الصهيونية ليست الحل، فهي سياسة وفلسفة عنصرية لن تجلب سوى الكوارث لليهود، وكتبت أول بيان يشرح هذه الأفكار وطبعنا منه ٦٠ ألف نسخة، ووزعنا البيان في الجامعة، وعلى أبواب محلات بنزايون وشملا وجاتينيو، وهي محلات يملكها اليهود الأثرياء، ولكن المستخدمين فيها كانوا من اليهود الفقراء، ولكن الحركة الوطنية في مصر لم تنتبه إلى خطورة الدعاية الصهيونية حتى أنه كان يوجد لجنة صهيونية تمارس نشاطها علنا في القاهرة ولم يطارد البوليس السياسي هذه اللجنة، وهذا تاريخ ينبغي أن تعلموه لأبنائكم، البوليس السياسي بإيعاز من الإنجليز كان يطارد الرابطة اليهودية لمعادة الصهيونية، لأن سياسة إنجلترا التي كانت تستعمر مصر قامت على احتضان الدعوة الصهيونية وتشجيع الهجرة اليهودية إلى إسرائيل حتى تكون مخلب قط فيما لو اضطرت إنجلترا للانسحاب. وهكذا غمضت أعين البوليس السياسي عن نشاط اللجنة الصهيونية بينما كانت تجرى مطاردتي أنا وزوجتي وأصدقائي في الشوارع ونحن نوزع بيانات معاداة الصهيونية! وأخيرا لفقوا لنا تهمة إلقاء قنابل على سينما مترو ليتخلصوا من اللجنة برمتها!

**ـ وهل حل إنشاء كيان عنصري صهيوني على أرض فلسطين المحتلة مشكلة اضطهاد اليهود في أوروبا ؟**

دولة إسرائيل لم تحل ولن تحل المشكلة اليهودية .. إسرائيل لعبت أخطر دور في تشويه الوعي اليهودي، وفي تدني المستوى الثقافي والفكري والديني والأخلاقي ليهود العالم، ولذلك فأنا أقول إن الصهيونية

أكبر كارثة في تاريخ يهود العالم فبعد أن كان اليهود جزءا من تاريخ الحركة الديموقراطية في كل بلد، وبعد أن كانوا رافدا من روافد الحركة الوطنية أصبحوا عنصريين يؤيدون العنصرية في كل مكان، ورجعيين يقدمون للرجعية السلاح والخبراء والمستشارين العسكريين .. اليهود لم يكونوا في الشتات وانتقلوا إلى وطنهم، بل كانوا في أوطانهم ثم انتقلوا إلى " الجيتو "..

ولا يمكن أن ينشأ " جيتو " صهيوني إلا باستعمار شعب آخر وبالارتباط بالمصالح الاستعمارية في المنطقة .. ولذلك فأنا أقول أن الصهيونية كارثة أصابت اليهود.

**ـ ويلح عليّ الآن سؤال عن المتاعب العائلية التي يمكن أن تكون قد صادفتك في حياتك بسبب موقفك الإنساني الشجاع ؟**

أنا إنسان قبل أن أكون يهوديا .. أصلي يهودي، ولكن ذلك لم يؤثر على موضوعيتي، يهودي أنا أبا عن جد ولكن أرفض الاستغلال السياسي للدين، وموقفي من الصهيونية سبب لي متاعب عائلية كثيرة خصوصا مع أقاربي من الأثرياء، وكما تعرف فأنا انتمي إلى عائلة ثرية جداً، وأحيانا تصلني مكالمات هاتفية من أقاربي في نيويورك أو باريس تسأل مستنكرة عن مواقفي ضد الصهيونية، على الأخص دوري في تأسيس أول رابطة يهودية في العالم لمكافحة الصهيونية.. ومن ناحيتي أرد بأن الصهيونية أكبر كارثة حلت باليهود، وان الصهيونية حولت اليهود إلى عنصريين، وانني لا أرضى هذا المصير لنفسي ولأهل بيتي ولأقاربي .. أيضا أقول إن الشعب الذي يستعبد شعبا آخر لا يمكن أن يكون حرا .. بعضهم يقطع المكالمة وبعضهم يواصل الحديث، ولكن وكما ترى لازلت حيا أعيش أدافع عن مواقفي، وأبرز الوجه الإنساني ليهودي يرفض اضطهاد شعب آخر .. ويرفض الصهيونية.

**ـ هل تأثر هذا الجو العائلي بعد الانتفاضة ؟**

الجو كله تأثر بعد الانتفاضة، ولكن بدرجات مختلفة فالانتفاضة كانت أهم حدث بالنسبة للقضية الفلسطينية، فقبل الانتفاضة تصورت إسرائيل أن المشكلة انتهت وأن صراعها ضد عمليات التسلل عبر الحدود يقوم بها من تسميهم " بالارهابيين " .. إسرائيل توهمت أن الشعب ساكت وأن عمليات التهويد سوف تنجح في نهاية الأمر، وبعد ٤٠ سنة من الاحتلال شملت الانتفاضة كل شيء في الأرض المحتلة، ولكن أعظم مشهد هو مشهد الأطفال، انهم أقوى الثوار في العالم .. في كل مكان هناك حركات مقاومة معادية للاستعمار والظلم ولكن هذه الحركات تحمل السلاح، **أما هؤلاء الأطفال فهم محرومون من كل شيء سوى الحجارة، ولأكثر من سنة بيكافحوا.. بينضربوا.. بينجرحوا.. بينكسر "عظمهم".. بيتسجنوا.. بيموتوا.. ومع ذلك بيكافحوا.. دي حاجة الواحد لازم يركع أمامها.**

***

## المحتويات



***

# ضد الصهيونية .. في صالح اليهود .. في صالح مصر.

ــ نشأت الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة اليهودية، هذه المشكلة القديمة الأليمة. ومؤسسو الرابطة لا يجهلون المصاعب والعقبات المختلفة التي ستعترض بدون شك طريقهم وهم ماضون في كفاحهم من أجل الطائفة الإسرائيلية المصرية بل من أجل يهود العالم أجمع.

انهم يعلمون جيدا الوسائل الخطيرة والماكرة التي يلجأ إليها الساسة الصهيونيون كما يلجأ إليها أولئك الذين يستعملون الصهيونية كأداة لخدمة سياستهم الاستعمارية في الشرق الأوسط وهم لا يقللون من مدى تغلغل الأوهام والأحلام الخطيرة التي تبثها الدعاية الصهيونية في أذهان اليهود. فمؤسسو الرابطة المميزون منذ بدء كفاحهم ضد الصهيونية في مصر .. بين الضحايا المخدوعين الذين ضللتهم الدعاية الصهيونية، وبين تلك الجماعة من الساسة والمأجورين الذين يجعلون من المشكلة اليهودية وسيلة يستغلونها لتحقيق أغراضهم ومطامعهم الأنانية.

ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية.

**أ ــ المشكلة اليهودية ونواحيها المختلفة**

يشهد رماد ستة ملايين من اليهود، ممن ذهبوا ضحية لتوحش الفاشيين إبان سيطرة النازيين على أوروبا، بوجود مشكلة يهودية وليس

---

• بيان الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية. القاهرة يونيو ١٩٤. مطبعة الشبكشي بالأزهر بمصر.

العداء لليهودية ـ كما يدعي العنصريون ـ ظاهرة يرجع سببها إلى صفات خاصة باليهود. انها ظاهرة ـ شأنها شأن الأزمات الاقتصادية والحروب متولدة من أعماق هيكلنا الاجتماعي وهي دليل مثلهما على عدم توازن وخلل في مجتمعنا. فلأن هناك عيوبا ومظالم في مجتمعنا، ولأن هناك أناسا مضطهدين ومستغلين نرى المسؤولين عن هذا الاستغلال والاضطهاد يحاولون ـ وكثيرا للأسف ما ينجحون ـ في تحويل كفاح ضحاياهم الذي يزداد خطرا عليهم، نحو الذين خصصهم التاريخ للقيام بدور كبش الفداء إلا وهم اليهود. فالعداء لليهودية ـ وهو السلاح المفضل لدى الرجعية ـ ليس موجها ضد اليهود فحسب بل هو موجه أيضاً ضد الجماهير اليهودية، التي يرمي الفاشيون لتحويل كفاحها، أي إبقائها في أغلال العبودية.

فالمشكلة اليهودية لا تهم فقط اليهود الذين يحملهم أعداؤهم جميع عيوب مجتمعنا، بل تهم أيضا الجماهير الشعبية ضحية هذه العيوب. ولهذا نجد الحركات الديموقراطية في جميع أنحاء العالم تحارب العداء لليهودية باعتباره سلاحا في يد أعداء التقدم والحرية.

وهذا التضامن في المصالح وهذا التحالف الواقعي بين الجماهير اليهودية والقوى الديموقراطية العالمية. هو خير ضمان لحل هذه المشكلة القديمة حلا نهائيا حاسما.

فنحن على عكس الصهيونيين الذين يعتبرون العداء لليهودية ظاهرة أبدية لا يمكن تجنبها نثق ثقة تامة بالإنسانية ونثق بقوى التقدم ونتفاءل بالمستقبل الداني اننا نؤمن بقرب إنشاء عالم لا يكون فيه البؤس والحرب والعداء لليهودية وكل فظائع الحاضر المخجلة سوى ذكرى أليمة لماض بغيض.

ان المشكلة اليهودية قد تفرعت اليوم فأصبحت ذات ثلاثة جوانب متمايزة الواحدة عن الأخرى:

توجد أولا مشكلة الأقليات اليهودية التي تعيش في أغلب أنحاء العالم وهذه هي الناحية الرئيسية للمشكلة اليهودية إذ تمس مباشرة الأغلبية الساحقة من اليهود.

وهناك ثانيا، مشكلة يهود فلسطين ويريد الصهيونيون إظهارها على أنها المشكلة اليهودية بأسرها.

وتوجد أخيرا، مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات المشردين في أوروبا الغربية.

هذه هي النواحي الحالية للمشكلة اليهودية التاريخية.

**ب ــ مشكلة الأقليات اليهودية**

شاء التاريخ أن يعيش اليهود متفرقين منذ قرون في جميع القارات وفي معظم أنحاء العالم وأن يكونوا فيها أقليات تعيش جنبا إلى جنب مع أغلبية السكان تشاركهم أعمالهم وآلامهم وآمالهم ولكن ــ وهنا تبدأ المشكلة اليهودية ــ تنتهز العناصر المعادية للديموقراطية في المجتمع وجود عدد من اليهود بين المسئولين عن بؤس الجماهير لإثارة الشعب ضد الأقلية اليهودية بأجمعها، فتشيع الارتباك بين صفوف الجماهير الشعبية وتحول كفاحها التحرير الوطني الاجتماعي إلى كفاح عقيم ضد "الجنس اليهودي".

ويدعي الصهيونيون ان الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو جمع اليهود في فلسطين وإنشاء دولة يهودية على غرار الدول الأخرى. ونحن نعلن اننا لا نعترض من ناحية المبدأ على فكرة تكوين قومية يهودية في جهة ما من العالم، ولكنا نراه أمرا خياليا ومستحيلا من الوجهة العلمية في ظروف العالم الحاضرة ان تتكون قومية تضم جميع اليهود أو أغلبيتهم أو حتى قسما هاما منهم، كما اننا ننكر ان تكون

فلسطين هي البلد الذي سيتوقع ان يتجمع فيه عدد من اليهود يسمح بحل المشكلة اليهودية.

وما نعيبه على الصهيونيين هو انهم يريدون جذب اليهود إلى فلسطين بالرغم من معارضة سكانها من العرب وبمساعدة القوات الاستعمارية الظالمة.

فالصهيونية بدلا من ان تحل المشكلة اليهودية تؤدي بالعكس إلى تعقيدها وزيادتها حدة، فلا يوجد بلد على سطح الأرض يعيش فيه اليهود وسط عداء أغلبية السكان وفي ظل نظام استعماري ظالم كفلسطين.

والصهيونية تساعد الآن على قلب العالم العربي المشهور بصداقته التقليدية نحو اليهود إلى أرض خصبة للحركات المعادية لهم. وليس أدل على فشل الصهيونية في حل القضية اليهودية من أنه قد ذبح ستة ملايين من اليهود بعد نصف قرن من نشاط صهيوني عالمي وبعد ربع قرن من نشاط صهيوني في فلسطين. ان الصهيونية التي ولدت في الأحياء اليهودية القديمة كأمل عاطفي، ليست اليوم إلا أداة بين أيدي القوى الاستعمارية العالمية التي تريد استخدام اليهود لتأكيد سيطرتها على الشرق الأوسط.

اننا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم في آخر الأمر مصالح أجنبية وضارة بهم.

ونحن نعلن ان الطريق الوحيد الذي يجب على اليهود ان يسلكوه هو الاشتراك الصريح المخلص في الحياة القومية للبلد الذي يعيشون فيه. اننا لا نطلب اندماج اليهود الكامل ـ أي ذوبانهم ـ في الأغلبية المحيطة بهم، إذ دلت التجارب على ان ذلك ليس ممكنا في كل مكان ولكننا نؤكد ان اشتراك اليهود الفعلي في الحركة هو الوسيلة الوحيدة

لعرقلة نشاط أعدائهم ولتقريب اليوم الذي توضع فيه عداوة اليهود إلى الأبد في متحف التاريخ.

لا يتقدم العداء لليهودية إلا حيث تتراجع الديموقراطية. فالفاشية هي العدو الرئيسي لليهود وعلى هذا فمن الواجب علينا أن نكافح بكل قوتنا للقضاء على جميع بقايا الفاشية، وعلى جميع المحاولات التي تبذل لاحيائها من جديد، اننا نتهم الصهيونيين بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوهم الأول ـ ألا وهو الفاشية، بل أكثر من هذا نتهم الساسة الصهيونيين بالتعاون المتزايد مع عناصر مشهورة بنزعاتها الفاشية وفي ذلك خيانة لا تغتفر لليهودية، هذه القضية التي لا يمكن فصلها عن قضية الشعوب العامة.

ان سلام الأقليات اليهودية لن يكفل إلا بالتحالف مع القوى الديموقراطية، التي بتحقيقها للحرية والرفاهية لكافة الشعب ستحقق بهذا الحرية والرفاهية لليهود.

## ج ـ المشكلة الفلسطينية

ليس معنى معارضتنا للصهيونية التي تدعي إمكان حل المشكلة اليهودية بجمع اليهود في فلسطين، اننا لا نهتم بالمشكلة الفلسطينية المتصلة بمصير يهود فلسطين الذين بلغ عددهم الآن ثلث سكان تلك البلاد. لا تمنعنا معارضتنا للصهيونية عن التشهير بجميع المحاولات التي ترمي إلى طرد السكان اليهود من فلسطين أو عدم الاعتراف لهم بكامل حقوق المواطنين، ونحن فخورون بما حققه إخواننا في فلسطين في الميدان التعاوني والمادي بل اننا نريد المحافظة على هذه الأعمال وضمان نموها وبهذا فاننا نفضح الصهيونية ونكافحها.

ان الصهيونية تجعل بقاء اليهود في فلسطين في خطر فهي بتعاونها الخطير مع القوى الاستعمارية التي تسيطر على فلسطين أو تحاول ان

تسيطر عيها، وبالتفرقة المصطنعة التي تساعد على إيجادها بين الجماهير اليهودية والعربية، تعمل على جعل اليهود آلة طيعة في أيدي الاستعمار وتضعهم في وجه الحركة التحريرية العربية، وتفصلهم عن حلفائهم الطبيعيين، القوى الديموقراطية العالمية.

ولكن وعي الجماهير اليهودية في فلسطين يزداد باستمرار، كما يزداد إحساسها بخطر السياسة الصهيونية الإجرامية. ان النظام البوليس الاستبدادي الذي يكبل اليوم فلسطين التي حولت إلى قلعة عسكرية يبين بوضوح الأغراض الأنانية للاستعمار الذي لا يعتبر فلسطين إلا كقاعدة للسيطرة على الشرق الأوسط وللدفاع عن مصالح احتكارات البترول. ان المشكلة الفلسطينية هي أساسا مشكلة تحرير فلسطين من الاضطهاد والاستعمار والطريق الوحيد الذي يجب أن يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم، لتحرير فلسطين من نير الاستعمار. ان فلسطين مستقلة ديموقراطية هي الوحيدة التي تستطيع ان تضمن للسكان اليهود حياة رغدة حرة ومثمرة.

اما عن الأشكال الدستورية التي ستتخذها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى ان هذه المسألة يجب أن تترك للفلسطينيين انفسهم عربا ويهودا ليحلوها كيفما شاءوا.

ويعارض الساسة الصهيونيون في فزع أمر استقلال فلسطين فالمشكلة الفلسطينية في نظرهم ليست سوى مشكلة الهجرة اليهودية وهذه النظرة لا تخدم سوى الاستعمار لانها تستر سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية ولانها تتيح له أن يلعب دور " الحكم " باشعال نار الخلاف بين العرب واليهود.

اننا نرفض تأييد سياسة للهجرة تعارضها أغلبية سكان فلسطين وتؤدي عمليا إلى نتائج تتعارض مع الأغراض الإنسانية المزعومة اننا لسنا في حاجة إلى هجرة تؤدي بإخواننا اليهود إلى أن يعيشوا في جو

حرب أهلية في فلسطين، ان لم تؤد بـــهم إلـى معسكرات قـبرص المشؤومة وراء الأسلاك الشائكة. ولكننا واثقون ان فلســطين الحـرة المستقلة ستشترك عن طيب خاطر مع الدول الديموقراطية الأخرى فـي إيواء اليهود المشردين.

اننا نتهم الإرهاب اليهودي في فلسطين بأنه حركة فاشية موجهـة أساساً ضد الجماهير اليهودية ولا تخدم في الواقع سـوى المسـتعمرين الذين وجدوا في الحركات الإرهابية تحت ستار المحافظة على الأمـن حجة قانونية في الظاهر لتحويل فلسطين إلى معسكر مسلح في خدمـة مشروعاتهم العدوانية، وتبريرا أدبيا في الظاهر لإخضاع السكان إلـى نظام اضطهاد واستبداد دائم.

اننا نحمل الصهيونيين مسئولية الأفكار والوسـائل الفاشـية بيـن اليهود. إذ ليست الحركات الإرهابية سوى نتيجـة منطقيـة للسياسـة الصهيونية المغامرة.

ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحريرية العربية فـي سـبيل فلسطين حرة مستقلة ديموقراطية هو طريق الخلاص الوحيد للجمـاهير اليهودية في فلسطين.

**د ــ مشكلة المشردين**

اننا واثقون ان كل إنسان جدير بإنسانيته مهما كان دينـه ومـهما كانت جنسيته، لا يمكن إلا أن يشعر باشمئزاز رهيـب أمـام الجرائـم الفظيعة التي أرتكبها المجرمون الفاشيون في معسكرات الموت كما أنـه ولابد يحيي ذكرى هؤلاء البؤساء الذين ذهبوا ضحية البربرية الهتلرية، ولكن مئات الآلاف ممن نجوا من هذه المعسكـرات لا يزالـون إلـى الآن ــ بعد أكثر من سنتين من انتـهاء الحـرب ــ مسـجونين فـي معسكرات المهاجرين في أوربا الغربية.

اننا نعيب على الصهيونيين عدم اهتمامهم بهؤلاء اليهود المشـردين إلا في حدود مصالحهم الضيقة الأنانية، إذ يرفض الصهيونيون التفكير في أي حل لهؤلاء التعساء سوى الذهاب إلى فلسطين، وبذلك يطيلـون عذابهم ليتمكنوا من استغلاله في حدود مصالح السياسة الصهيونية.

اننا نعتبر مشكلة إخواننا في معسكرات المشردين كمشكلة إنسـانية تهم الضمير العالمي. ولذلك نوجه نداءنا إلى جميع أحرار العالم ليجدوا حلا لهذه المشكلة الأليمة.

ونحن نرى أنه من الواجب ضمان إمكانية الرجـوع فـي الحال لليهود المشردين في معسكرات ألمانيا والنمسا إلى البلاد التي طردتـهم منها الفاشية، ويزيد هذا الحل اليوم سهولة ان أغلبية المشردين كـانوا يعيشون في بلاد شرق أوربا المحررة التي تعاقب الآن بعقوبات صارمة قد تذهب إلى حد الإعدام ــ جريمة العداء لليهود. أما الذيـن يريـدون لأسباب نفسانية بدء حياة جديدة بعيدا عن ذكريات الماضي المحزنة فاننا نرى انه من واجب جميع البلاد ولا سيما الواسعة منها استقبال هـؤلاء المشردين ومساعدتهم على التوطن فيها.

**هـ ــ الطائفة اليهودية في مصر**

عاشت الطائفة اليهودية المصرية العربية في القدم منذ قرون طويلة جنبا إلى جنب في مودة وإخاء مع بقية سكان مصر. ويكفي ان نذكـر أسماء فيلون الاسكندري وسعد بن يوسف الفيومي وموسى بن ميمـون كدليل على حرية الفكر اليهودي في مصر.

ولكن منذ بضع سنوات وجد يهود مصر أنفسهم تحت ضغط وتأثير دعاية مركزة صهيونية واسعة النطاق تحاول أن تبـث فيـهم أفكـارا عنصرية شوفينينة تحول كل اهتمامهم ونشاطهم نحو تكوين ما يسـمونه دولة يهودية في فلسطين. ان الأزمة الاقتصادية التي تسير الآن أخـذت

تمس اليهود بازدياد، إذ أن أغلبيتهم ينتمون إلى الطبقات المتوسطة فصاحب الحرفة اليهودية والتاجر الصغير والمستخدم الذين يتقاسمون شظف العيش كثيرا ما يقعون فريسة للدعاية الصهيونية التي تجعلهم يحلمون بالهرب من حياتهم الصعبة ليعيشوا في فلسطين "كفلاحين للأرض في الهواء الطلق وبدون أن يهتموا بقوت الغد" ويضاف إلى أكاذيب الدعاية الصهيونية ضغط بعض أصحاب الأعمال الصهيونيين أو المحبذين للصهيونية.

اننا نعادي في صراحة وسائل الدعاية الصهيونية في مصر التي ترمي إلى عزل الطائفة اليهودية عن الشعب المصري عزلا خطيرا. واننا لمصممون بكل قوتنا على مكافحة عملاء الصهيونية في مصر، الذين يخونون المصالح الحقيقية لليهود المصريين لخدمة مصالح متعارضة كل التعارض مع مصالح اليهود ومصالح الشعب المصري بأجمعه. اننا نراه واجبا مقدسا على يهود مصر ان يعلنوا حربا لا هوادة فيها ولا رحمة على الأفكار الصهيونية وعلى من يقومون بالدعاية لها. يجب أن نخلص الشباب اليهودي في مصر من سموم الصهيونية.

ونحن نعلن ان السبيل الوحيد ليهود مصر هو الانضمام إلى الحركة الوطنية المصرية والتضامن التام معها في سبيل تحقيق جميع أهدافها.

إذ لا تختلف مصالح الجماهير اليهودية بتاتا عن مصالح الشعب المصري العامة. ولا يمكن أن يعيش يهود مصر متساوين مساواة أخوية مع مجموع السكان إلا إذا كانت مصر مستقلة حرة ديموقراطية.

والرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية تعلم انها بكفاحها ضد النفوذ الصهيوني الضار انما تخدم مصالح الطائفة اليهودية كما انها تخدم مصالح الوطن المصري.

### و- أغراض الرابطة

ان أغراض الرابطة تتفق وخطتها السليمة لحل المشكلة اليهودية في نواحيها المختلفة فلأن الصهيونية ترمي إلى زج يهود العالم كله إلى مأزق حرج أو لانها تعرض للخطر مصير يهود فلسطين، كما انها تستغل لأغراض أنانية ما يعانيه المهاجرون من بؤس، ولانها تحاول أخيرا عزل الطائفة اليهودية المصرية عزلا خطيرا عن مجموع الشعب المصري، لهذا تعتبر الرابطة ان الصهيونية هي أخطر حركة ظهرت في تاريخ اليهود ان الصهيونية عقبة في طريق حل المشكلة اليهودية.

والكفاح ضد الصهيونية واجب مقدس على كل يهودي ويهودية، خاصة وان تقدم القوات الديموقراطية في العالم يفتح أمامنا إمكانيات حل قريب للمشكلة اليهودية العتيقة.

وفي الوقت الذي تكافح فيه الرابطة ضد الصهيونية تناضل من أجل جميع العناصر الإيجابية التي تسهل من حل المشكلة اليهودية. وأغراض الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية هي:

١) الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب.

٢) الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديموقراطية.

٣) العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين.

٤) العمل على حل مشكلة اليهود المشردين.

وقد اقتصرت الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية على قبول اليهود دون غيرهم كأعضاء عاملين فيها، لانها تعتبر نفسها حركة يهودية تعمل أساسا بين الجماهير اليهودية، وبمناهضتها للصهيونية

تخدم المصالح الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية وبالرغم من استقلالها عن جميع الأحزاب السياسية، فالرابطة تعلن استعدادها للتعاون مع جميع الذين يؤيدونها بإخلاص في كفاحها لتحقيق أغراضها. وبمقدار نجاح الرابطة في كفاحها ضد الصهيونية وبمقدار نجاحها في جذب الجماهير اليهودية نحو الحركة الوطنية الشعبية المصرية، تعلن الرابطة انها في خدمة مصر ومصلحتها وهي فخورة بذلك والرابطة واثقة في عدالة دعواها، واثقة من نتيجة الكفاح الذي تخوضه وواثقة من تأييد الرأي العام الديموقراطي لها ـ تشن نضالها ضد الصهيونية أداة الاستعمار وعدوة اليهود تحت شعار:

ضد الصهيونية! .. في صالح اليهود! .. في صالح مصر!

**الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية**
**القاهرة يونيو ١٩٤٧**

# اليسار المصري
# اللحظة الراهنة والآفاق القادمة(*)

مارسيل شيرزي

## مقابلة مع خالد محيي الدين رئيس حزب التجمع

***خالد محيي الدين شخصية بارزة في تاريخ مصر الحديث، فهو أحد مؤسسي حركة الضباط الأحرار، وعضو مؤثر في مجلس قيادة الثورة من بين تسعة أعضاء، كان يمثل في المجلس الجناح اليساري الشيوعي في مواجهة الجناح المعتدل الذي قاده جمال عبد الناصر، وقد كان خالد من أنشط وأجرأ الضباط الذين صنعوا ثورة يوليو٥٢، التي وضعت نهاية للملكية الفاسدة وعلى رأسها الملك فاروق، وقضت على الإقطاع في الريف المصري، وكان نمطا شبيها بعلاقات العصور الوسطى. كما أنهت الاحتلال العسكري البريطاني لمصر.***

وتعتبر هذه الثورة بغض النظر عن بعض السلبيات، والتي لا يتحمل خالد مسئوليتها، أهم الأحداث التي مرت بها مصر في تاريخها الحديث، وبعد نجاح الثورة، دخل خالد في صراع مع عبد الناصر من أجل التخلي عن السلطة وإقامة نظام ديموقراطي برلماني يقبل التعددية الحزبية، وكان ناصر يرفض تخلي الجيش عن الحكم وبعد أن تمكن ناصر من ترسيخ سلطته، قام بإبعاد خالد إلى سويسرا، وبعد بضعة سنوات عاد خالد إلى مصر في الوقت الذي بدأ فيه ناصر ينتقل باعتدال إلى معسكر اليسار، وقام خالد بعد عودته بإدارة جريدة يومية ومؤسسة

* حديث نشره مارسيل شيرازي في المجلة الإيطالية "كالنداري ديل بوبولو" في سبتمبر ١٩٩٥.

صحفية، وتم اختياره رئيسا لحركة السلام المصرية ثم أصبح نائبا لرئيس حركة السلام العالمية.

وأسس في ١٠ إبريل ١٩٧٦ مع مجلس يتكون من ١٣٣ شخصية يسارية، حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، واختير بالإجماع سكرتيرا للحزب. وترك هذه المهمة في ٩٢ بعد اختياره بالإجماع أيضا رئيسا لحزب، ويحتل الحزب في البرلمان خمسة مقاعد. ولكن خالد يقود المعارضة داخل البرلمان والتي تضم إلى جانب الأحزاب الأخرى، حوالي ١٥ نائبا من المستقلين القريبين في مواقفهم من الحزب.

وقد أصدر مؤخرا كتابا عنوانه "والآن أتكلم"، يتناول فيه ثورة يوليو، وقد وزع الكتاب بأعداد كبيرة، وكانت فصوله تنشر في جريدة الحزب الأسبوعية، وفي جريدة الأهرام التي تعتبر أهم الجرائد العربية وأكثرها توزيعا.

***

***ما هو موقف حزبكم من الرئيس مبارك ..؟***

لم نوافق على انتخاب مبارك رئيساً للجمهورية ولا على إعادة انتخابه للمرة الثانية، فنحن نعارض سياسة حكومته، على الصعيدين الاقتصادي والسياسي معا، فالخطة الاقتصادية للحكومة تخضع لتوجيهات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وتتعارض مع مصالح القطاعات الشعبية الواسعة، وتعمل لخدمة مصالح الرأسمالية الكبيرة وجماعات النفوذ المالي، والمضاربين والمستغلين والكومبرادورز، وبذلك وصل بؤس الطبقات المحرومة إلى درجة مخيفة، فدخل الفرد في مصر يعادل واحد على خمسين من دخل الفرد في فرنسا. ومئات الآلاف من أبناء العامة يعيشون في المقابر القديمة والبطالة مرض مزمن، سواء في صفوف العمال أو المثقفين، بينما ينتشر الفساد في جميع المستويات.

وفي الوقت الذي تنادي فيه الحكومة بتحرير الاقتصاد، فإنها تعارض بشدة الحرية السياسية والديموقراطية في تطبيقها الغربي. نحن نعيش في حالة من الديموقراطية المحدودة، فحتى التظاهر السلمي أمر ممنوع، والتعذيب لا زال منهجاً متبعاً في السجون، ووسائل الإعلام تحتكرها السلطة، والانتخابات السياسية طابعها التدخل السافر من الحكومة وبدون اتباع أي نوع من أشكال الممارسة الديموقراطية.

أما على الصعيد الخارجي، فإن استقلال القرار أصبح يواجه صعوبات بالغة نتيجة للتبعية الاقتصادية والخضوع للضغوط الخارجية.

***ماهو حكمكم على ظاهرة الأصولية الإسلامية ..؟***

التطرف الديني، هو الخطر الأكبر الذي يهدد مستقبل بلدنا، والإرهاب ظاهرة غريبة علينا الآن في مصر، وقد خلق واقعا جديدا ومعطيات لا مجال لانكارها، فهو يستغل مشاعر الاحتجاج والغضب من البؤس المنتشر بين الناس، وحالة البطالة والفساد المستشري. والدولة لا تواجهه إلا بالوسائل العسكرية والبوليسية، ونحن نعتقد ان مواجهة ظاهرة الإرهاب يتطلب إجراء عملية إصلاح اقتصادي شامل بهدف حل المشاكل الجوهرية والملحة للجماهير الشعبية.

الأصوليون لا يهتمون بمشاكل الشعب. ولا بعلاقتنا بصندوق النقد الدولي (الذي يملي علينا الخطوات المطلوبة) ولا بظاهرة البطالة، ولم يهتموا حتى بقانون الإيجار سواء في الأراضي الزراعية أو في المساكن في المدن. وإنما على العكس فهم يبذلون الجهود لتحطيم البنية الاقتصادية، عن طريق ضرب السياحة. والشعار الذي يطرحه الأصوليون هو " الله وجهتنا، والقرآن دستورنا، والرسول قائدنا، والشهادة في سبيل الله هي أعز أمالنا ". ولكن الحركة الأصولية ليست تنظيمات فقط، وإنما هي إيديولوجيا، والسيد وزير الداخلية، يواجه (بوسائل غالبا ما نتحفظ تجاهها) التنظيمات فقط، أما الجانب

الأيديولوجي من الظاهرة، فهو يحتاج إلى إصلاح في البنية الثقافية والتعليمية، لابد ألا نسمح بأن يستخدم الدين لخدمة الأغراض السياسية وعلى المدارس ووسائل الإعلام ان تحتشد لمقاومة هذه الايديولوجيا الرجعية المظلمة.

الإصلاح الاقتصادي، الحرب ضد الفساد، التربية الديموقراطية للشعب، هذه هي المسارات التي يجب أن تتبع للقضاء على ظاهرة التطرف والإرهاب الديني.

**ما هو رأيكم في الاتفاق الفلسطيني الإسرائيلي .. ؟**

نوافق على هذا الاتفاق، بالرغم مما فيه من ثغرات وقيود، لأننا مع حل سلمي للصراع العربي الإسرائيلي، ولأنه يتضمن اعتراف اسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية، ويعطيها الحق كممثل شرعي في التفاوض باسم الشعب الفلسطيني، لقد جاء هذا الاتفاق ثمرة لكفاح بطولي طويل للمنظمة التي كنا نعترف بها دائما بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، فإذا تم الاعتراف بالمنظمة وتوصلت إلى اتفاق، هل يمكننا أن نتراجع عن تأيدنا لهم .. ؟

نحن ندرك جيدا ان كل البلاد العربية، في تاريخها الطويل قد حصلت على استقلالها عبر مراحل وخطوات عديدة، ونحن هنا في مصر لم نستكمل بعد استقلالنا التام، لان هناك شروطا مازالت تحكم تواجدنا العسكري في سيناء. وتجبرنا على توفير حصة من بترولنا لإسرائيل. ونحن نعلم ان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة سيتطلب نضالا طويلا وشاقا، ويجب علينا كشعوب عربية دعم هذا النضال. وإذا كانت إسرائيل تراوح وتراوغ وتختلق الصعوبات كي تتهرب من التزاماتها، فان هذا يجعلنا نصر على دعم تنفيذ بنود هذا الاتفاق، لاننا ندرك ان إسرائيل تماطل لانها تعلم انه سيؤدي حتما إلى قيام الدول الفلسطينية.

أما فيما يتعلق بتطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل، فاننا لا نوافق على ذلك إلا بعد ان تجلو إسرائيل بالكامل على الأراضي المحتلة، وتقام الدولة الفلسطينية.

**والآن، هل ظلت الاشتراكية هدفا لكم ..؟**

سيظل هدفنا الاستراتيجي هو تجاوز الرأسمالية وبناء نظام اشتراكي، ولكن علينا أن نعترف بأن هذا الهدف قد أصبح الآن أكثر ابتعادا ــ حتى وان ظل حاضرا في عقولنا ــ بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية في شرق أوروبا، وأضيف إلى ذلك اننا لم نصبح بعد حزبا جماهيريا، ولكن في بلدنا ليس هناك أي حزب جماهيري، ونحن نناضل وسط صعوبات بالغة كي نصبح حزبا جماهيريا يعبر عن مصالح القطاعات العريضة ومن أجل تحقيق الديموقراطية.

**ما هي علاقتكم بالشيوعيين ..؟**

هناك اختلافات أيديولوجية واجتماعية بين برنامجنا وبرنامج الحزب الشيوعي المصري، والجماعات الشيوعية الأخرى، وكلها تجمعات شبه سرية، وهذا أمر طبيعي، فنحن لا نقول باننا الحزب القائد للطبقة العاملة، ولكن هذه الاختلافات لا تمنعنا من الاتفاق في وجهة النظر والتعاون البناء إزاء مواقف محددة.

وتابعت الحوار حول اليسار المصري بعد ذلك، بلقاء مسئولين عن قطاعات مختلفة من الحزب، وكلهم أعضاء في السكرتارية المركزية، وبدأت بلقاء مع سكرتير عام الحزب وهو الدكتور رفعت السعيد، هو رجل يتميز بسيرة ذاتية ثرية تولد الغيرة لدي أي سياسي، فهو كاتب، وصحفي، ومحاضر بالجامعة، ومؤرخ للحركة الاشتراكية وللحركة الوطنية في مصر، في ثلاثين كتاب من تأليفه، وقد بدأ نشاطه السياسي

منذ سن مبكر وهو في الخامسة عشر من عمره، وبالإضافة إلى مركزه الحزبي، هو أيضا سكرتير اللجنة المصرية للوحدة الوطنية (بين المسلمين والأقباط)، وقضى عددا كبيرا من السنين في السجون والمعتقلات لنشاطه كشيوعي، وهو الآن مهدد بالقتل بسبب صراعه الصلب، بلا مهادنة، ضد المتطرفين الإسلاميين، وموضوع تحت حراسة مكثفة من البوليس. وعندما استقبلني رفعت السعيد، فتح أحد أدراج مكتبه، وأخرج لي مسدساً لا يفارقه أبداً، وبدأت حواري معه حول المسائل التنظيمية فقال:

يضم الحزب ٤٥٠٠٠ عضوا عاملا، موزعين على دوائر تغطي كافة الأراضي المصرية، وليس للحزب قاعدة أيديولوجية، وينضم العضو للحزب بناء على قبوله لبرنامج الحزب السياسي، (وهو برنامج يساري بطبيعة الحال) وإقراره باحترام اللائحة التنظيمية وعدم انضمامه إلى أي تنظيم سياسي آخر غير الحزب. وعلى الرغم من تنوع اتجاهات الأعضاء (ماركسيون، ناصريون، اشتراكيون ديموقراطيون، ليبراليون، إسلاميون، تقدميون ..) فاننا لا نعتبر جبهة، وانما حزب ديموقراطي كبير، تمثل فيه كافة الاتجاهات على كافة المستويات.

ولا يحتل المسئولون والقادة في الحزب مواقع المسئولية لفترة تتجاوز ثمان سنوات، (وهذا ما يميز حزبنا عن سائر الأحزاب المصرية الأخرى، والتي يمكن أن يظل المسئول بها في موقعه مدى الحياة)، وعلى الرغم من قلة عدد اليهود المقيمين حالياً في مصر، إلا أن المؤتمر الأخير للحزب، أسفر عن انتخاب عضو يهودي في اللجنة المركزية.

ويصدر الحزب جريد أسبوعية توزع بمعدلات كبيرة، وهي جريدة " الأهالي"، كما يصدر مجلتين كل شهر " اليسار" وهي مجلة ماركسية أساسا، و" أدب ونقد "، التي تهتم بقضايا الأدب والثقافة، وهما من أكثر

المجلات التزاما في العالم العربي، كما يمتلك الحزب دارا للنشر تقوم بنشر الكتب بشكل منتظم حول مختلف القضايا المطروحة.

لقد طارد الرئيس السابق أنور السادات حزبنا بلا هوادة، فصادر الجريدة ثمان مرات، واعتقل أعدادا كبيرة من أبناء الحزب، ولكن هذا لم يجعلنا نتردد لحظة واحدة في استنكار اغتياله سنة ١٩٨١ على يد جماعات التطرف الإسلامي. والتي لا يتوقف خطرها عند تهديد تجربتنا الديموقراطية الهشة فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد وأكثر خطرا، ألا وهو تهديد وحدتنا الوطنية ذاتها، عن طريق تصعيد عمليات العنف ضد الأقباط المصريين".

التقيت بعد ذلك بالسيد عبد الحميد الشيخ، هو مسئول قضايا العمال والنقابات، ويرأس واحدة من أهم النقابات العمالية منذ ما يزيد عن عشرين سنة. وتحدث عن مشاكل العمال فقال:

في الانتخابات النقابية الأخيرة، حصل أعضاء حزب التجمع والشيوعيون على ٢٨% من الأصوات، وذلك على الرغم من المعوقات الكثيرة التي واجهتهم، غياب الديموقراطية، والمتمثل في إشراف وزارة العمل والتشريعات المعادية للحركة العمالية، وشطب أسماء بعض المرشحين من القوائم، والضغوط البوليسية، والتهديد المستمر من أرباب العمل.

تضرب البطالة ٢٥% من القوة العاملة في مصر، وقد فرض صندوق النقد الدولي علينا تخفيض الرسوم الجمركية على المنتجات المستوردة، مما أدى إلى إفلاس ألوف من مواقف الصناعة الوطنية، كما ان خصخصة القطاع العام، تتقدم بإيقاع لا يعود بالنفع إلا على أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة وحدهم، وعلى الرغم من منع العمال من حقهم في الإضراب منعا مطلقا ــ والبوليس جاهز دائما بالعنف وبالرصاص في بعض الأحيان، لقمع أية محاولة للإضراب ــ إلا أنه من وقت لآخر

يقوم بعض العمال من يأسهم بتنظيم إضرابات ــ وهي إضرابات جزئية للأسف ــ ونتائجها غير مأمونة. العامل في مصر غير آمن على مستقبله فالأزمة الاقتصادية الطاحنة تحاصره من جهة وهو مهدد بالفصل من العمل من الجهة الأخرى. ويقع في قبضة هذا الوضع الرأسمالي الشرس بدون آفاق للحركة، ومجمل الحركة العمالية في مصر الآن في أزمة.

حزبنا هو الحزب الوحيد الذي يناضل لصالح العمال، وقد قدم للبرلمان مشروعا لقوانين لمواجهة البطالة، وآخر لإعادة تقييم الأجور وتحريكها، وقد تم رفض المشروعين، وعلى الطبقة العاملة أن تخوض نضالا طويلا وشاقا. ونحن نملك تاريخا عريضا من الكفاح والمقاومة، ومنذ بضع سنوات نجح أحد النقابيين في تنظيم إضراب للعمال بمصنع السكر بالحوامدية بالقرب من القاهرة، وكان يقف على بوابة المصنع ليدعو العمال للانضمام إلى الإضراب، مستخدما هذا النداء " اللي عاوز يربي عياله وبس، يبعد عني".

التقيت بعد ذلك مع سكرتير عام اتحاد الشباب التقدمي، عادل الضوي وسألته أن يقدم لنا بعض المعلومات عن هذا الاتحاد فقال:

نحن نرتبط بحزب التجمع، وبرنامجنا هو في الأساس نفس برنامج الحزب، ولكننا مستقلون تنظيميا عنه، ويضم هذا الاتحاد ٢٥٠٠ عضو، ولهم مطلق الحرية في الانضمام للحزب أو البقاء خارجه، ونحن التنظيم الشبابي الوحيد الذي يقوده رئيس منتخب بطريقة ديموقراطية، وليس معينا من قبل الحكومة كما يحدث في الحزب الوطني (حزب الحكومة)، ونحن نتعامل مع كافة مشاكل الشباب سواء في جوانبها الاقتصادية أو الثقافية. ونواجه في ذلك ظروفا صعبة، ولا يقتصر هذا على النضال لإلغاء القوانين الاستثنائية التي شرعتها الحكومة (ومنها على سبيل المثال، حظر أي نشاط سياسي داخل المدارس والجامعات)، وإنما يمتد

أيضا لمجالات أخرى مثل التكلفة الباهظة والمتزايدة للتعليم، وحالة البطالة المرعبة التي يتعرض لها الشباب وتدفع الكثير منهم للهجرة، ونواجه التردي في الأوضاع الثقافية في مجال السينما والإعلام والكتب والمجلات (هناك بالطبع بعض الاستثناءات الشجاعة)، وعلينا مع ذلك أن نناضل في وجه قوى الظلام والتخلف والتطرف التي نمت في مجتمعنا والتي تهدد ثقافتنا ووحدتنا الوطنية.

الشيخ مصطفى محمد عاصي، هو مسئول الشئون الدينية، وقد شارك خالد محيي الدين في عملية تأسيس حزب التجمع، وفي لقائي معه قال ما يلي:

نحن نشكل داخل حزب التجمع تيار المسلمين التقدميين الليبراليين، المخلصين للتعاليم الأصلية للقرآن، ونحن نرفض التطرف الأصولي، الذي يستخدم الدين لنشر الظلام والرجعية. كما نرفض ذراع الإرهاب المجرم التي تمتد منه فتشوه وجهه وهي ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي عار عليه، ونحن على صلة بتراثنا العربي العقلاني، والتي أهدت للإنسانية كوكبة من العباقرة، كابن رشد وابن سينا وغيرهم.

نحن نقف في الحزب لنناضل بجانب الماركسيين والليبراليين والناصريين والقوى الوطنية الأخرى، على أرضية الاتفاق حول برنامج عام، هدفه الدفاع عن مصالح الشعب المصري، وعن الديموقراطية وحرية العقيدة، وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية والتقدم.

والتقيت في نهاية هذه الجولات، بالأستاذة: فريدة النقاش، وهي التي مثلت مصر في الملتقى الذي عقد في ميلانو حول الأبيض المتوسط، ونظمته الرابطة الثقافية، النقطة الحمراء في بداية عام ١٩٩٤، وفريدة النقاش كاتبة وصحفية وناقدة ولها نشاط سياسي فعال، وهي رئيسة تحرير مجلة أدب ونقد التي يصدرها الحزب، وتوزع في العالم العربي، كما انها السكرتير العام لاتحاد النساء التقدمي، والذي له نفس أوضاع

## مقدمة الناشر

# (أوراق مناضل إيطالي في مصر)

---

يقدم مارسيل شيريزي المناضل الإيطالي المصري الأصل ذكريات عن حياته ونضاله الطويل في مصر، وقد بلغ مارسيل التاسعة والثمانين من عمره وهو الآن يعيش في إيطاليا مع أسرته ويعيش هناك ويناضل في صفوف الحزب الشيوعي الإيطالي استمرارا لنضاله الذي بدأه منذ شبابه.

وقد ولد في القاهرة عام ١٩١٣ من أب إيطالي الجنسية يهودي الديانة. وقد كان للأقليات الأجنبية واليهود وجود كبير في المجتمع المصري قبل الثورة عام ١٩٥٢. وكانوا يمارسون مختلف الأنشطة التي يمارسها المصريون. ولم يكن المصريون يشعرون تجاههم بأي مشاعر معادية. بل كانوا يتعاملون معهم تعاملا إنسانيا وإن كانوا يتمتعون بامتيازات، لهم محاكمهم القنصلية والمختلطة والتي ناضل المصريون من أجل إلغائها وتحقق ذلك عام ٣٧ بمقتضى اتفاق مونترو. ولكن ورغم ذلك، فسواء قبل إلغاء الامتيازات أو بعدها فقد كان الأجانب والأقلية اليهودية سواء أكانوا مصريين أو غير مصريين يمارسون نشاطهم داخل المجتمع المصري دون تمييز. وكان لهم دور هام ليس في الاقتصاد المصري فحسب بل وفي الحركة الاجتماعية مثل النقابات والصحافة والحركة العمالية والحركة السياسية.

اتحاد الشباب، أي برنامج يؤسس بالاتساق مع برنامج الحـــزب، مـــع الاحتفاظ باستقلالية التنظيم، وقد سألتها ان توضح لي بعض النقاط حول هذا الاتحاد الذي ترأسه وعن أحوال المرأة في مصر فقالت:

نحن نختلف عن الحركات النسائية الأخرى، التي تعتقد انها تدافــع عن مصالح المرأة بالصراع ضد الرجل، نحن نعتقد أن الدفـــاع عـــن مصالح المرأة، هو جزء أصيل من أشكال الكفاح الأخرى على الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي لتغيير شكل المجتمع ككل، ولكن هنـــاك بلا جدال الجانب الذي يخص المرأة والذي يتوازى مع المسيرة العامـــة لهذا النضال، فالمرأة تناضل من أجل تغيير وضعها وصورتها داخـــل المجتمع.

لقد حصلت المرأة المصرية في عام ١٩٢٩ وعبر كفـــاح مريـــر خاضته الجمعيات والاتحادات النسائية، وعلى بعض الحقوق التي كـانت محرومة منها قبل ذلك التاريخ، كما تمكنت إنجاز خطوة أخرى للأمـــام عام ١٩٧٩، في مجال وضعها المدني (الزواج، الطـــلاق، الانفصـــال ..الخ).

نحن نتعاون مع الاتحادات والجمعيات النســائية الأخـــرى، حتـــى تحصل المرأة في مصر على حقها الكامل في المساواة بـــالرجل فـــي العمل والتعليم والنشاط السياســـي، وفـــي التمتـــع بالحريـــات العامـــة والشخصية. وهناك برنامج موحد يرتبط بهذه الأهداف ونتفق عليه وهو:

١ــ التوصل إلى تشريعات للعمل تلغي كافة أشكال التميـــيز بيـــن الرجل والمرأة.

٢ــ التوصل إلى تعديل القانون المدني، ويجعل الطلاق أمراً أقـــل سهولة مما هو عليه، (وهو للآن من حق الزوج وحده).

٣ـ التوصل إلى تعديل التشريعات الخاصة بالجنسية، فابن الأم المصرية من أب أجنبي، لا يعترف به مواطنا مصريا.

٤ـ التوصل لقانون حول المؤسسات والهيئات والاتحادات النسائية لإلغاء ترسانة القيود والصعوبات التي تحد من حركة هذه التنظيمات.

وفي يومنا هذا تواجه المرأة المصرية للأسف ظروف الأزمة الاقتصادية العامة، والتي تنعكس على أوضاعها في شكل تزايد وكثافة لنسبة البطالة بين النساء.

ولكن الخطر الأكبر الذي يواجه حركة المرأة المصرية الآن هو التطرف الديني، فهو يشكل تهديدا لكافة المكاسب التي انتزعتها المرأة المصرية بكفاحها طيلة هذا القرن، ولن تسمح المرأة المصرية أبداً لهؤلاء المجرمين المتعصبين بأن يعيدونها إلى أوضاع العبودية التي كانت سائدة في العصور الوسطى.

وقد أعرب كل من التقيت بهم من التقدميين المصريين وفي مقدمتهم خالد محيي الدين عن أملهم في مد جسور للتعاون للبناء بين حزبهم وكافة التقدميين والشيوعيين الإيطاليين من أجل الديموقراطية والتقدم والسلام.

***

## ردا على محمد سيد أحمد

## [ الحركة الشيوعية المصرية ونظرية المرحلتين! ]

مارسيل شيريزي

**قرأت في جريدة الأهالي مقالاً للصديق محمد سيد أحمد بعنوان "الحركة الشيوعية المصرية والوكالة اليهودية يعبر فيها عن نظرية مفادها أن الحركة الشيوعية المصرية قد شهدت مرحلة يهودية ثم مرحلة قومية ..**

إنني أعرف محمد سيد أحمد منذ عشرات السنين وقابلته وتناقشت معه عدة مرات سواء في مصر أو في إيطاليا وفرنسا وقد اعتاد دائماً أن يرسل إليّ كل مؤلفاته بإهداء. أذكر ذلك لكي أعطي وزناً أكبر لانتقاداتي وتصحيحاتي لنظرية المرحلتين. فليس صحيحا أن الحركة الشيوعية المصرية تكونت كما يقول في بدايات الأربعينيات في ظرف كان وصل فيه روميل على أبواب الإسكندرية. وان مؤسسيها كانوا كلهم يهودا وانها لم تكن لها أية علاقة مع العمال. كان يكفي محمد سيد أحمد أن يقرأ حوار أحمد إسماعيل معي – المنشور في مجلة أدب ونقد عدد ٤٠ بتاريخ أغسطس ١٩٨٨ بعنوان الحركة التقدمية المصرية ليست من صنع الأجانب لكي يتجنب الوقوع كضحية للسياسة الإعلامية المخططة من طرف الاستعمار البريطاني والرجعية المصرية والتي كانت تهدف إلى التقليل من دور الشيوعيين المصريين والمبالغة في دور الشيوعيين الأجانب لإظهار الحركة الشيوعية في مصر كحركة أجنبية بل يهودية. فبين عام ١٩٣٥ وعام ١٩٤٢ كانت هناك عدة مجموعات ونواد متجهة نحو الشيوعية ثم شيوعية أذكر هنا:

ـ مجموعة شيوعيي الحرس القديم من أعضـــاء حـزب ١٩٣١ وكلهم مصريون.

ـ مجموعة سلامة موسى وكان يلقي محاضرات عن الاشــتراكية في جمعية الشبان المسيحين ومن هذه المجموعة تخرج فوزي جرجـس وآخرون.

ـ مجموعة من شبان وفديين مهتمين بالاشتراكية وأذكر منهم أسعد حليم.

ـ مجموعة في داخل اتحاد خريجي الجامعات اهتمـت بدراسـة الماركسية وأذكر أحد أعضائها أسامة الشافعي.

ـ مجموعة في قاعدة مصر الفتاة تريد الاشتراكية وأذكر هنا فتحي الرملي ـ وكانت كل هذه المجموعات مكونة فقط من مصريين.

ـ مجموعة من إيطاليين شيوعيين ومعادين للفاشية أذكـر منـهم سندرو دوكا وترتانيي وبايلي وكانت زوجته مصرية وكلهم غير يهود.

ـ مجموعة من مدرسين فرنسيين في مدرسة الليسيه الفرنسية مثل باروں وجرانيه وهما غير يهود ولعب هؤلاء المدرسون دوراً كبيرا في إقناع عدد كبير من التلاميذ مثل شفارتز وإنحـي إفلاطـون وأغلبيـة التلاميذ اليهود.

ـ مجموعة من داخل استوديو مصر تأثرت بفن السينما السـوفييتي وأذكر منهم صلاح أبو سيف وحلمي حليم وسعد نديم ووفيقه أبو جبـل وخورشيد.

ـ منظمة الفن والحرية وكان شعارها ماركس ـ فرويد ـ داروين ولعبت دوراً مهما في وسط المثقفين والفنانين وأبرز أعضائها جـورج حنين وأنور كامل ـ ورمسيس يونان ـ وكامل التلمسـاني ـ وفـؤاد

كامل وقد أصدرت مجلة " التطور " وهي أول مجلة يسارية ظهرت في تلك الفترة وكان رئيس تحريرها أنور كامل.

ـ عصبة الدفاع السلام التي أسسها السويسري جاكو دي كومب واليوناني بيريدس والأرمني كرامانيان وغيرهم وكلهم غير يهود وكان اتجاههم ماركسيا ولعبوا دورا في تجنيد عدد من الأجانب واليهود.

والآن أتناول بدون أي تواضع (قال الفيلسون سبينوزا إن التواضع هو أعلى درجات الغرور) دوري في الحركة الشيوعية المصرية تكونت تدريجيا كشيوعي أولاً في مصنع حليج القطن في ميت غمر الذي كانت تملكه عائلة والدي (وكان والدي صديق يوسف الجندي ثم فقد كل ثروته بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة تدهور سعر القطن) وفي هذا المصنع اصطدمت بشيء مفزع. مئات من الأطفال الصغار في سن السادسة حتى الثانية عشرة يعملون ١٤ ساعة في اليوم وسط غبار القطن المحلوج وكان يمر المراقبون ويضربون بالكرابيج كل طفل يتوقف عن عمله نتيجة التعب.

ثم قرأت كتب الكاتب الروسي تولستوي الذي كان يدافع عن الفلاحين ثم أصبحت ماركسيا بعد قراءة ودراسة كتاب بوخارين وعنوانه المادية الجدلية والمادية التاريخية.

ولكن مما كونني كشيوعي واع ومناضل (لا يكفي كما قال ماركس تفسير العالم بل المهم تغييره) هو اتصالي بالحزب الشيوعي اللبناني والصداقة العميقة بيني وبين نيكولا شاوي ـ وفرج الله الحلو وفؤاد كزان وغيرهم من الرفاق اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين (أذكر هنا مفيد النشاشيبي) فكنا نجتمع في بحمدون على قرب بيروت (حيث كنت أقوم بعلاج الربو) ونتناقش ساعات بل أياماً طويلة في كافة المسائل النظرية والسياسية الخاصة بالعالم والشرق الأوسط وفي يوم من الأيام قدمني شاوي لرفيق لبناني من أصل أرمني أسمه ميدويان (ويبدو أنه

كان عضوا في الكومينترن) واجتمعنا مدة طويلة وخلاصة الاجتماع هي بما انني ماركسي إيطالي من أصل يهودي مقيم في مصر فدوري يتركز على الاتصال بالمثقفين والعمال وإقناعهم بالشيوعية حتى يتكون كادر ماركسي شيوعي مصري يستطيع إعادة تكوين الحزب الشيوعي المصري.

ثم كلفوني لدى رجوعي إلى مصر أن أرسل إلى جريدة صوت الشعب مقالات وأخباراً عن الأوضاع في مصر وأخيراً سلموني عنوان تحسين المصري وهو عضو سابق في الحزب الشيوعي الفرنسي وعنوان مدرس فرنسي أصبح بعد الحرب عضواً في البرلمان الفرنسي واسمه مارسيل نارون (د. رفعت السعيد ص ٢٨٧ تاريخ المنظمات).

يتضح مما سبق بأنني أصبحت شيوعياً على أيدي وبمجهود رفاق عرب وأن خط العمل الذي اتبعته دائماً أثناء إقامتي في مصر هو العمل على تكوين كادر شيوعي مصري وضمان قيادة مصرية لحركة الشيوعية.

وأذكر هنا ما قاله أسعد حليم في حوار مع رفعت السعيد (ص٢٤٠ من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية) كان مارسيل أكبرنا سناً وأوسع منا ثقافة وإدراكاً. كانت الماركسية تبهرنا وكان مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا بهرنا به والحقيقة ان مارسيل قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدا خارقا في تثقيف عدد من الكوادر المصرية. لقد ثقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهداً كبيراً جداً في إعدادها.

وقبل قيامي بتأسيس مدرسة للتكوين الماركسي اشتركت لمدة في عصبة الدفاع عن السلام إلا أنني تركتها لعدم إمكانية تطبيق خطي للتصمير وأسست مع أحمد فؤاد الأهواني ومحمد نصر الدين وبوانتييه وراؤول كورييل (لم يشترك أخوه هنري كورييل لا من قريب ولا من بعيد في هذا التأسيس) وسندور روكا وآخرين " الاتحاد الديموقراطي"

وعينت سكرتيرا. ثم انضم هنري كورييل ومعه شلة من أبناء كبار البورجوازيين الأجانب وسرعان ما انفجر خلاف واصطدام على دور الاتحاد ففي رأيي كان عليه أن يكون أساساً مقراً لجذب مصريين واختيار العناصر الصالحة للتكوين الشيوعي. وأنا هنا مضطر أن أشير إلى نزعة كورييل للزعامة التي أضرت كل الضرر بالحركة الشيوعية المصرية وكانت سبباً للأزمات والانقسامات والتكتلات. فالاستعمار والرجعية عرفا كيف يستغلان هذه النزعة الزعامية لتشويه وإضعاف الحركة وخططوا شعارات لا تزال مستمرة حتى اليوم مثل أجنبي مليونير يهودي مؤسس الحزب الشيوعي المصري وعند القبض على مئات المناضلين الشيوعيين المصريين تجد أن البوليس يبذل جهداً لكي يكون المتهم الأول هنري كورييل وتسمى قضية الجميع " قضية هنري كورييل".

وهنا أذكر إنه قد جرت العادة أن يشار إلى المنظمات الشيوعية منسوبة دائماً بالرغم من وجود مئات المناضلين المصريين إلى الأجانب.

وفي حوار له مع رفعت السعيد (ص٧٣١ من تاريخ الحركة) قال هنري كورييل حرفياً " أتصل بي مارسيل وكان معه مجموعة من حوالي عشرة أشخاص كانوا مجرد برجوازيين صغار وكنت أنا بورجوازيا والبورجوازية لها عيوب كثيرة لكن بها ميزة مهمة هي اتساع الأفق وأحسست انهم مجموعة من ضيقي الأفق. مجرد موظفين صغار يعيشون على هامش المجتمع ولا يشعرون بما يدور فيه".

ففي نظر كورييل البورجوازية الكبيرة هي القادرة على تقديم قيادة للحركة الشيوعية ـ بدون تعليق ـ.

وفي سنة ١٩٣٩ تكونت أول منظمة شرعية بعد حل حزب ١٩٢١ اسمها " تحرير الشعب " أسسها رفاق من كافة المجموعات التقدمية

القائمة حينئذ. أذكر منهم تحسين المصري وأسعد حليم وحسين موسى القاظم (الذي أصبح في ١٩٤٦سكرتيرا عاما للجنة الطلبة والعمال) ومحمد حنفي وأنور كامل وعبد العزيز هيكل وفتحي الرملي وصلاح أبو سيف وفوزي جرجس وصالح عرابي ورفيقه أبو جبل ثم مصطفى كامل منيب وسعيد خيال وأسما البقلي وراؤول مكاريوس ونعمان عاشور إلخ. وكان متصل بنا لويس عوض وقرر المؤتمر التأسيسي للبرنامج واللائحة والخط السياسي الذي كان مبنياً على تحليل اقتصادي واجتماعي وسياسي للمجتمع المصري.

وانتخبت لجنة مركزية وكنت العضو الأجنبي الوحيد فيها " تحرر الشعب " في سنة ١٩٤٧ للاندماج في حدتو. وكما هو معروف، رفضت الدخول في اللجنة المركزية بالرغم من انتخابي فيها طبقاً لخطي في تمصير القيادة ولم أكن في يوم من الأيام عضو لجنة مركزية في حدتو.

وكتب رفعت السعيد (تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ص١٩٠) ما يلي: "وقد لعبت ــ تحرير الشعب ــ دورا مهما في عديد من المجالات سواء في النشاط العلني في الأندية والروابط " الخبز والحرية " و" الثقافة والفراغ " و" لجنة نشر الثقافة الحديثة " وفي مجال الصحافة اليسارية والنشر " المجلة الجديدة " و " الأسبوع " و" دار الفجر " أو في النشاط السري الذي نجح في اجتذاب عدد من الكوادر المصرية.

وتأسست الخبز والحرية كجمعية عمالية بين الطبقة العاملة وكان مقرها في شارع محمد علي وللدفاع عن مصريتها لم أشترك أبداً في نشاطها. أما جمعية الثقافة والفراغ كانت متخصصة للمثقفين والطلبة.

يتضح مما سبق أن نظرية المرحلتين لا أساس لهما على الإطلاق.

١ـ فالحركة الشيوعية المصرية تأسست (أو بالأحرى أعيد تأسيسها) قبل هجوم روميل على مصر سنين عديدة.

٢ـ أن الأغلبية الساحقة من مؤسسي هذه الحركة كانوا مصريين وليسوا يهوداً.

٣ـ أن أية علاقة بين الحركة الشيوعية والوكالة اليهودية لم توجد أبداً وفي سنة ١٩٤٧ عند تكوين الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية وأنا كاتب بيان هذه الرابطة الذي وزع منه ٦٠٠٠ (ستون ألف نسخة) باللغتين العربية والفرنسية فإن كافة يهود الحركة الشيوعية (ماعدا عدد قليل منهم باعتبارها كما زعموا خطأً تكتيكياً!) أيدوها بحماس وقاموا في الأحياء اليهودية بدعاية واسعة ضد الصهيونية وتعرضوا للضرب من طرف الصهيونيين ثم للقبض ودخول السجون وسرعان ما حل النقراشي الرابطة بالقوة. وقد دعاني عبد الرحمن عزام سكرتير الجامعة العربية فقابلته ومعي الرفيق عزرا هراري في مقر الجامعة وبعد المناقشة أعرب عن تقديره لنشاط الرابطة وكفاح أعضائها.

٤ـ ومنذ البداية أي منذ سنة ١٩٣٥ كان الشيوعيون المصريون على صلة وتعاون مع الأحزاب الشيوعية العربية وكتب محمد هيكل في كتابه عن النفوذ السوفييتي في الشرق الأوسط (ص٤٥): مارسيل شيرزي كان أول شيوعي مصري يتصل مع شيوعيين البلاد العربية الأخرى.

٥ـ صحيح أنه في الأربعينيات كان يقود المنظمات الشيوعية (باستثناء تحرير الشعب) يهود (سكرتير حدتو السياسي كان كورييل والسكرتير التنظيمي شفارتز!) إلا أني أستطيع القول إنه بينما كانت القيادات اليهودية مشغولة بمناقشات لا نهاية لها حول مسائل نظرية وتنظيمية ومالية ورسم خطوط معقدة إلخ فالقاعدة المكونة من الرفاق

المصريين كانت هي التي تواصل الكفاح العملـي، ففـي ٩٠% مـن الحالات كانت القيادة الأجنبية بعيدة كل البعد وكانت في جهل تام عمـا كان يحدث من كفاح في المصانع وفي الجامعة وفي النـوادي الثقافيـة إلخ. ففي ٥ فبراير سنة ١٩٤٦ لم تكن هناك القيادات الأجنبية لا فـي كوبري عباس ولا فقي ميدان الإسماعيلية.

٦ـ لم يكن شيوعيو الثلاثينيات بعيدين عن الطبقـة العاملـة فقـد تكونت جمعية الخبز والحرية كصلة بين المثقفين الماركسـيين وكلـهم بدون استثناء مصريون والطبقة العاملة وسرعان ما جذبت هذه الجمعية عدداً متزايداً من عمال المطابع وعمال مصانع المعصرة والحوامدية إلخ إلا أن البوليس بقيادة الإنجليز وهو واع بحظر إدماج حركـة المثقفيـن الماركسيين بالحركة العمالية أسرع في حصار الجمعية ثم قـام بحلـها والقبض على عدد كبير من أعضائها.

ورأيي لا تزال الحركة الشيوعية المصرية عرجاء فالرجل المكونة من حركة المثقفين الماركسيين قوية ورجل الحركة العماليـة ضعيفـة، وأتمنى أن يكون هذا الرأي خطأ.

***

نشأ مارسيل شيريزي في مصر وارتبط بشعبها وترعرع بين أبناء هذا الشعب وأحس بمشاكله وتفاعل معها. ويعتبر من المؤسسين الأوائل للحركة الشيوعية في مصر. ورغم أنه يعيش الآن ويواصل نضاله في إيطاليا داخل حزب إعادة التأسيس الشيوعي. فمازالت عواطفه وارتباطاته بمصر التي ولد وعاش فيها وسجن وقدم التضحيات إلى أن أبعد عنها عام ١٩٥٣.

وهو رغم أنه انتقل إلى إيطاليا وأصبح نشاطه السياسي هناك فمازال له الكثير من الأصدقاء في مصر ويكتب أحيانا في الصحف والمجلات اليسارية في مصر لينقل إليها خبرة نشاطه في الخارج. وهو مستمر في نضاله وكتاباته ضد الصهيونية. ويكتب في صحف اليسار الإيطالي عن مصر ونضال الشعب المصري ضد الاستعمار والصهيونية.

يضم هذا الكتاب بعض كتابات مارسيل شيريزي وآرائه بالنسبة لأحداث مرت بها الحركة الشيوعية في مصر وبعض هذه الآراء قد اختلف معه فيها. كما ورد في حديثه في ورشة العمل التي دعته إليها لجنة توثيق الحركة الشيوعية ودعتني أيضا مع آخرين وننشر هنا حديثه في الندوة وردي ورد آخرين عليه ممن شاركوا في الندوة.

والخلاف في الرأي لا يلغي تقديري لدوره ونضاله الكبير ومواقف له أخرى ومنها دوره في تأسيس الرابطة اليهودية لمكافحة الصهيونية.

وقد التقيت مع مارسيل أول مرة في سجن الإسكندرية عام ١٩٤٩. وقد فرض علينا في البداية نظام الحبس الانفرادي فأضربنا عن الطعام ثلاثة أيام استجابت بعده إدارة السجن لإلغاء الحبس الانفرادي فشاركني مارسيل في زنزانة واحدة. وكانت أول مرة نلتقي بها وأتعرف عليه.

البريطاني ويلسون الذي كان في ذلك الوقت على رأس قوات التدخل في القوقاز قد كتب في أحد تقاريره إلى الحكومة الإنجليزية ناصحا بالانسحاب الفوري من الأراضي السوفييتية بهدف التركيز على الدفاع عن بعض أجزاء الإمبراطورية (وهي الهند ومصر) من تهديد التأثير البلشفي.

وسرعان ما نشأ داخل الحزب الاشتراكي اتجاهان أحدهما (بزعامة محمود حسني العرابي) اتخذ مسارا ثوريا، بينما كان الاتجاه الثاني اصلاحيا.

## (٢)
## نشأة الحزب الشيوعي المصري وتطوره
## (١٩٢٢ـ١٩٣١)

في عام ١٩٢٢ قرر الجناح اليساري من الحزب الاشتراكي المصري الاشتراك في المؤتمر الرابع للدولية الشيوعية. وأوفد محمود حسني العربي إلى موسكو وشارك العرابي إيجابيا في أعمال المؤتمر وقدم تقريرا عن أهداف ونشاط الحزب الاشتراكي المصري، وجاء في تقرير المؤتمر انه قد تكونت لجنة لمناقشة ذلك التقرير انتهت إلى أن الجناح اليساري للحزب الاشتراكي المصري تتوفر فيه جميع الشروط اللازمة للانضمام إلى الدولية الشيوعية ـ تحت تحفظ بأن ينفصل عن الجناح الإصلاحي وينظم نفسه كحزب شيوعي ـ ويبدو أنه قد وجهت إلى العرابي نصيحة بأن يبادر فور عودته إلى مصر بعقد مؤتمر يدعي فيه جميع التجمعات والشخصيات ذات الأفكار الثورية الموجودة خارج الحزب بهدف تأسيس الحزب الشيوعي وتحديد برنامجه.

ولكن لم يقدر لهذا المؤتمر ان ينعقد[1] وانفصل الجناح الموالي للعرابي عن الإصلاحيين ووضع برنامجا للحزب واعتبر فرعا مصريا للدولية الشيوعية. وأخذ الحزب على عاتقه مهمة تنظيم النقابات، وسرعان ما نجح في توحيدها في اتحاد عام (كان سكرتيره صفوان عضوا في اللجنة المركزية للحزب في نفس الوقت)[2] وكانت الإسكندرية هي الموقع القوي للحزب حيث كانت وقتذاك المركز الرئيسي للصناعة في مصر.

وكان محمود العرابي قد ترجم إلى العربية أحد عمال مكدونالد(؟)[3] ثم وضع كتيبا حول النقابات ودورها.

ولم يكن الحزب غير شرعي بل ان برنامجه قد نشر في الصحافة المصرية في أوائل ١٩٢٤ (بما في ذلك الجريدة شبه الرسمية وهي الأهرام).

وكان الحزب ضعيفا جدا في الكوادر الماركسية وأهمل عمليا تكوين كوادر جديدة.

وقد قام شخص يدعى رفعت بترجمة كتاب لينين " الدولة والثورة " ولكنه مدعيا شرح وتفسير كل جملة من جمل لينين قد حول إحدى روائع النظرية الماركسية إلى رطانة غير مفهومة.

ولم يهتم الحزب ـــ على عكس المفروض ـــ بالمسألة الفلاحية، وهي مسألة كان يجب أن تكون في بلد زراعي كمصر الأساسي لنشاطه مما عزله عن الجماهير العريضة في مصر.

---

١ـــ عقد هذا المؤتمر وهو المؤتمر الثاني للحزب في ٦ يناير ١٩٢٣ ـــ المؤلف.

٢ـــ الحقيقة أن الحزب قد نجح في تأسيس الاتحاد العام للنقابات منذ أن تأسس كحزب اشتراكي في أغسطس ١٩٢١ ـــ المؤلف.

٣ـــ كتاب " الاشتراكية " ـــ المؤلف.

وبطبيعة الحال فان الحزب كان يناضل ضد الاستعمار ولكنه لم يعتبر ذلك واجبه الأساسي الأمر الذي أدى بالضرورة إلى عزلته عن الحركة الوطنية وتركها في أيدي البرجوازية (الممثلة أساس في حزب الوفد).

......

وكانت مصر (بعد تصريح فبراير ١٩٢٢) مستعمرة من الدرجة الثانية (كان ستالين قد صنف مصر في خطابه الشهير أمام جامعة كادحي الشرق على أنها مستعمرة من الدرجة الثانية).

وأمام النمو المتزايد للحزب الشيوعي وتأثيره المتعاظم على الطبقة العاملة قررت الإمبريالية والبرجوازية العميلة توجيه ضربة قاسيه له، وسهل لهم هذه المهمة (كما يحدث دائما) تطرف الحزب الشيوعي الناشئ.

وفي عام ١٩٢٤ وخلال معركة دائرة في الإسكندرية من أجل مطالب عمالية أطلق الحزب نداء بالإضراب العام المصحوب باحتلال المصانع وتضمن النداء إيحاءات مليئة بالعصيان والثورة. ونفذ عمال الإسكندرية توجيهات الحزب والاتحاد العام بحماس، واحتلوا مصنع الشركة الأهلية للغزل بالإسكندرية وهو مصنع يضم عدة آلاف من العمال ورأسماله أجنبي (أساسا انجليزي).

وتدخل الاستعمار البريطاني مستندا إلى أحد التحفظات الأربعة الواردة في تصريح فبراير ١٩٢٢ وهو التحفظ الخاص بالمحافظة على المصالح الأجنبية وأرسل مذكرة إلى الحكومة المصرية التي كان يرأسها في ذلك الوقت سعد زغلول مطالبا بوضع حد لهياج العمال مهددا بالتدخل المباشر للقوات البريطانية.

وخضع سعد زغلول للضغط البريطاني وبعد أن أجلى العمال عن المصانع مستخدما الوعود الكاذبة، انقلب على الحزب الشيوعي وأعلن أنه أصبح غير مشروع واعتقل قادته (العرابي، صفوان، أنطوان مارون وعدد كبير من الشيوعيين).

وأعلن بالإضافة إلى ذلك حل اتحاد النقابات. وحكمت المحكمة على عدد من المتهمين بالسجن ثلاث سنوات مع الشغل وعلى البعض الآخر بعقوبات أقل.

وعقب إضراب عن الطعام قام به المسجونون احتجاجا على نظام الحبس الانفرادي الذي فرض عليهم في سجن الحدرة بالإسكندرية فقد أنطون مارون ألمع وأخلص قادة الحزب حياته. وكان بذلك أول شهداء الحركة الشيوعية المصرية.

وكانت الأحكام التي صدرت ضد قيادات الحزب الشيوعي المصري موضوع بيان أصدرته الدولية الثالثة تدعو فيه جميع الأحزاب الشيوعية في العالم إلى الاحتجاج على الإرهاب، وإلى التضامن مع المحكوم عليهم.

وكانت تلك الضربة ذات نتائج غاية في الخطورة بالنسبة للحزب، فلم يكن الحزب يضم كوادر ثورية حقيقية (والذين سجنوا كانوا برغم قلة خبرتهم هم الوحيدين الذين يمتلكون بعض الخبرة).

ولم يكن الحزب مستعدا للعمل السري، وكان معزولا عن الحركة العامة للجماهير، ولم تكن له أية صلة بالفلاحين، وصلته بالطبقة العاملة لم يكن قد توفر لها الوقت الكافي لتقوى .. هذا بالإضافة إلى أن تجربة الإسكندرية المتطرفة بما صاحبها من فشل ونتائج سيئة قد أصابت نفوذ الحزب وسط جماهير العمال أنفسهم، وقد انتهز الوفد الفرصة فشكل على الفور منظمة عمالية تحت قيادته.

أما سكرتير الحزب محمود حسني العرابي (وكان قد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات) فقد سعى في فترة تالية إلى إلقاء مسؤولية الإضراب والعصيان الذي وقع بالإسكندرية على الدولية الشيوعية وادعى أنه قد صدرت إليه تعليمات بأن يتولى قيادة تنظيم الإضراب شخص موفد من قبل اللجنة المركزية للكونترن، وسواء كان قد تلقى مثل هذه التعليمات أم لا (يجب أن نتذكر انه كان يوجد ــ في ذلك الوقت ــ عدد كبير من عملاء تروتسكي في صفوف الدولية الشيوعية التي كانت في تلك الفترة تحت قيادة الخائن زينوفيف) فإن مسؤولية محمود العرابي في ذلك ليست ضئيلة، وعلى أية حال فانه قد انتهى بأن أصبح عشية الحرب العالمية الثانية وخلالها رئيس الطابور الخامس النازي في مصر.

لكن الحزب الشيوعي المصري لم يتحطم تماما في ١٩٢٤ بل استمرت الكثير من خلاياه في مختلف المدن المصرية. وأعاد الحزب تنظيم نفسه، وكون لجنة مركزية جديدة، ومن وقت لآخر كان بعض العمال يرسلون إلى مدرسة الكوادر في موسكو. وقد أصدر الحزب ووزع عددا من الكتيبات. وكان الحزب على صلة بالحزب الشيوعي الفلسطيني، وظل باستمرار فرعا معترفا به من قبل الدولية الشيوعية. كذلك انضمت إلى الحزب التجمعات الشيوعية لليونانيين والأرمن، وانضم إليه عدد من المثقفين المصريين.

وفي بعض الأحيان كان يقبض على أعضاء من الحزب ويحكم عليهم بالسجن وكان نشاط الحزب سريا تماما ولا يبدو أنه استطاع بأي شكل من الأشكال استغلال أية إمكانيات للنضال المشروع[١].

وباختصار واصل الحزب حياته في وجه صعوبات بالغة.

---

١ــ أصدر الحزب في ذلك الحين مجلة علنية اسمها " الحساب " كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب ــ المؤلف.

وعندما خرج محمود حسني العرابي من السجن اقترح أن ينسحب الحزب من الدولية وطالب باتخاذ مواقف ذات مضمون انتهازي.

......

وبعد ذلك عين عامل يدعى عبد العزيز كان قد تلقى دراسته في موسكو في منصب سكرتير الحزب. وكان ترشيحه بناء على توصية من مناضل يوناني قديم يدعى ياناكاكس.

وتحت قيادة عبد العزيز أصيب الحزب بضربات عنيفة، فأكثر كوادره وقياداته إخلاصا كانوا يقبضون عليهم أو يختفون بطريقة غامضة، بل يبدو أن أحد مبعوثي الدولية الشرعية قد اختفى هو أيضا لدى مروره بمصر والبعض الآخر قبض عليه وسجن أو طرد من البلاد.

ولم يكتشف أمر عبد العزيز كعميل للبوليس السياسي المصوي إلا حوالي ١٩٣١. أما ياناكاكس فبالرغم من عدم توجيه أي اتهام إليه إلا أنه طرد من الدولية الشيوعية لترشيحه عبد العزيز. وظل حتى وفاته يساعد الحركة الشيوعية في مصر بعد أن أعيد تنظيمها، ولكنه رفض الانضمام إليها تمشيا مع قرار الدولية الشيوعية الصادر ضده.

أما عبد العزيز فقد أحس بخيانته فيما بعد ومات ميتة بائسة وهو نصف مجنون.

وقد نجحت الخيانة من الداخل في أن تحيق بالحزب وما فشلت فيه الاضطهادات والملاحقات من الخارج .. فلم يعد للحزب وجود فعلي بعد ذلك ولم يعد معترفا به كفرع للدولية الشيوعية. وبذلك كسبت الإمبريالية البريطانية والرجعية المصرية الموقعة الأولى في المعركة.

وبالرغم من جو الصمت المطبق الذي أحيط بالحزب من قبيل جميع المؤرخين فإن هذا الحزب قد ترك لدى بعض فئات العمال والمثقفين كثيرا من مشاعر الحنين.

وفوق ذلك فان هذا الحزب بالرغم من أخطائه وما صادفه من تعاسة يشكل خبرة نضالية هامة عمرها عشر سنوات كان من الضروري دراستها على أساس من التحليل الموضوعي والنقد البناء والاستفادة منها في المرحلة الجديدة في الحركة الشيوعية. لكن ذلك لم يتم للأسف الشديد.

## (٣)

## نشأة الجماعات الماركسية الأجنبية ونشاطها (١٩٣٤ـ١٩٣٩)

خلال سنوات عديدة ظلت مصر محرومة من أي نشاط شيوعي فعلي، وان كان قد ألقى القبض ذات مرة على عدد من الشيوعيين الأرمن. ويبدو أن بعض أعضاء الحزب القدامى في الإسكندرية كانوا جميعا معروفين للبوليس بسبب خيانة عبد العزيز قد احتفظوا بصلتهم مع بعضهم البعض دون أن يمارسوا أي نشاط.

وفي ١٩٣٤ قامت جماعة من الماركسيين الأجانب في الإسكندرية بتأسيس جمعية أسموها " رابطة أنصار السلام " La Ligue Pacifiste وسرعان ما تأسست جمعية مماثلة بالقاهرة وكان أغلبية الأعضاء من اليونانيين واليهود من مختلف الجنسيات. وكان المحرك الحقيقي وراء هذا النشاط بول جاكو دي كومب وهو سويسري كان على صلة بالدولية وبالحزب الشيوعي الفرنسي.

وقد انضمت الرابطتان إلى " التجمع العالمي للسلام ".

Rassemblement Universel Pour La Paix.

وقد استطاعت هذه الجماعة الماركسية أن تنمي من نشاطها بشكل محدود خلال عدة سنوات لكن نشاطها المحدود هذا اقتصر على أوساط الأجانب (حيث كان يقيم في مصر إقامة دائمة حوالي ربع مليون أجنبي معظمهم مستقرين في القاهرة والإسكندرية).

وقد اتصفت هذه الجماعة بما يلي:

أ ــ أقتصر نشاطها على الأجانب. وهم أجانب يقيمون في بلد مستعمر يخضع لنظام الامتيازات الأجنبية الأمر الذي جعل منهم في واقع الأمر دولة داخل الدولة، وكانوا معزولين إلى حد كبير جدا عن باقي السكان. ولم يكونوا يعرفون إلا القليل جدا عن واقع مصر الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وباستثناء عدد محدود جدا كانوا لا يعرفون اللغة العربية.

ب ــ كان الأعضاء اليونانيون في هذه المجموعة يشكلون في واقع الأمر إحدى خلايا الحزب الشيوعي اليوناني. أما باقي الأعضاء فقد كانوا بحكم ثقافتهم الفرنسية مرتبطين عاطفيا وسياسيا بالحزب الشيوعي الفرنسي.

ج ــ هؤلاء الماركسيون الأجانب لم يكن لديهم في واقع الأمر أية خبرة في النضال الشيوعي (لا من وجهة النظر السياسية ولا من وجهة النظر التنظيمية) وبحكم أنهم تقريبا قد ولدوا جميعا في مصر وأمضوا بها حياتهم فلم يكن بإمكانهم أن ينقلوا إلى الحركة الثورية المصرية خبرات النضال الدولي للبروليتاريا.

وقد تسلط على أذهان هذه المجموعة شبح المصير المحزن للحزب الشيوعي المصري (الذي خانه اثنان توليا سكرتيريته على التوالي)

الأمر الذي دفعها إلى انتهاج موقف شديد التطرف يتسم بالتشكك في كل الناس.

وبدلا من أن تتفتح هذه المجموعة على الجماهير متمسكة بيقظتها فان هذه المجموعة قد نهجت نهجا حلقيا وانغلقت على نفسها بصورة شديدة بحيث لم تفتح أبوابها خلال أكثر من عشر سنوات إلا لعدد قليل جدا من الأجانب.

ولم تتحول هذه المجموعة المغلقة إلى تنظيم (له خلايا وقيادة) إلا عام ١٩٤٥.

ولكن الخطأ الأكبر الذي ارتكبته هذه المجموعة كان في تبنيها لتحليل غير صحيح يقوم على أساس أن فشل الحزب الشيوعي المصري السابق كان نتيجة لأن الظروف الموضوعية في مصر لم تكن قد نضجت لقيام مثل هذا الحزب.

وهكذا وبدلا من تحليل التجربة الأليمة، وبدلا من أن تصبح المشكلة المباشرة هي إعادة تنظيم الحزب الشيوعي المصري (أو إعادة تأسيسه) فان هذا التجمع الماركسي الأجنبي قد تجاهل الخبرات السابقة وتبنى خطا ينادي بأنه يتعين على مصر أن تمر خلال تطورات اقتصادية وسياسية طويلة قبل أن تصبح الطبقة العاملة المصرية جديرة بتكوين حزبها وحتى يتم ذلك فانه يتعين على الماركسيين أن يؤلفوا تجمعا صغيرا مغلقا (كما حدث في روسيا القيصرية قبل المؤتمر الثاني للحزب الاشتراكي الديمقراطي) وأن يكونوا بالتدريج جناحا يساريا لحزب الوفد (بما يشبه حزب المؤتمر الهندي) وظلت هذه الفكرة سائدة حتى عام ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ لدى جماعة " الفجر الجديد " وهي الجماعة التي تولدت عن هذا التجمع الماركسي الأجنبي.

وهذه الفكرة التي تخلت عن مهمة إعادة بناء الحزب وتجاهلت أهمية وضع برنامج ولوائح واستراتيجية وتكتيك (وهو ما يمكن اعتباره منشأ ما اتصفت به الحركة الشيوعية المصرية من تلقائية) ولكنها أيضا أدت إلى نشأة ما تعانيه الحركة الشيوعية المصرية من مظاهر الانقسام الدائم حتى اليوم•.

وقد كانت السنوات الخمس السابقة على الحرب العالمية الثانية من الناحية الدولية ومن الناحية المحلية سنوات مواتية تماما من وجهة النظر الموضوعية لنمو حركة ثورية مصرية.

......

بينما كان هذا التجمع الماركسي الأجنبي الذي لم يكن يوجد غيره في ذلك الوقت يعيش بعيدا تماما عن الواقع المصري ويجهل كل شيء عن الجماهير المصرية، وظل منغلقا على نفسه في أبراجه العاجية وليس له ميدان نشاط حقيقي سوى الأوساط الأجنبية في مصر كلنه كان يمكن اعتباره في واقع الأمر فرعا للحزب الشيوعي الفرنسي، فقد كان ينقل مبادئه كما هي دون أي اعتبار للواقع الموضوعي في مصر.

وفي مثل هذا المناخ الذي كان مواتيا من الناحية الموضوعية لنشوء تنظيم شيوعي قوي فان غياب التنظيم الذي يمكن اعتباره بؤرة تتبلور حولها هذه التيارات الماركسية قد أدى بها إلى أن انبثقت في وقت واحد تقريبا الواحدة تلو الأخرى.

وسرعان ما خاضت هذه التيارات الجديدة صراعات عنيفة ضد بعضها البعض، كل منها يدعي أنه هو وحده الثوري والبلشفي بينما الباقون انتهازيون ومنشفيك أو تروتسكيون.

---

• كتبت هذا التقرير في أوائل الخمسينيات

عندما اتصل بي من ميلانو وعرض علي أن أنشر له كتابا يتضمن حياته وكتاباته. وافقت على الفور.

وهذا الكتاب هو بعض كتاباته وأفكاره التي تعكس حياته وفكره في حركة اليسار في مصر. وهي ليست كل كتاباته بالطبع فبعض أوراقه قدمها لي وبعضها لم تكن موجودة معه أو كانت مكتوبة بالإيطالية أو الفرنسية وترك لي مطلق الحرية في التحرير. ولكنني حرصت على نشر الأوراق التي تركها لي مع حذف المكرر منها وركزت أساسا على ما يعرفنا بمارسيل ودوره وكفاحه.

**محمد يوسف الجندي**

ومنذ ١٩٣٤ــ١٩٣٥ حتى نهاية ١٩٣٨ كانت الجماعة التي يقودها بول جاكو دي كومب هي الجماعة الوحيدة الموجودة في مصر واتخذ نشاطها شكل العمل من خلال رابطة أنصار السلام التي كانت تنظم مؤتمرات في القاهرة والإسكندرية (يحضرها ما يقارب الخمسين شخصا من الأجانب) وكانت تصدر نشرة باللغتين اليونانية والفرنسية (متضمنة من حين لآخر مقالا باللغة العربية) وكانت أيضا تنظم حفلات موسيقية ورحلات.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنهم قد قاموا بدعاية جيدة للأسبان الجمهوريين في الأوساط الأجنبية في مصر. وجرت في الإسكندرية محاولة لتجنيد بعض الشبان المصريين وضمهم للمجموعة، لكن كل ما أسفرت عنه هذه المحاولة من نتائج أنه قد تجند شخص واحد (ما لبث أن أبعد بعد فترة عن المجموعة). أما أكثر المحاولات جدية فكانت تلك المحاولة التي سعت إلى عقد صلات مع عدد من النواب الوفديين. وبالتعاون معهم عقدت ثلاثة لقاءات عامة لرابطة أنصار السلام في القاهرة والإسكندرية. وبالإضافة إلى ذلك تكونت لجنة فخرية للتجمع المصري من أجل السلام ضمت عددا من المصريين (وكان سكرتيرها العام بول جاكو دي كومب). ولكن هذه المحاولات وان كانت لا بأس بها إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة إيجابية لأن التجمع الماركسي ظل أجنبيا صرفا ليس فقط من حيث تركيبه العضوي وإنما أيضا من حيث الخط الذي يحكم نشاطه. وفي واقع الأمر فانه كان يقدم نفسه للمصريين باعتباره تجمعا للأجانب الديمقراطيين وليس تجمعا مصريا .. وعلى سبيل المثال حيث ألغيت الامتيازات الأجنبية في مصر، صدر منشور باللغة الفرنسية والعربية يحمل توقيع " الأجانب الديموقراطيين" يحيي باسم الأجانب الديموقراطيين في مصر إلغاء الامتيازات الأجنبية ويؤكد للشعب المصري صداقة الأجانب.

وفي عام ١٩٣٧ قام أحد الأعضاء الإيطاليين في رابطة أنصار السلام بالقاهرة (مارسيل) وكان عضوا فقط في رابطة السلام ولكنه بالرغم من كونه ماركسيا إلا أنه لم ينضم للمجموعة الماركسية التي كان يتزعمها بول جاكو دي كومب. قام بزيارة لبنان وأتصل بالحزب الشيوعي اللبناني وناقش مع بعض قادته نشاط رابطة أنصار السلام في مصر، وقد نال هذا النشاط نقدا قاسيا من قبل هذه القيادات بسبب سماته الأجنبية التي لا تمت بصلة إلى مصر، وقد قدمت هذه القيادة اللبنانية النصح بضرورة أن تكون المهمة الأساسية في مصر هو تكوين ماركسيين من بين الطلاب والعمال المصريين.

وقد كلفت هذه القيادات مارسيل بأن يظل على اتصال بالحزب السوري اللبناني وعين مراسلا في مصر لجريدة الحزب " صوت الشعب ".

وعندما عاد مارسيل إلى مصر ناقش بول جاكو دي كومب في هذه الموضوعات وكان رد " دي كوكب " بأن عليه أن يهتم فقط بالنشاط في رابطة السلام، ونظرا لمعرفته باللغة العربية فقد طلب إليه أن يعمل على ضم مصريين إلى رابطة السلام.

وحتى هذه المحاولة المتواضعة منيت بالفشل بسبب عدم الثقة التي كانت تبدو دائما من قبل غالبية أعضاء الرابطة الأجانب تجاه أي عضو مصري جديد. وسرعان ما تكون داخل الرابطة تيار ينادي بالتمصير وينتقد قيادتها (دي كومب) لموقفها المناهض للتمصير. وكان الحديث بطبيعة الحال يجري في الظاهر حول رابطة أنصار السلام وان كان يعني في واقع الأمر مسألة تمصير النشاط الماركسي.

وكانت المعركة الحاسمة تدور حول حادث مخجل. فعقب اتفاقية ميونيخ صدر بيان عن قيادة أنصار السلام لا يضع في الاعتبار الواقع المصري، وانتقد أنصار التمصير هذا الخط الأجنبي للبيان واقترحوا

بيانا آخر يدين اتفاقية ميونيخ. ولكنه يتحدث عن القضية الوطنية المصرية. ولكنهم هوجموا من قبل القيادة واتهموا بأنهم تروتسكيون وأجبروا في واقع الأمر على ترك الرابطة.

وكان هناك سبب آخر أقل أهمية وهو رفض الرابطة قبول عضوية عدد من الإيطاليين المناهضين للفاشية بحجة انهم مشاغبين وأن قبولهم قد يؤدي إلى تدخل البوليس (وكان هذا حقيقي إلى حد ما).

وفي بداية ١٩٣٩ تكون في القاهرة والإسكندرية تجمع جديد باسم " الاتحاد الديموقراطي " وكان مؤسسوه هم أنصار التمصير من الأعضاء السابقين في رابطة أنصار السلام بالإضافة إلى مجموعة الإيطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لإحساسهم بالغربة في داخلها.

وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديموقراطي نصوصا تقول بأنه يتعين أن تكون غالبية اللجنة القيادية من المصريين. ولكن الشيء الهام هو أنه قد تكونت خلف الاتحاد الديموقراطي (كتجمع قانوني) جماعة سرية ماركسية (تتكون هي الأخرى من الأجانب وحدهم)، وحددت هذه الجماعة مهمتها الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشباب المصريين إلى الاتحاد الديموقراطي بهدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كأعضاء في الجماعة الماركسية السرية.

وبالإضافة إلى ذلك تقرر إخضاع الواقع المصري لتحليل اقتصادي وسياسي واجتماعي. وكانت هذه هي المحاولة الأولى لوضع نصائح القيادات الشيوعية اللبنانية موضع التطبيق.

ونظرا لأن جميع أعضاء هذا التنظيم الماركسي الجديد لم يكونوا يعلمون بوجود تجمع ماركسي بقيادة بول جاكو دي كومب فقد اعتبروا أنفسهم أول تجمع ماركسي منظم في مصر بعد اختفاء الحزب. ولم

يعلموا إلا بعد فترة أن ثمة جماعة ماركسية أخرى قد سبقته إلى الوجود.

ورغم أن هذا التجمع الجديد يعتبر خطوة إيجابية بالمقارنة بالتجمع الأول (نظرا لتبنيه خط التمصير) إلا أنه كان في واقع الأمر يتصف بكثير من صفات التجمع القديم .. فقد كان مكونا فقط من المثقفين الأجانب ذوي المعرفة المحدودة جدا بالواقع المصري والذين لا يمتلكون أي خبرات عن العمل الثوري، كما أنه قد ارتكب نفس الخطأ الفادح الذي أرتكبه سلفه وهو تجاهل خبرات وتجارب الحزب الشيوعي المصري وعدم اعتبار أن إعادة بناء هذا الحزب هي المهمة المباشرة والواجب العاجل.

ولم يبذل أي جهد لوضع برنامج ولائحة وخط استراتيجي وتكتيكي وكان التمصير أو كما أصبح يُسمى فيما بعد تكوين الكوادر الماركسية المصرية يعتبر في رأيهم عملية طويلة المدى وسابقة على مهمة إعادة بناء الحزب.

وكان ذلك هو الطريق إلى التصفية والتلقائية والانقسام.

وتضمن برنامج الاتحاد الديموقراطي نفس ما تضمنه برنامج رابطة أنصار السلام مؤتمرات ديموقراطية ومناهضة للفاشية، أحاديث تقدمية عن الثقافة .. الخ ولكن على نطاق أكثر اتساعا مع اجتذاب عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين.

وقد عقد حفل الافتتاح برئاسة المدير العام لدار الكتب (وكان أيضا محاضرا بالجامعة) وبناء على شكوى من السفارة الإيطالية داهم البوليس الاجتماع لمنع أحد الإيطاليين من الحديث فتنازل هذا الأخير عن كلمته حتى لا يتسبب في إفشال حفل الافتتاح.

وقد حضر الحفل أكثر من ٤٠٠ شخص من بينهم عدد كبير من المثقفين والطلاب المصريين.

وقد طلب الاتحاد الديمقراطي الانضمام إلى رابطة أنصار السلام ولكن طلبه ظل بدون إجابة (وهو ما يساوي الرفض). ومن ثم أعلنت الحرب بين الاتحاد الديموقراطي ورابطة أنصار السلام أو بالأحرى بين الجماعتين الماركسيتين اللتين توجهان كل منظمة منهما.

وتخطت هذه الحرب حدود مصر وعرضت على الحزب الشيوعي الفرنسي ومنظمات دولية هامة مثل اللجنة الدولية لمعاداة الحرب والفاشية.

وفي أغسطس ١٩٣٩ عشية الحرب قرر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي بالاشتراك مع سكرتارية اللجنة العالمية لمعاداة الحرب والفاشية عقد لجنة في باريس للاستماع إلى ممثلي كلا الجماعتين والتحقيق في الاتهامات المتبادلة ووضع حد للخلاف بينهما.

وكانت هذه هي المحاولة الأولى من قبل الحركة الشيوعية في الخارج للمساعدة في توحيد الحركة الماركسية في مصر (في مصر وليس المصرية ذلك انها كانت مكونة من أجانب) لكن اشتعال الحرب أدى إلى إضاعة هذه الفرصة.

وخلال السنوات الأولى للحرب غيرت رابطة أنصار السلام اسمها وأصبح الاسم الجديد " جماعة الدراسات " ومارست هذه الجماعة نشاطا تقدميا في إطار ثقافي بحت وموجه دوما للأوساط الأجنبية.

وعلى العكس من ذلك فان الاتحاد الديموقراطي قد نما وسرعان ما خضع لتطورات وتقلبات كبيرة فالمجموعة الماركسية التي كانت توجه نشاطه من خلف ستار قامت من الناحية العملية بسحب أفضل عناصرها

من هذا التجمع العلني لكي يركزوا نشاطهم في إنشاء مدرسة سرية لتدريس الماركسية للمصريين الذين جندوا أثناء ترددهم على الاتحاد الديموقراطي. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المجموعة قررت تكوين نواة داخل تجمع من فنانين ومثقفين مصريين اسمه " الفن والحرية " حيث كان يلعب فيه دورا بعض التروتسكين.

وقد أدى هذا التشتيت في الجهود إلى أن فقد هذا التجمع الماركسي سيطرته على الاتحاد الديموقراطي.

ولكن هذا التجمع الماركسي كان في طريقه إلى أن يعيش تطورا هاما يفتتح به مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية.

## (٤)
## تمصير الحركة الماركسية
## ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥

ركزت المجموعة الماركسية التي تكونت عام ١٩٣٩ نشاطها على التكوين الماركسي للعناصر المصرية التي تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد الديموقراطي أو عن طريق " الفن والحرية ". ونظمت دراسات سرية في الماركسية باللغة العربية. وأعدت كتابا دراسيا باللغة العربية ليكون أساسا لتلك الدراسات.

وفي خلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه المجموعة أن تجند وتنظم العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية في صفوفها.

وفي ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول إلى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تم في خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف

العالمـــي ـ والموقف في مصر وتقرير عن التنظيم (قدمه مصـــري كان يعيش في فرنسا وكان عضوا في الحـــزب الشـــيوعي الفرنســـي) وسميت المنظمة التي أعلن تأسيسها " منظمة تحرير الشعب " وانتخبـت لجنة تنفيذية (ضمت ثلاثة من المصرييـــن بالإضافـــة إلـــى الإيطـــالي مارسيل) ونظم الأعضاء في خلايا وتم وضع برنامج للعمل.

وكانت منظمة تحرير الشعب هي أول تنظيم شيوعي في مصر بعد اختفاء الحزب القديم، وكانت منظمة بدائية ليست لديها خـــبرة حقيقيـــة بتراث الحركة العالمية، وكان المستوى الثقافي لا بأس به ولكن دون أية خبرة في العمل السري.

ورأت المنظمة ان الاتحاد الديموقراطي الذي خـــرج مـــن تحـــت سيطرتها لم يعد يتلاءم مع أهدافها فقررت ان تسحب أعضاءهـــا منـــه خاصة وأنه قد تحول إلى النشاط الاجتماعي. وفي نفس الوقت قـــامت العناصر الشيوعية داخل " الفن والحرية " بشن هجوم ضـــد العنـــاصر الفوضوية والتروتسكية و"أدى ذلك إلى إغلاق " الفن والحرية " وحلـــت محلها لجنة (بدون مقر) لتنظيم معارض سنوية للفنون التشكيلية.

كما قام أعضاء تحرير الشعب بوضع أيديهم على مجلة " التطور " وأصدروها باسم " الفن والحياة " وحولوها من مجلة فوضوية وسيريالية إلى مجلة عمالية. وكانت بذلك أو مجلة يديرها الشيوعيون، لكنها لسوء الحظ لم يتسع أمامها الوقت لتدعيم تأثيرها فقد منعتها الرقابة بعد صدور عدة أعداد منها.

وبعد أن فقدت تحرير الشعب كل من " الاتحـــاد الديموقراطـــي"، و" الفن والحرية " كمنابر علنية كونت بدلا منهما منبرين علنيين آخرين هما " الخبز والحرية " (والذي اختير اسمه بوحي من معارضة المثقفين الفوضويين في اختيارهم لاسم الفن والحرية) أما التجمع الثاني فسمـــى

" ثقافة وفراغ"، Culture et Loisirs واقتصر التنظيم الأول على المصريين (اتباعا لخط التمصير ولكي يبعدوا عن الحركة التقدمية المصرية التهمة التي كانت قد التصقت بها بأنها ذيل للأجانب) وكان مقر " الخبز والحرية " يقع في أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة (على العكس من التجمعات التقدمية الأخرى التي كانت تتخذ مقرا لها في الأحياء الأوروبية من المدينة) وسرعان ما اجتذبت " الخبز والحرية " نشاطا متعدد الجوانب يجمع بين العمل السياسي الديموقراطي والدعاية النقابية والنشاط الثقافي واصطبغ كل ذلك بطابع يساري واضح ومنذ البداية تدخل البوليس ودون ان يغلق المقر أصدر قرارا بمنع الاجتماعات العامة بداخله وسرعان ما عرفت " الخبز والحرية " في بعض الأوساط العمالية (وخاصة عمال الطباعة) وفي أوساط الطلاب كتنظيم شيوعي مما اكسبها شعبية كبيرة.

لقد كان الاحتلال البريطاني لمصر الذي اتخذ أشكالا سافرة خلال الحرب، بالإضافة إلى الغلاء الفاحش سببا في دفع قطاعات كبيرة من العمال والطلاب إلى التعاطف مع الاتحاد السوفييتي والشيوعية.

وفي ١٩٤٠ أصدرت " الخبز والحرية " نشرة عن الحركة النقابية وأشير فيها إلى الدور الذي لعبه الحزب الشيوعي المصري القديم في تنظيم النقابات والدفاع عن مصالح الطبقة العاملة. فأغلق البوليس مقر " الخبز والحرية " ولكن التجمع ظل موجودا.

أما الدراسات الماركسية والتي كانت حتى ذلك الوقت قاصرة على المثقفين المصريين فقد امتدت لتشمل بعض العمال الذين جندوا من داخل وحول " الخبز والحرية ".

وللأسف فان هذه الدراسات كانت تدور حول مسائل أيديولوجية معقدة وليست لها صلة مباشرة بالاحتياجات النضالية.

أما تجمع " ثقافة وفراغ " وهو التجمع الآخر الذي أنشأته الجماعة السرية " تحرير الشعب " فقد اقتصر في البداية على الأجانب ولكن نشاط " الخبز والحرية " أدى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين إلى التردد على مقر " ثقافة وفراغ " واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا. وقد أغلق البوليس مقر " ثقافة وفراغ " في منتصف عام١٩٤١.

أما الاتحاد الديموقراطي الذي أصبح تحت قيادة هنري كورييل فقد كان يتردد عليه أيضا بعض المثقفين المصريين وأصدر صحيفة باللغة الفرنسية اسمها " دون كيشوت " نشرت بعض المواد التي تحمل طابعا فوضويا وتروتسكيا.

أما " جماعة الدراسات " فقد استمرت تحت قيادة بول جاكوب دي كومب في نشاطها الثقافي الشديد الحذر والشديد الانغلاق مما جنبه متابعة البوليس.

لكن الجماعة الماركسية التي كان يقودها كورييل كانت قد توصلت هي أيضا إلى إقامة بعض الصلات مع بعض المصريين وبدأت في تثقيفهم ثقافة ماركسية.

ولقد استمرت الحرب بين هذه التجمعات الثلاث، كل منهم يتسقط أخطاء الآخرين لكي يتهمهم بالانتهازية والتروتسكية، وأيضا بالعمالة للبوليس.

وفي اليوم الذي غزت فيه قوات ألمانيا الهتلرية أراضي الاتحاد السوفييتي وجه تنظيم " تحرير الشعب " الدعوة إلى جميع التقدميين في مصر لبذل جهود مشتركة دفاعا عن الاتحاد السوفييتي. وقد تمت الدعوة بشكل علني عن طريق " الخبز والحرية " التي وجهت الدعوة إلى التجمعات العلنية الأخرى " ثقافة وفراغ " و"جماعة الدراسات" و"الاتحاد الديموقراطي" وحتى "الفن والحرية" (التي كانت تتمتع بتأثير

على أوساط الرسامين والنحاتين المصريين) واستجابت كل هذه التجمعات للدعوة باستثناء "جماعة الدراسات" التي رفضت بعناد أي تعاون مع الآخرين.

وبالفعل عقد اجتماع مشترك واتفق فيه على برنامج للعمل المشترك.

وكانت هذه هي المحاولة الثانية لتوحيد الماركسيين في مصر (الأولى حدثت في باريس في أغسطس عام١٩٣٩) ولكن رفض جماعة الدراسات، لفكرة التعاون (بالرغم من أنها كانت قاصرة فقط على الدعاية للاتحاد السوفييتي) بالإضافة إلى الضربات البوليسية التي سرعان ما وجهت إلى قيادة " تحرير الشعب " قد أفشلت هذه المحاولة.

وكان أعضاء "تحرير الشعب" على درجة كبيرة من النشاط والإيجابية، لكن حماسهم سرعان ما أفقدهم الحذر ودفعهم إلى الإهمال في قواعد الأمان. وعقب توزيع المنشور الخاص بالحركة النقابية قرر البوليس السياسي (بناء على أمر من المخابرات البريطانية) الهجوم.

وفي أكتوبر ١٩٤١ قبض على عشرة من أعضاء التنظيم وألقوا في السجن.

وأدى تحقيق النيابة إلى انتفاء ما يبرر إقامة الدعوى (ذلك أن التشريع القديم المضاد للشيوعية لم يعدل إلا في عام ١٩٤٦) ومن ثم أطلق سراح جميع الأعضاء بعد شهرين (ماعدا الإيطالي مارسيل الذي أرسل إلى أحد معسكرات الاعتقال الخاصة بالفاشست).

واستأنف أعضاء "تحرر الشعب" نشاطهم بعد خروجهم من السجن. وتبنوا تكتيكا جديدا وهو إصدار صحيفة علنية توسع من نطاق حركتهم. فاشتروا صحيفة كان يصدرها لسنوات طويلة كاتب ليبرالي(*) وهي

* سلامة موسى. ــ المؤلف ــ.